

غاية المأمول

في التعليقات على

الصحيح المسند من أسباب النزول

تأليف

الشيخ الفاضل

أبي عبدالله عثمان السالمي العتمي

الناشر

مكتبة بصيحاء الإلهام

الناشر

مكتبة صنعاء الاثرية

صنعاء شارع تعز امام مسجد الخير

تليفون: ٠٩٩٦٧١٦٠١٢١١

فاكس: ٠٠٩٦٧١٦٣٣٧٢٦

صندوق بريد: ١٧٧٣١

غاية المأمول
في التعليقات علي
الصحيح المسند من أسباب النزول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعلق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، الحمد لله منزل الكتاب ومجري السحاب أحده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه الخالق الرازق المحيي المميت خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا هو الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أيده بالوحي والمعجزات الباهرات فكان القرآن أعظم معجزة له قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. وقال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن أو آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة». رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقد نزل القرآن منجماً على الحوادث مؤيداً لرسول الله ﷺ ومثبتاً لقلبه وقلوب أصحابه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكُتِّبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾، فصلوات ربي وسلامه على نبينا وعلى سائر النبيين ورضي الله عن أصحاب رسول الله الذين بلغوا الرسالة بعد رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من المحدثين والمفسرين والفقهاء والصالحين.

أما بعد:

فأشرف كتاب هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فمن تعلمه وتفهمه فقد حاز أشرف العلوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ولقد تنافس علماء الصحابة رضي الله عنهم في حفظه وتعلم أحكامه حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: «والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم».

قال شقيق: فجلست في الحلقِ أسمع ما يقولون فما سمعت رادًا يقول غير ذلك.

وقال عبدالله رضي الله عنه أيضًا: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه». رواهما البخاري في فضائل القرآن.

وهكذا تنافس التابعون ومن بعدهم في معرفة أحكام القرآن وأسباب نزوله ومعرفة ألفاظه الغريبة، وصنّف العلماء كتبًا في تأويله وتفسيره، وألّف أيضًا كتب ورسائل في أسباب نزوله، لأن معرفة أسباب النزول من الأمور المهمة، والذي أَلْفوا في هذا الباب من القدماء كانوا يذكرون أسانيدهم إلى من شاهد السبب أو من صحب النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه، ومعلوم أن الأسانيد منها الصحيح ومنها السقيم ولا يثبت سبب ويركن إليه إلا إذا صح السند فليعلم هذا.

ولهذا قال الإمام أبو الحسن الواحدي في مقدمة أسباب النزول:

«ولا يجل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطُّلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد

للجاهل ذي العناد في هذا العلم بالنار». اهـ.

ومع هذا القول منه فهو لم يشترط صحة الإسناد، ولا بد منه، وكم من سند فيه الكذاب أو الضعيف شديد الضعف، فمثله لا ينتفع بوجوده والله المستعان، ولهذا قال الإمام ابن حجر رحمه الله: ولما وقفت على هذه الخطبة لخطابها وسعيت إلى الوصول لألج من أبوابها فوجدته رحمه الله قد وقع فيها عاب من إيراد كثير من ذلك بغير إسناد مع تصريحه بالمنع إلا فيما كان بالرواية والسماع، ثم فيما أورده بالرواية والسماع مالا يثبت لو هاء بعض رواته، ثم ما اقتضاه كلامه أن الممنوع أن يساق الخبر من غير رواية دون سياق برواية أو سماع لا يكون فيه ذلك بمسلم طردًا ولا عكسًا، بل المحذور أن يكون الخبر من رواية من لا يوثق به سواء ساق المصنف سنده به أم لم يسقه فكم من سند موصول برواية كذاب أو متروك أو فاحش الغلط، وكم من خبر يذكر بغير سند وينبه على أنه من تصنيف فلان مثلًا بسند قوي. اهـ المراد من كتاب العجائب.

قلت؛ واستمر الأمر على ما هو عليه، فتجد أكثر من ألف في هذا الباب لم يلتزم إيراد الصحيح فقط من الأسباب أو تجد من تعرض للتصحيح والتضعيف منهم متساهلاً في الحكم على الحديث، كالسيوطي رحمه الله، واستمرت الحاجة لوجود كتاب في الأسباب لا يشتمل إلا على الصحيح منها حتى قيض الله شيخنا أبا عبد الرحمن الوداعي رحمه الله فتصدى لهذه المهمة وقام بها خير قيام، فصنف هذا الكتاب وساق الأسانيد من المصنفات والمسانيد واشترط على نفسه أن لا يذكر إلا ما صح، وقد وقي بذلك وجزاه الله خيرًا، وصار كتابه من أحسن ما ألف في الباب.

وشيخنا رحمه الله كان مشغوفًا بحب الإسناد، ولهذا تجده في مصنفاته كثيرًا ما يذكر

الأسانيد ولا يذكر إلا ما صح عنده، ولهذا وضع لها القبول عند العلماء وطلاب العلم. ولقد كان شيخنا رحمته الله تعالى متبحراً في علم الحديث وعلم العليل، ومما يدل على ذلك كتابه «أحاديث معلة ظاهرها الصحة» وتحقيقه كتاب «الإلزامات والتتبع» للدار قطني، وكذلك كتابه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» ولقد كان شيخنا أيضاً فقيهاً عالماً بالفتوى واختلاف العلماء ومما يدل على ذلك كتابه العظيم «الجامع الصحيح» وما فيه من التبويبات القيمة، وله كتب أخرى كثيرة تدل على علمه الغزير، وكان علامة في علم النحو والعربية، ولقد كان قوَّالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم شجاعاً كريماً ألف كتباً في الرد على الرافضة والشيعة وغيرهم من أهل البدع ونفع الله به أهل اليمن نفعاً عظيماً، بل هو من المجددين في اليمن، بل قد رحل إليه طلاب العلم من بلاد شتى حتى من بلاد العجم ونفعهم الله به، فطلابيه مبعوثون في كثير من بلاد العالم والحمد لله.

ولما كان كتاب الشيخ فريداً في بابه كان حرياً أن يُعتنى به، فأحببت من باب إتمام الفائدة أن أَوْشِيهِ وَأَوْشَحَهُ ببعض الفوائد ليتم به النفع، فعمدت فجعلت عليه بعض التعليقات بشرح مختصر هو جهد المقل، وبحمد الله فيه فوائد جيدة تفيد طالب العلم وتيسر له اصطياها بسهولة، فله غنمها وعلِّيَّ غرمها، ونسأل الله أن يتقبل منا ما كان صالحاً ويتجاوز عنا ما كان سيئاً.

والحمد لله رب العالمين.

تيسير:

علماً بأنني اعتمدت في شرحي لهذا الكتاب على الطبعة الخامسة ولم نغير من كلام الشيخ شيئاً وأسميته: "غاية المأمول في التعليقات على الصحيح المسند من أسباب النزول". وأنا حرصت أن لا أذكر في تعليقاتي هذه إلا ما صح من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة ليكون ذلك موافقاً لأصله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

كتبه أبو عبدالله عثمان بن عبدالله بن أحمد السالمي العتمي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الخامسة من الصحيح المسند من أسباب النزول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه^(١) ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد:

فإن من الكتب التي يسر الله لي تأليفها «الصحيح المسند من أسباب النزول» وإني أحمد الله سبحانه فقد نفع الله به وأصبح مرجعاً في هذا الباب، وما أكثر ما أرجع إليه في حالة البحث والتأليف والتدريس وكنت في حالة تأليفه قد ذكرت بعض الأحاديث التابعة لحديث الباب بدون سند فأحببت في هذه الطبعة أن أذكر أسانيد ما

(١) لفظه: نستهديه شاذة لم تصح في خطبة الحاجة، وقد كان شيخنا الوادعي يقول بذلك.

تيسر لي وكان هناك أحاديث ربما ذكرت الشاهد منها فعزمت على ذكر الحديث بتامه. أما ذكر الحديث بتامه فلما فيه من الفوائد ، وأما ذكر السند فإن علماءنا رحمهم الله تعالى كانوا لا يقبلون الحديث إلا بسنده.

قال الحافظ العلائي رحمته الله في «جامع التحصيل» (ص ٥٨): «وفي صحيح مسلم أيضاً عن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

وقال سيفيان بن عيينة: حدث الزهري يوماً بحديث فقلت له ها ته بلا إسناد فقال: أرتقي السطح بلا سلم.

وقال بقية: ثنا عتبة بن أبي حكيم أنه كان عند إسحاق^(١) بن أبي فروة وعنده الزهري فجعل ابن أبي فروة يقول: قال رسول الله ﷺ، فقال الزهري: قاتلك الله ما أجراك ألا تسند حديثك تحدثنا بأحاديث ليست لها خطم ولا أزمة.

وقال عبد الصمد بن حسان: سمعت سفيان الثوري يقول: الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن سلاح فبم يقاتل.

قال شعبة: كل حديث ليس فيه حدثنا وأخبرنا فهو خل وبقل.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عبدان قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول:

(١) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك الحديث، وإنما أورده الشيخ هنا من باب التمثيل،

ولا علاقة لإسحاق هنا بالسند

الإسناد عندي من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وعن العباس بن أبي رزمة قال: سمعت عبد الله - يعني ابن المبارك - يقول: بيننا وبين القوم القوائم - يعني الإسناد -.

وعن إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء: إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك، قال: فقال عبد الله: يا أبا إسحاق عمن هذا؟ قال قلت له: هذا من حديث شهاب بن خراش، فقال: ثقة عمن؟ قال قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة عمن؟ قال قلت: قال رسول الله ﷺ قال: يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف. اهـ كلامه ﷺ.

وذلكم شعبة بن الحجاج رضي الله عنه سمع من شيخه أبي إسحاق السبيعي وهو عمرو بن عبد الله حديث عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر في فضيلة إسباغ الوضوء، فقال لأبي إسحاق: هل سمعه عبد الله بن عطاء من عقبة بن عامر فغضب عليه أبو إسحاق، فقال بن كدام لشعبة: عبد الله بن عطاء بمكة فرحل إليه شعبة، قال شعبة: فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته فقال: سعد بن إبراهيم حدثني فقال لي مالك بن أنس: سعد بن إبراهيم بالمدينة لم يحج فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم فسألته فقال: الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني، قال شعبة: فلما ذكر زيادًا قلت: أي شيء هذا الحديث بيننا هو كوفي إذ صار مدنيًا إذ صار بصريًا قال: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته، فقال: ليس هو من

بابك قلت: حدثني به، قال: لا ترده، قلت: حدثني به، قال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ریحانة عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ.

قال شعبة: فلما ذكر شهر بن حوشب قلت: أفسده على شهر لو صح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب لي من أهلي ومالي والناس أجمعين.

❁ **قال أبو عبد الرحمن:** فعلى هذا الذين يحذفون الأسانيد من الكتب ويخرجونها مجردة من الأسانيد يعتبرون مسيئين إلى العلم وإلى سلفنا الصالح الذين بذلوا جهودًا عظيمة في تتبع الأسانيد والرحلة من أجلها. ومن أجل هذا، فإخواننا في الله يحرصون على ذكر الأحاديث بأسانيدها وبحمد الله وجدت قبولاً واطمأن إليها الباحثون والحمد لله رب العالمين.

الحامل لي على اختيار هذا الموضوع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد:

فقد اخترت أن يكون بحثي الذي أقدمه للجامعة الإسلامية في «الصحيح»^(١) المسند من أسباب النزول» وذلك لأمر منها:

١ - ارتباطه بفنين عظيمين وهما تفسير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ اللذان هما أساس ديننا.

٢ - أن معرفة سبب نزول الآية يعين على فهم معناها فقد أشكلت بعض الآيات على

(١) أعني بالصحيح على اصطلاح الأولين ما يشمل الصحيح والحسن كما في تدريب الراوي

بعض الصحابة فمن بعدهم حتى عرفوا سبب نزولها فما أشكل عليهم ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ حتى أخبرهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بسبب نزولها كما سيأتي إن شاء الله تعالى فظهر لهم معناها. ومما أشكل عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ حتى نزل - على رواية كما سيأتي إن شاء الله تعالى ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقد أشكل على عروة قوله: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ حتى أخبرته عائشة رضي الله عنها بسبب نزولها.

٣- هذا ومما حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع أن أسباب النزول قد دخلها الدخيل كغيرها من سائر فنون قال الواحدي رحمته الله في مقدمة كتابه أسباب النزول ^(١) - بعد ذكره كلام عبدة السلماني لما سئل عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدا إذا ذهب الذين يعلمون فيها أنزل القرآن -: «أما اليوم فكل أحد يخترع شيئاً ويختلق إفكاً وكذباً ملقياً زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب ليتهاي إليه طالبو هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب» إلى آخر كلامه رحمته الله (ص ٥).

* وقال السيوطي في «الإتقان» (ج ٢ ص ١٩٠) - بعد ذكره جماعة ممن يذكرون التفسير بالأسانيد كابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما -: «ثم ألف في التفسير خلائق

(١) كتاب أسباب النزول للواحدي، قال شيخنا وأنا أسمعه: هو من أحسن ما ألف في الباب، لكنه

لم يقتصر على الصحيح، فربما روى من طريق الكلبي الكذاب.

فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمد عليه ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتف إلى تحريف ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ نحو عشرة أقول وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي - ﷺ - وجميع التابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين. اهـ. المراد من الإتيان.

قلت؛ وهذا هو الذي حملني على ذكر الأسانيد ما وجدت إلى ذلك سبيلاً وإن كان فيه من المشقة ما هو معروف لدى أهل هذا الفن. وإليك مثلاً واحداً يصدق ما قاله هذان الإمامان من أنه قد وقع التساهل في نقل ما لم يثبت في كتب التفسير، وهذا المثال هو قصة ثعلبة بن حاطب التي فيها: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»، وهذه القصة يذكرها المفسرون عند تفسير قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ويمكن أنه لا يوجد تفسير إلا وهي المذكورة فيه وقل من نبه على عدم صحتها، أما جهابذة علماء الحديث ونقاده فإليك ما قالوه فيها:

قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمته الله بعد ذكره لها من طريق مسكين بن بكير: نا معان بن رفاعة السلمي عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال: جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها وقال: لم يقبلها النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا أقبلها. قال أبو محمد: وهذا باطل بلا شك لأن الله تعالى أمر بقبض زكاة أموال

المسلمين وأمر عليه السلام عند موته ألا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلماً ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك وإن كان كافراً ففرق ألا يقر في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك، وفي رواه معان بن رفاعه والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الأهلي وكلهم ضعفاء ومسكين بن بكير ليس بالقوي. اهـ. (ج ١١) من "المحلى" (ص ٢٠٨).

* وقال السيوطي في "لباب النقول": إن سندها ضعيف.

* وقال الحافظ في تخريج "الكشاف": إن في سندها علي بن يزيد الأهلي وهو واه، وقال في "الفتح" (ج ٣ ص ٨): بعد ذكر بعض القصة لكنه حديث ضعيف لا يحتاج به. اهـ.

* وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (ج ٧ ص ٣٢): رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الأهلي وهو متروك، وقال فيه الذهبي في تجريد أسماء الصحابة: إنه حديث منكر بمرّة.

* وقال المناوي في "فيض القدير" (ج ٤ ص ٥٢٧): قال البيهقي في إسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور بين أهل التفسير. اهـ.

وأشار في الإصابة إلى عدم صحة هذا الحديث فإنه ساق هذا الحديث في ترجمة ثعلبة هذا ثم قال: وفي كونه صاحب هذه القصة إن صح الخبر - ولا أظنه يصح - هو البدري نظر. اهـ كلام المناوي.

* وقال الحافظ العراقي في "تخريج الإحياء" (ج ٣ ص ٣٣٨): سندها ضعيف وإنما

مثلت بهذه القصة لشهرتها في كتب التفاسير ولأن كثيرًا من إخواننا المشتغلين بالوعظ والإرشاد وفقني الله وإياهم يستحسنونها ويلقونها على العامة غير متبهين مع عدم صحتها سندًا فهي لا تصح معنى إذ فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة وهو أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب، تاب الله عليه.

٤ - ومن الدوافع لي على اختيار هذا الموضوع الرغبة في التعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما في أسباب النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعًا فيأتي الفرج الإلهي، وذلك كقصة الثلاثة الذين خَلَفُوا، وكقصة الإفك وما حصل لنبي الهدى من الأذى بسببه وكذا لأم المؤمنين إذ بكت حتى ظن أبواها أن البكاء فالتق كبدها. فيأتي الفرج بعد الشدة. وكقصة هلال بن أمية إذ رمى زوجته بالزنى فقال له الرسول ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك» فقال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد، فأراد الرسول أن يأمر بضربه فأنزل الله آية اللعان وأبر قسمه وأتى بالعلاج بعد تفاقم الداء فخاب وخسر من ظن أنه يستطيع أن يستغني عن هذا التشريع الحكيم.

٥ - ومنها رجاء الاستفادة من مراحل التشريع فإننا في أمس الحاجة إلى أن نعتبر أنفسنا مجددين وأن نبدأ الدعوة من جديد وفي أسباب النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية كآية القتال فإنها لم تنزل إلا بعد أن علم الله أن لهم اقتدارًا على القتال إلى غير ذلك من الفرق بين المكي والمدني كما هو معروف.

تيسير

قد حاولت بقدر الاستطاعة أن أجمع طرق الحديث لما فيه من الفوائد من معرفة وصل الحديث وإرساله وصحته وإعلاله فرب حديث ظاهر سنده الصحة في كتاب ويكون

في كتاب آخر معلولاً، وقد قال ابن الصلاح في "علوم الحديث" (ص ٨٢):

وروى عن علي بن المديني قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه. اهـ.

وإليك المثال على ذلك: قال الحاكم رحمته الله (ج ٣ ص ٣٢٤): حدثنا أبو العباس محمد

بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما جاء أهل مكة في فداء أساراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلوات الله عليه فداء أبي العاص وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها فلما رآها رسول الله صلوات الله عليه رق لها رقة شديدة وقال: « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا ». قالوا: نعم يا رسول الله، وردوا عليها الذي لها. قال: وقال العباس: يا رسول الله إني كنت مسلماً. فقال رسول الله صلوات الله عليه: « الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فانه يجزيك فافد نفسك وبني أخويك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر ».

فقال: ماذا ك عندي يا رسول الله؟ قال: « فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل فقلت لها: إن أصبت فهذا المال لبني الفضل وعبد الله وقثم ». فقال: والله يا رسول الله إني أشهد أنك رسول الله إن هذا الشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فاحسب لي يا

غاية المأمول في التعليقات على الصحيح المسند من أسباب النزول

رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي. فقال رسول الله ﷺ: «أفعل». ففدى العباس نفسه وبني أخويه وحليفه وأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْثَرِ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأعطاني مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. اهـ.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج ٧ ص ٢٨): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. اهـ ثم بعد الاطلاع على «سنن البيهقي» (ج ٧ ص ٣٢٢) ظهر أن قصة العباس مدرجة على هذا السند.

قال البيهقي رحمه الله: كذا قيا حدثنا به شيخنا أبو عبد الله في كتاب المستدرک ثم ذكره الحافظ البيهقي على الصواب مبيّنًا أن قصة العباس لها سند آخر وأنها مرسلة.

وقال الحافظ في «الفتح» (ج ٩ ص ٣٨٢) بعد ذكره هذه القصة: وفي طريق عطاء محمد بن إسحاق، وليست هذه القصة عنده مسندة بل معضلة وصنيع إسحاق يعني ابن راهويه وتبعه الطبراني وابن مردويه يقتضي أنها موصولة، والعلم عند الله. اهـ. وقال في المطالب العالية ج ٣ ص ٣٣٧: وأظن ذلك مدرجًا في الخبر من كلام ابن إسحاق وحديث عباس على هذا معضل.

وأما على ظاهر السياق أو لآفهو مسند وهو على ذلك عمل إسحاق. اهـ. والأمثلة على هذا كثيرة.

اعتماد:

لم آل جهداً في الحرص على العزو إلى أئمة الحديث وكتبهم وقد يضيق عليّ الوقت فأكتفي بالعزو إلى بعضهم وربما اكتفيت بعزو بعض المؤلفين إليهم وهذا قليل وربما صعب عليّ الوقوف على سند الحديث إذا كان في الكتب المفقودة أو العريضة الوجود، فإن صححه إمام تطمئن النفس إلى تصحيحه كتبه بدون سند وإلا توقفت فيه حتى يسهل الله بالعثور على سنده. والله سبحانه أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع بهذا المؤلف الإسلام والمسلمين آمين.

قواعد أصولية

لأسباب النزول قواعد أصولية بنشير إلى بعضها حسبما رسمه شيخنا محمود بن عبد الوهاب فائد حفظه الله مقتصرين على المشهور منها وما لا بد منه رغبة في الاختصار:

١ - تعريف سبب النزول: سبب النزول يكون قاصرًا على أمرين:

أحدهما: أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها كما في سبب نزول:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ كما سيأتي إن شاء الله.

الثاني: أن يسأل الرسول ﷺ عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كما في

سبب نزول آية اللعان كما سيأتي إن شاء الله.

٢ - طريقة معرفته: أما طريقة معرفته فالعلماء يعتمدون في معرفة سبب النزول على

صححة الرواية عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابي فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا له

حكم الرفع.

* قال ابن الصلاح رحمه الله في كتابه «علوم الحديث»: الثالث: ما قيل إن تفسير

الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول الآية يخبر به الصحابي

أو نحو ذلك كقول جابر رضي الله عنه: كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها

جاء الولد أحول فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية.

فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ

فمعدود في الموقوفات ، والله أعلم. اهـ. (ص ٤٦).

وأما قول التابعي: نزلت في كذا، فهو مرسل، فإن تعددت طرقه قبل وإلا فلا على

الراجح عند المحدثين.

٣ - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والدليل على ذلك: أن الأنصاري الذي قَبِلَ الأجنبية ونزلت فيه: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الآية، قال للنبي ﷺ: ألي هذا وحدي يا رسول الله؟، ومعنى هذا هل حكم هذه الآية يختص بي لأنني سبب نزولها فأفتاه النبي ﷺ بأن العبرة بعموم اللفظ فقال: «بل لأمتي كلهم».

أما صورة السبب فجمهور أهل الأصول أنها قطعية الدخول في العام فلا يجوز إخراجها منه بمخصص وهو التحقيق وروي عن مالك أنها ظنية الدخول كغيرها من أفراد العام. اهـ. من «مذكرة أصول الفقه» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله باختصار (ص ٢٠٩ و ٢١٠).

٤ - قد تعدد الأسباب والنازل واحد، كما في آية اللعان وغيرها من الآيات كما ستجده إن شاء الله في مواضعه، وكذا قد تعدد الآيات النازلة والسبب واحد كما في حديث المسيب رضي الله عنه في شأن وفاة أبي طالب وقول النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنه»، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ والأمثلة على ذلك كثيرة ستمر بك إن شاء الله.

٥ - صيغة سبب النزول إما أن تكون صريحة في السببية، وإما أن تكون محتملة. فتكون نصًا صريحًا إذا قال الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كما إذا قال حدث كذا أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية. فهاتان صيغتان صريحتان في السببية وسيأتي

لها أمثلة إن شاء الله وتكون الآية محتملة للسيبية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: نزلت هذه الآية في كذا فذلك يراد به سبب النزول وتارة أنه داخل في معنى الآية. وكذا إذا قال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا أو ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في كذا، فإن الراوي بهذه الصيغة لا يقطع السبب فهاتان صيغتان تحتملان السبية وغيرها وسيأتي لها أمثلة إن شاء الله. اهـ. مختصرًا من كتاب "مباحث في علوم القرآن" لمناع القطان.

فائدة:

من القرآن ما نزل لسبب ومنه ما نزل ابتداء بعقائد الإيمان وواجبات الإسلام وغير ذلك من التشريع، وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم طالبني في ذات مرة أن أذكر له سببًا آخر لقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ الآية. عندما قلت له: إن القصة التي وردت في ثعلبة ضعيفة. وكذا قوله تعالى: ﴿يُوقُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ إلى آخر الآيات. عندما قلت لبعضهم: إن ما ورد أنها نزلت في علي وفاطمة ليس بصحيح وقد ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات وواقفه السيوطي فأحببت التنبيه على هذا لئلا يظن من لم يمارس سبب النزول أن لكل آية سببًا.

هذا ما تيسر لي وإن كنت تريد المزيد فعليك بمراجعة الإتيقان للحافظ السيوطي رحمته الله، والله أسأل أن يثبت شيخنا المشرف على حسن توجيهه وتنبيهه على ما وقع مني من الأخطاء فإنه حفظه الله قد أتعب نفسه ولاحظ ملاحظة دقيقة فجزاه الله خيرًا وبارك له في عمله وولده وماله آمين.

سورة البقرة

قوله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾. البقرة ٧٩.

قال الإمام البخاري رحمه الله في كتابه «خلق أفعال» العباد ص ٥٤ حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ قال: نزلت في أهل الكتاب. الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن علقمة وقد وثقه النسائي وابن حبان والعجلي وقال ابن شاهين: قال ابن مهدي: كان من الأثبات الثقات. اهـ «تهذيب التهذيب».

التعليق

الويل: اختلف في تأويله فقيل: هو جبل من نار، وقيل: وادي في جهنم من صديد أهل النار، وقيل صهريج في جهنم، وقيل: الويل لمن في الهلكة، وقيل: المشقة من العذاب والهلاك، كما عند القرطبي وغيره، والظاهر أن المراد به العذاب والهلاك.

وفي الآية التحذير الشديد من التغيير والتبديل لدين الله تعالى وإن كانت الآية نزلت في أهل الكتاب فهي تحذر من يتجرأ على تغيير الدين إلى الضلالات، وأيضاً من يدعون الآن إلى نظام الديمقراطية التي هي ترك حكم الله ورسوله صلوات الله وسلاماته عليه.

وأقول: وتجد اليوم بعض الناس المخذولين يدعون إلى وحدة الأديان ويريدون أن يخلطوا بين اليهودية والنصرانية والإسلام الحق الذي منهجه القرآن الذي لم يغير ولم يبدل فهذه دعوة إلى الكفر

و الضلال لأنه لا يحل لمسلم أن يدين بغير الإسلام: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ فدين اليهود والنصارى محرف باطل وما كان حقاً فقد نسخ،
وواجب عليهم أن يسلموا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على
رسول الله - صلوات الله عليه - أحدث تقرأونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله
وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً لا ينهاكم ما جاءكم
من العلم عن مسألتهم لا والله رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. رواه البخاري في
الاعتصام (٧٣٦٣) ج ١٣ وأخرجه في التوحيد (٧٥٢٣).

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ٨٩.

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكننا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، فبينما وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اهـ من سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٣، وهو حديث حسن، فإن ابن إسحاق إذا صرح بالتحديث فحديثه حسن كما ذكره الحافظ الذهبي في الميزان.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوله: ﴿ولما جاءهم﴾ يعني: اليهود بني إسرائيل، ﴿كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ يعني: أن القرآن الكريم نزل على محمد ﷺ، ﴿مصدق لما معهم﴾ أي: القرآن نزل من عند

الله مصدق لما عندهم من التوراة التي أنزلها الله من قبل القرآن وما فيها من الدعاء إلى توحيد الله وطاعته في الجملة والبشارة بنبوته محمد ﷺ، ولكن لم يلتزموا بكتبهم المنزلة في هذه القضية، وكانوا من قبل أن ينزل القرآن ويبعث النبي ﷺ يستنصرون على الوثنيين من العرب ويقولون لهم إذا بُعث نبي: أنهم سينصرونه ويقاتلون أهل الشرك معه، ولكن لما بُعث محمد ﷺ من العرب حسدوه وتركوا نصرته، ووفق الله سبحانه الأوس والخزرج، وهداهم لدين الإسلام وأضل الله اليهود بسبب حسدهم وكفرهم وضلالهم، ولهذا قال: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ أي: يستنصرون على عبدة الأوثان من العرب مع الحرب معهم، ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ فاليهود كفروا برسول الله ﷺ مع علمهم بنبوته وصدق دعوته ومعرفتهم بصفاته وزمن بعثته، ولكنهم تركوه حين كان من العرب، ونعوذ بالله من الخذلان، فبعض الناس يعرف الحق ولا يتبعه، فهذا مذموم أشد الذم، وتجد اليوم بعض أهل الأهواء يعرف السنة ولا يتبعها من أجل مصالح دنيوية أو مذهبية، وهم في هذا شابهوا اليهود ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة ٩٧

قال الإمام أحمد ج ١ ص ٢٧٤ حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي وكانت له هيئة رأيناها عند حسن عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا الله على ما نقول وكيل قال: « هاتوا » قالوا: أخبرنا عن علامة النبي قال: « تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال: « يلتقي الماء ان فإذا علاماء الرجل ماء المرأة أذكرت وإذا علاماء المرأة أنثت » قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه قال: « كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا » - قال عبد الله بن أحمد: قال أبي: قال بعضهم: يعني الإبل - « فحرم لحومها » قالوا: صدقت قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد قال: « ملك من ملائكة الله - عز وجل - موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله » قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع قال: « صوته » قالوا: صدقت إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك قال: « جبريل - عليه السلام - » قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله - عز وجل - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ إلى آخر الآية.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٨ ص ٢٤٢: رواه أحمد والطبراني ورجاهما ثقات وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ج ٤ ص ٣٠٥ والحديث في سنده بكير بن شهاب قال الحافظ في «التقريب»: «مقبول، يعني إذا توبع وإلا فلين كما نبه عليه في المقدمة لكن الحديث له طرق إلى ابن عباس كما في تفسير ابن جرير منها ما أخرجه الإمام أحمد. حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله - ﷺ - يوما فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي قال: «سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام» قالوا: فذلك لك قال: «فسلوني عما شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة قال: «فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني» قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق قال: «فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى - ﷺ - هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر الله نذرا لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها» قالوا: اللهم نعم قال: «اللهم اشهد عليهم فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله وإن

علاماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله « قالوا: اللهم نعم قال: « اللهم اشهد عليهم فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه « قالوا: اللهم نعم قال « اللهم اشهد « قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك قال: « فإن وليي جبريل عليه السلام ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه « قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك قال: « فما يمنعكم من أن تصدقوه « قالوا: إنه عدونا قال فعند ذلك قال الله عز وجل ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله عز وجل ﴿ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهم لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فعند ذلك باءوا بغضب على غضب.

الحديث في سنده شهر بن حوشب مختلف فيه والراجح ضعفه من أجل سوء حفظه لكنه يصلح في الشواهد والمتابعات.

والحديث أخرجه الطيالسي ج ٢ ص ١١ وابن جرير ج ١ ص ٤٣١ وابن سعد ج ١ ص ١٦١ من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس نحوه وقد حكى ابن جرير الإجماع أنها نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم اهـ.

فيكون الإجماع مؤيداً لهاتين الطريقتين على ما بهما من الضعف. أما الأولى: فلأن بكير بن شهاب قد خولف كما في « التاريخ الكبير » للبخاري ج ٢ ص ١١٤ و ١١٥ فرواه سفيان الثوري عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قوله.

وأما الثانية: فلما في شهر بن حوشب من الكلام.

التعليق

بعض الأحاديث والآثار التي تتعلق بالآية.

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثني حامد بن عمر عن بشر بن المفضل حدثنا حميد حدثنا أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني به جبريل أنفأ» قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: «أما أول أشرط الساعة فتار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: «أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاده الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله.

رواه الإمام البخاري في مناقب الأنصار ج ٧ ص ٢٧٢ [٣٩٣٨] وأخرجه في التفسير ٨/ ١٦٥

في باب (٦).

معنى جبريل وميكائيل: روى ابن جرير في «تفسيره» «بأسانيد تحسن إن شاء الله بمجموعها

عن عكرمة قال: جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبيد الله [إيل] الله.

وجاء عنه جبر: عبد - إيل الله وميكا: عبد - إيل الله. وعلقه البخاري في تفسيره عنه قال: جبر

وميك وإسراف: عبد إيل الله. اهـ.

وقد جاء عن ابن عباس نحوه.

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ج ١/٢٤٦: وأما تفسير الآية فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ

عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: من عادى جبرائيل فليعلم أنه الروح الأمين الذي

نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك فهو رسول من رسل الله ملكي ومن عادى

رسولا فقد عادى جميع الرسل كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل وكما أن من

كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ﴾ الآيتين.

فحكم عليهم بالكفر المحقق إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى

جبرائيل فإنه عدو لله لأن جبرائيل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه وإنما ينزل بأمر ربه كما قال: ﴿وَمَا

نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾. اهـ.

قلت: وسبب كراهية اليهود لجبريل قالوا: لأنه ينزل بالعذاب والحرب في زعمهم، وهذا من

باطلهم، فهو ولي جميع الأنبياء.

قوله تعالى:

﴿ فَاغْفُورًا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية: ١٠٩ .

قال أبو الشيخ في كتاب " الأخلاق " أخبرنا ابن أبي عاصم ثنا عمرو بن عثمان عن بشر بن سعيد^(١) عن أبيه عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد أنه أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار فقال لسعد: « ألم تسمع ما قال أبو الحباب - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا، فقال سعد بن عباد: اعف عنه واصفح فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن أهل الكتاب والمشركين فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَاغْفُورًا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

الحديث رجاله ثقات فابن أبي عاصم حافظ كبير ترجمته في " تذكرة الحفاظ " ج ٢ ص ٦٤٠ والباقون في " تهذيب التهذيب " والحديث في الصحيح من طريق شعيب بن أبي حمزة بهذا السند لكن ليس في الصحيح سبب النزول وهكذا في " تفسير ابن أبي حاتم " كما في " تفسير ابن كثير " ج ١ ص ١٣٥ .

التعليق

وقوله سبحانه: ﴿ فَاغْفُورًا وَأَصْفَحُوا ﴾ أي: تجاوزا عن إساءتهم إليكم وعنادهم لكم، وهذا كان أول الإسلام حيث كان النبي ﷺ وأصحابه مأمورين بالعفو عن المشركين ومن أساء إليهم، فلما

(١) كذا في الأصل وصوابه بشر بن شعيب هو ابن أبي حمزة راوي الحديث عن الزهري كما في

"البخاري" [ج/٢٩٩/٩]. و"عمدة القاري" ص ١٨ - ١٥٥ .

قوي المسلمون أمروا بالجهاد.

قال ابن أبي حاتم في " تفسيره " ج ١ / ٢٠٦ حدثنا أبو اليمان أنبا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله: ﴿ فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وكان رسول الله - ﷺ - يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من صناديد قريش. وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين إلا أبا حاتم وهو إمام معروف.

والحديث في صحيح البخاري [٤٥٦٦]: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبدالله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة حمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتناورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي ﷺ: يا

سعد أم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا، قال سعد بن عباد: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه، فالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك لقد اصططح أهل هذه البحيرة على أن يتوجه فيعصبوه بالعصاة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ الآية.

وقال الله: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ إلى آخر الآية. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صنابير كفار قريش قال ابن أبي سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. ورواه مسلم برقم [١٧٩٨].

وفي الآية الكريمة إرشاد المسلمين في حال ضعفهم أن يعفوا وأن يصبروا على الأذى ممن هو أقوى منهم سواء كانوا من المشركين أو من بعض حكامهم الظلمة والمنافقين فزماننا هذا يشبه أول الإسلام كما قال النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً». رواه مسلم. والصبر عاقبته حميدة.

قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية: ١١٥.

قال الإمام مسلم في صحيحه ج ٥ ص ٢٠٩ حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك بن أبي سليمان قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

الحديث أخرجه الترمذي في التفسير ج ٤ ص ٦٨ والنسائي ج ١ ص ١٩٦ وأحمد في «المسند» ج ٢ ص ٢٠ وابن جرير ج ١ ص ٥٠٣ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

التعليق

مسألة: هل يشترط استقبال القبلة في الصلاة؟

نعم يشترط استقبال القبلة في الصلاة فهو شرط عند جماهير أهل العلم، إلا عند الضرورة مثل الحرب والمسافة والعجز كالمريض الذي لا يجد من يوجهه إلى القبلة ولا يستطيع التوجه إلى القبلة كمن كان عنده شلل لا يستطيع الحركة أو كالذي يكون في المستشفى مصاب بالعمود الفقري (مكسور الظهر) أو نحو ذلك فالله يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ومن كان في صحراء لا يستطيع معرفة القبلة مع الإجهاد أو من صلى وقت غيم وقد تحرى أجزاءه ذلك، ولا تجب عليه الإعادة على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره في ج ٢ ص ٥٥ عند قول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ اختلاف العلماء في المعنى الذي نزلت فيه ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾ على خمسة أقوال:

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيمن صلى إلى غير القبلة في ليلة مظلمة أخرجه الترمذي وذكر الحديث.

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى هذا قالوا إذا صلى في الغيم لغير القبلة ثم استبان له بعد ذلك أنه صلى لغير القبلة فإن صلاته جائزة وبه يقول سفيان وابن المبارك وأحمد وإسحاق.

قلت: أي القرطبي: وهو قول أبي حنيفة ومالك غير أن مالكا يستحب له الإعادة في الوقت وليس ذلك بواجب عليه لأنه قد أدى فرضه على ما أمر والكمال يستدرك في الوقت.. الخ انتهى.

قلت: وأما في السفر فيرخص للراكب أن يتنفل حيث توجهت به راحلته كما فعله النبي ﷺ فإذا جاء الفرض نزل عن مركوبه فيصلي إلى القبلة إلا أن يكون في الطائرة ويخاف ذهاب الوقت فيصلي على الطائرة وكذلك السفينة على أي حال كان ولو لغير القبلة مع التحري والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ الآية: ١٢٥.

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ج ٢ ص ٥١: حدثنا عمرو بن عون حدثنا هشيم عن حميد عن أنس قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - في الغيرة عليه فقلت لمن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً ممنكن فنزلت هذه الآية. ثم ذكره الإمام البخاري في التفسير ج ٩ ص ٢٣٥: وفيه متابعة يحيى بن سعيد لهشيم وذكره في الموضوعين تعليقا فيه التصريح بسامع حميد من أنس قال الحافظ في «الفتح» ج ٢ ص ٥١ فأمن من تدليسه. الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٦٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن ابن عمر واقتصر على قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ الآية. وعزاه الحافظ ابن كثير في التفسير ج ١ ص ١٦٩ إلى النسائي، وابن ماجه، وأخرجه ج ١ ص ٢٤ و ٣٦، والطبري ج ١ ص ٥٣٤ بمثل ما عند الترمذي.

التعليق:

قلت: الحكم الذي تضمنته الآية قد عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى مسلم في «صحيحه» في حجة الوداع وفيه قال جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرا: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين

وقال الإمام مسلم رحمه الله ج ١٥ ص ١٦٦: حدثنا عقبه بن مكرم العمي، حدثنا سعيد بن عامر، قال جويرية بن أسماء: أخبرنا عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر.

البيت وكان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم رجع إلى الركن فاستلمه. ج ٢ ص ٨٨٧.

وقال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ بكسر الخاء على وجه الأمر باتخاذ مصلى وهي قراءة عامة المصرين الكوفيين والبصريين وقراءة عامة قراء أهل مكة وبعض قراء أهل المدينة وذهب إليه الذين قرأوه كذلك من الخبر وذكر قصة عمر قال يا رسول الله: لو اتخذت من المقام مصلى فأنزل الله الآية إلى أن قال وقرأه بعض قراء أهل المدينة والشام ﴿واتخذوا﴾ بفتح الخاء على وجه الخبر. ثم قال: والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا: ﴿واتخذوا﴾ بكسر الخاء على تأويل الأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى للخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه آنفاً اهـ المراد.

وقد اختلف العلماء في مقام إبراهيم، والصحيح ما قاله ابن جرير أن المقام هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي هو في المسجد الحرام.

قلت: وقال بعض أهل العلم أن أصل المقام هو: الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناء الكعبة وضعف عن رفع الحجارة عليها والله أعلم.

وأما حكم الركعتين خلف المقام فهي مستحبة عند جماهير العلماء ومن تركها فلا يأثم.

قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ الآية: ١٤٢

قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: كان

رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله فأنزل

الله: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات قبل أن

نصرف إلى القبلة فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ وقال السفهاء من الناس:

ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. فأنزل الله: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ إلى

آخر الآية اهـ منقولاً من «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي ومن تفسير ابن

كثير.

التعليق

قوله سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ علم الله سبحانه أن بعض الناس سيستقد تحويل

القبلة من الشام إلى الكعبة فوقع كما أخبر والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل والجاهل الراد

للحق فاليهود والمنافقون تجاهلوا الحق وردوه.

قال الحافظ ابن جرير رحمته الله: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ سيقول الجاهل ﴿ من

الناس ﴾ وهم اليهود وأهل النفاق، وإنما ساهم الله عز وجل سفهاء لأنهم سفهوا الحق فتجاهات

أخبار اليهود وتعاضمت جهالهم وأهل الغباء منهم عن أتباع محمد ﷺ إذ كان من العرب ولم يكن

من بني إسرائيل وتحير المنافقون فتبدلوا انتهى.

وقال البراء وابن عباس ومجاهد: السفهاء هم اليهود. كما عند ابن جرير وغيره وقال السدي: وغيرهم أهل النفاق. وقال الحافظ ابن حجر: والمراد بالسفهاء الكفار وأهل النفاق واليهود انتهى. المراد من «الفتح» [ج ٨ / ص ١٧١].

وقوله سبحانه: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ أي: ما الذي صرفهم وحولهم عن هذه القبلة إلى الكعبة فظنوا أن هذا من الشك والريب ولا يعلمون أن الله عز وجل اختار لنيبه قبلة هي أفضل من الأولى ونسخ الأولى فهو يفعل ما يشاء، وقد ساق شيخنا رحمته الله الأحاديث الواردة في سبب نزول الآية فجزاه الله خيرًا.

وفي الآية التحذير من الاعتراض على الدين والسنة بالعقل والرأي، فالعقل لا يستغنى به عن الشرع فالشرع من عند الله الذي يعلم السر وأخفى ويعلم مصالح العباد في الحال والمآل كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فكثير من أهل البدع إذا استدلت عليه بآية أو حديث قال لك قد قال الشيخ الفلاني كذا وأفتى بخلاف هذه الآية أو الحديث وكذلك بعض الحزبيين يقدمون أقوال أئمتهم وقواعد حزبهم على قواعد الشرع وأدلتها، وهذا فيه خطر عظيم عليهم وعلى الدين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ الآية: ١٤٣.

قال الإمام البخاري رحمته الله في التفسير [ج ٩ / ص ٢٣٧] حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى الله عليه على آله وسلم أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

الحديث أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الإيمان ج ١ / ص ١٠٤ وقال الحافظ في الفتح ج ١ ص ١٠٤ وللمصنف في التفسير من طريق الثوري عن أبي إسحاق سمعت البراء فأمن ما يخشى من تدليس أبي إسحاق وأخرجه أبو داود الطيالسي ج ١ / ص ٨٥ وابن سعد قسم ٢ من المجلد ١ ص ٥ وابن جرير من حديث البراء وابن عباس ج ٢ / ص ١٧.

قال الإمام الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ٧٠ حدثنا هناد وأبو عمار قالوا: نا وكيع عن إسرائيل عن سيبك عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما وُجِّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ الآية هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية سماك عن عكرمة اضطراب لكنه شاهد لما قبله كما ترى.
الحديث أخرجه أبو داود ج ٤ ص ٣٥٤ والطيالسي ج ٢ ص ١٢ والحاكم ج ٢ ص ٢٦٩
وقال: صحيح الإسناد وسكت عليه الذهبي.

التعليق

قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ في الآية الكريمة أن الله سبحانه لا يضيع عمل المحسنين بل يدخر لهم ثوابها فيجازيهم بها ويتفضل عليهم بقبول أعمالهم وقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي صلاتكم فلا يضيع ثوابها وأجرها فسمى الصلاة إيماناً فهذه الآية دليل لأهل السنة والجماعة أن الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وغيرهما من الإيمان كما قال أهل السنة: الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فالله عز وجل لا يضيع صلاتهم التي كانوا يصلونها إلى بيت المقدس لأنها كانت مشروعة فهم عملوا ما كلفوا به فالله سيعطيهم أجرهم في اتجاههم إلى بيت المقدس وأجرهم في اتجاههم إلى الكعبة لأنهم في ذلك يتابعون رسولهم الكريم عليه الصلاة والسلام وهذا من رحمة الله بهم.

قوله تعالى:

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية ١٤٤.

قال الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه ج ٢ ص ٤٨: حدثنا عبد الله بن رجاء قال:

حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن

يوجه إلى الكعبة فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ فتوجه نحو

الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها:

﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ فصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

رجل ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس

فقال: هو يشهد انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى

توجهوا نحو الكعبة.

الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٧٩ وقال: حسن صحيح. وابن ماجه رقم ١٠١٠.

وفيه سبب نزول: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ والإمام أحمد ج ٤ ص ٢٧٤

والدارقطني ج ١ ص ٢٧٤ وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير، وابن سعد في

«الطبقات» مجلد ٤ قسم ٢ وعندهما زيادة وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن

قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله: ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط

مستقيم ﴾.

وقال الإمام مسلم رحمته الله ج ٥ ص ١٠: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا

حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي نحو بيت المقدس

فنزلت: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى ألا إن القبلة قد حولت فما لولا كما هم نحو القبلة.
وكذا أخرجه ابن سعد قسم ٢ من المجلد ص ٤.

التعليق

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي: قد نرى يا محمد تقلب وجهك في السماء
ترجو الأمر منا بتحويل القبلة.

ومعنى: ﴿تقلب وجهك﴾ التحول والتصرف، قاله ابن جرير، فالنبي ﷺ كان كثيراً ما ينظر إلى
السما رجاء أن يحول الله له القبلة فأعطاه الله ما كان يرجوه وفي الآية دليل على علو الله وأن الله
تعالى في السماء كما هي عقيدة السلف الصالح.

وقوله: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي: توجه بوجهك في الصلاة قبل المسجد الحرام
فالشطر هنا الجهة والناحية والمسجد الحرام الكعبة بالإتفاق.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية ١٥٨.

قال الإمام البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٢٤٤: حدثنا أبو اليان أخبرنا شعيب عن الزهري قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، فقالت: بشس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمائة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية، قالت عائشة رضي الله عنها وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتخرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تخرجوا أن يطوفوا

بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت.

الحديث أخرجه أيضًا البخاري ج ٤ ص ٣٦٤ ولم يذكر فيه أبا بكر بن عبد الرحمن وما قاله، وفي ج ١٠ ص ٢٣٦ مختصرًا، وأخرجه مسلم ج ٩ ص ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ وأخرجه الترمذي وفيه التصريح بأن قائل فأخبرت هو الزهري ج ٤ ص ٧٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود ج ٢ ص ١٢١ وليس فيه ما قاله الزهري لأبي بكر بن عبد الرحمن، والنسائي ج ٥ ص ١٩٠ [بمثل ما عند أبي داود، وابن ماجه رقم ٢٩٨٦، وأخرجه الإمام أحمد ج ٦ ص ١٤٤ و ٢٢٧، والإمام مالك في «الموطأ» ج ١ ص ٣٣٨، الحميدي ج ١ ص ١٠٧.

قال البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ج ٩ ص ٢٤٢: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عاصم بن سليمان، قال: سألت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنها من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنها فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ...﴾.

التعليق

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّافَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الصفا هي: الصخرة الملساء، والمروة هي: صخرة أصغر من الصفا قال الإمام الطبري في تفسيره: إنما عنى الله تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ الصَّافَاَ وَالْمَرْوَةَ﴾ في هذا الموضع الجبلين المسمين بهذين الاسمين اللذين في حرمه دون سائر الصفا والمروة ولذلك أدخل فيها الألف واللام.

الحديث أخرجه مسلم ج ٩ ص ٢٤، والترمذي وصححه ج ٤ ص ٧١ عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. ولا مانع من أن الآية نزلت في الجميع.

وقوله سبحانه: ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: من معالم الله التي جعلها تعالى ذكره لعباده معلماً ومشعراً يعبدونه عندها إما بالدعاء وإما بالذكر وإما بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها انتهى. قلت: العبادة عندهما هو السعي بينهما مع الحج والعمرة ومع السعي الدعاء والذكر والقراءة والتسبيح فكل ذلك يصلح، والأدلة على ذلك كثيرة يرجع إلى موضوعها، والسعي بين الصفا والمروة من واجبات الحج والعمرة لا يتم حج المسلم وعمرته إلا به.

وبعض الجهلة من الحجاج يتمسحون بالصفا والمروة ويظنون أن البركة تحصل بلمسها وهذا غلط وحرام بل وسيلة من وسائل الشرك فطلب البركة تكون من الله والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. وأما الحجارة فهي لا تنفع ولا تضر فعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر الأسود وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. رواه البخاري وغيره.

وبعضهم يتمسح بالتابوت الذي غلف به مقام إبراهيم عليه السلام وآخرون يتمسحون بأستار الكعبة وهذا حرام وبدعة وطلب النفع من غير محله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وجزى الله القائمين على أمر الحرم خيراً حيث أنهم يحذرون الناس من ذلك وينهونهم عنه.

قوله تعالى:

﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ الآية ١٨٧.

قال الإمام البخاري رحمته الله ج ٥ ص ٣١: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد صلوات الله عليهم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فقالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلوات الله عليهم، فنزلت هذه الآية: ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾.

الحديث أعاده الإمام البخاري في كتاب التفسير مع تغيير في بعض السند وفيه تصريح أبي إسحاق بالسماع ولفظ منته: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله تعالى: ﴿ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. وظاهرهما التغاير لكن لا مانع من أن تكون نزلت في هؤلاء وفي هؤلاء.

ورواه أبو داود ج ٢ ص ٢٦٥ والنسائي ج ٤ ص ١٢١ وقد جمع حديثي البخاري فعلمنا أن القضيتين معاً كانتا سبب النزول والإمام أحمد ج ٤ ص ٢٩٥ والدارمي ج ٢ ص ٥.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ومما يتعلق بالآية ما ذكره الحافظ ابن كثير في ج ١/ ص ٤٠٥، ط: دار الراجية وقال موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: إن الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل فيهم يأكلون ويشربون ويحل لهم شأن النساء فإذا نام أحدهم لم يطعم ولم يشرب ولا يأتي أهله حتى يفطر من القابلة فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعدما وجب عليه الصوم وقع على أهله ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال: اشكوا إلى الله وإليك الذي صنعت فقال: وما صنعت؟ قال: إني سولت لي نفسي فوقعت على أهلي بعد ما نمت وأنا أريد الصوم فزعموا أن النبي ﷺ قال: «ما كنت خليقاً أن تفعل» فنزل الكتاب ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قيس بن سعيد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة في قول الله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ - إلى قوله - ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ قال: كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا وإن عمر بن الخطاب أصاب من أهله بعد صلاة العشاء وأن صرمة بن قيس الأنصاري غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشبع من الطعام ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله ﷺ العشاء فآكل وشرب، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فأنزل الله عند ذلك: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾.

قال شيخنا مقبل الوداعي رحمته الله تعالى: وأما طريق موسى بن عقبة فصحيح وكذا حديث أبي هريرة صحيح إن كان الحافظ ابن كثير نقله من كتاب سعيد بن أبي عروبة فإن سعيدًا من أول المؤلفين في كتب المصطلح. اهـ. من تعليقه على ابن كثير.

وهذا من رحمة الله بالناس أنه رفع عنهم هذا الحرج والمشقة وفيه رد على من ينكر النسخ والأدلة في ذلك كثيرة وهذا منها - والحمد لله على إحسانه.

قوله تعالى:

﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ الآية ١٨٧.

قال الإمام البخاري رحمته الله ج ٥ ص ٣٥: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد ح وحدثني سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف قال: حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أنزلت: ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ ولم ينزل ﴿ من الفجر ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد: ﴿ من الفجر ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار.

الحديث أعاده في التفسير من حديث ابن أبي مريم بالسند الأخير وهو من الأحاديث النادرة التي أعادها بدون تغيير وأخرجه مسلم ج ٧ ص ٢٢٠.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ وما يتعلق بالآية ما أخرجه مسلم رحمته الله تعالى برقم [١٠٩٠] من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ قال له عدي بن حاتم يا رسول الله: إني أجعل تحت وسادتي عقالين أبيض وعقالاً أسود أعرف الليل من النهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن وسادتك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار.

وكذلك أخرجه البخاري بنحوه برقم [١٩١٦]، وأخرج الشيخان نحوه عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: واختلف في الحد الذي بتينه يجب الإمساك فقال الجمهور: ذلك الفجر المعترض في الأفق يمنا ويسرة وبها جاءت الأخبار ومضت عليه الأمصار. روى مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني: معترضًا وفي حديث ابن مسعود: «إن الفجر ليس الذي يقول هكذا وجمع أصابعه ثم نكسها ولكن الذي يقول هكذا ووضع المسبحة على المسبحة ومد يديه» وذكر قول طائفة من السلف أن الإمساك يجب بتبين الفجر في الطرق وعلى رؤوس الجبال.. انتهى.

والقول الأول هو الصواب لأنه هو الذي يوافق الأدلة وطالب العلم إذ رأى العلماء اختلفوا فليأخذ بالقول الذي يوافق الدليل، والحمد لله على توفيقه.

قوله تعالى:

﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ الآية ١٨٩.

قال الإمام البخاري ج ٤ ص ٣٧٠ حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول: نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا ولم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه عيّر بذلك فنزلت: ﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

الحديث أعاده البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب التفسير فقال حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق به ج ٩ ص ٢٤٩ وأخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٦١ وأخرجه الطيالسي ج ٢ ص ١٢.

قال الحاكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ج ١ ص ٤٨٣: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ثنا أبو الجواب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت قريش يدعون الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من الأبواب في الإحرام فيينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بستان فخرج من بابه وخرج معه قطية بن عامر الأنصاري فقالوا: يا رسول الله إن قطية بن عامر رجل فاجر إنه خرج من بابه فقال: « ما حملك على ذلك؟ » قال: رأيتك فعلت ففعلت كما فعلت فقال: « إني أحسي » فقال: إني ديني دينك فأنزل الله عز وجل: ﴿ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

بهذه الزيادة.

أبو الجواب الأحوص بن جواب وعمار بن زريق ليسا من رجال البخاري فهو على شرط مسلم فقط. ثم وجدت الحافظ يقول في الفتح ج ٤ ص ٣٧١ طبعة الحلبي وهذا الإسناد وإن كان على شرط مسلم لكن اختلف في وصله على الأعمش عن أبي سفيان فرواه عبد الحميد فلم يذكر جابراً، أخرجه بقي وأبو الشيخ في تفسيرهما من طريقه. اهـ.

التعليق:

قلت: معنى الآية الكريمة هو ما قاله الإمام الحافظ ابن جرير رحمته الله في تفسيره: فتأويل الآية إذا: وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها ولكن البر من اتقى الله فخافه وتجنب محارمه وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها فأما إتيان البيوت من ظهورها فلا بر لله فيه، فأتوها من حيث شئتم من أبوابها، وغير أبوابها ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال فإن ذلك غير جائز لكم اعتقاده لأنه مما لم أحرمه عليكم.. اهـ.

وأما قوله عليه السلام في الحديث: «إني أحسي» أي من قريش الذين كانوا يسمون بالحمس أي الذين يتشدون لدينهم ويتحمسون له.

وقال الحافظ القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: والحمس: قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم
 وبنو عامر بن صعصعة وبنو نصر بن معاوية وسموا حمسًا لتشديدهم في دينهم والحماسة الشدة قال
 العجاج: وكم قطعنا من قفاف حمس؛ أي: شداد انتهى.

قلت: وفي القصة فضيلةٌ لهذا الصحابي قطية رضي الله عنه حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ديني دينك، وهكذا
 ينبغي لكل مسلم أن يتبع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالبر والخير كله في اتباعه صلى الله عليه وسلم لا في الاستحسان
 والتهور.

قوله تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية ١٩٥.

وقال الإمام البخاري رحمه الله ج ٩ ص ٢٥١: حدثنا إسحاق حدثنا النضر حدثنا شعبة عن سليمان قال: سمعت أبا وائل عن حذيفة: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: نزلت في النفقة.

قال الترمذي رحمه الله ج ٤ ص ٧٢: حدثنا عبد بن حميد حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل عن حيوة بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصره فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله صلوات الله عليه: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصره فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه صلوات الله عليه يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. هذا حديث حسن غريب صحيح.

وأخرج أبو داود بمثل حديث الترمذي، إلا أنه قال: وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأخرج حديث الترمذي ابن حبان ص ٤٠١ من موارد الظمان

وأخرجه الطيالسي ج ٢ ص ١٣ وأخرجه الحاكم ج ٢ ص ٢٧٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي، لكن أسلم أبو عمران لم يخرجاه له شيئاً فهو ليس على شرطهما وهو ثقة كما في "تهذيب التهذيب".

وقال الطبراني رحمته الله في الكبير ج ٢٢ ص ٣٩٠: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله فأصابتهم سنة فأمسكوا فأنزل الله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.

هذا حديث صحيح إن ثبتت صحبة أبي جبيرة وسيأتي الكلام عليه في سورة الحجرات إن شاء الله.

وعن النعمان بن بشير في قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قال: كان الرجل يذنب فيقول: لا يغفر الله لي فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاهما رجال الصحيح. اهـ.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يأمر تعالى بالإنفاق في سبيل الله، وهو هنا الجهاد في سبيل الله فإن الجهاد لا يقوم إلا بالنفقة، وهي له كالروح للجسد، وهي من الجهاد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ فقرن الجهاد بالمال الجهاد بالنفس، لأنه لا يقوم إلا بهما، فالأغنياء

وفي الفتح ج ٩ ص ٢٥١ من حديث البراء نحوه قال الحافظ: وسنده صحيح ثم قال: والأول أظهر لتصدير الآية بذكر النفقة فهو المعتمد في نزولها. اهـ.
وأقول: لا داعي لإلغاء الروایتين، أعني رواية النعمان والبراء مع صحتها فالآية تشمل من ترك الجهاد وبخل، وتشمل من أذنب وظن أن الله لا يغفر له ولا مانع من أن تكون الآية نزلت في الجميع. والله أعلم.

إذا أنفقوا على المجاهدين في سبيل الله دفع الله عن المسلمين شر الكفار وأوهمهم وقوى المسلمون ورفعهم، وكذلك الإنفاق في طرق الخير الأخرى مثل الإنفاق على المسكين والأرملة وبناءة المساجد ودور الحديث والفقهاء، ومشاريع الخير كثيرة لأن في هذا تقوية للمسلمين وزيادة في الأخوة والمحبة وبناءة المجتمع وإذهاباً للحسد من جهة الفقراء للأغنياء.

وقال البخاري في تفسير هذه الآية من صحيحه [٤٥١٦]: حدثني إسحاق أخبرنا النضر حدثنا شعبة عن سليمان قال: سمعت أبا وائل عن حذيفة ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قال: نزلت في النفقة. وفي ترك النفقة في سبيل الله والجهاد هلكة للمسلمين لأن عدوهم يسطو عليهم ويقهرهم، فإذا حصل ذلك هلك المال والنفوس، والعياذ بالله، فقولوه: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ تحذير من البخل والركون إلى الدنيا وأنه سبب لهلاك الدنيا والدين، ولهذا الصحابة رضي الله عنهم أسرعوا إلى الإنفاق في سبيل الله وخرجوا مجاهدين ولم يرجعوا إلى إصلاح الأموال، ففازوا وأعزهم الله وقهر الله بهم الفرس والروم، فينبغي الإقتداء بهم والسير خلفهم، ففيه الفوز والفلاح، وفق الله المسلمين لكل بر.

وقال الإمام ابن جرير: فمعنى قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ولا تستسلموا للهلكة

فتعطوها أزمتمكم فتهلكوا، والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله، وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضات الثمانية «في سبيله» إلى أن قال: وكذلك الأئس من رحمة الله لذنب سلف منه ملق بيديه إلى التهلكة لأن الله قد نهى عن ذلك فقال: ﴿ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ وكذلك التارك غزوا المشركين وجهادهم في حال وجوب ذلك عليه في حال حاجة المسلمين إليه مضيع فرضًا ملق بيده إلى التهلكة، ثم ذكر أن الآية تحتل هذه المعاني كلها. فرحمه الله تعالى.

وأنت ترى لما ترك المسلمون غزوا المشركين؟ تسلط بعض المشركين على بعض بلاد الإسلام وصار المسلمون مهتدين مع أن كثيرًا من حكام المسلمين قادر على جهاد اليهود والنصارى وغيرهم من الملاحدة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي الآية أيضًا بيان المفهوم الشرعي للهلكة، وهو: الركون إلى الدنيا وترك الجهاد والنفقة في سبيل الله والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الآية ١٩٦.

قال الطبراني كما في مجمع البحرين من زوائد المعجمين مخطوط ج ٢ ص ١٤١:
حدثنا أحمد^(١) حدثنا محمد بن سابق ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عطاء بن
أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال: جاء إلى رسول الله ﷺ وقال:
كيف تأمرني يا رسول الله في عمري؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾
فقال رسول الله ﷺ: «من السائل عن العمرة؟» فقال: أنا. فقال: «ألق ثيابك
واغتسل واستنشق ما استطعت وما كنت صانعًا في حجتك فاصنع في عمرتك».
لم يروه عن أبي الزبير إلا إبراهيم ولم يدخل أبو الزبير بين عطاء و صفوان أحدًا. ورواه
مجاهد عن عطاء عن صفوان عن أبيه قلت: هذا في الصحيح سوى قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ
وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ اهـ.

وقال في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٠٥: وعن يعلى بن أمية قال: جاء رجل إلى رسول الله
ﷺ متضمن بالخلق عليه مقطعات قد أحرم بعمرة وذكر الحديث ثم قال: رواه
الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. اهـ. وذكره الحافظ في الفتح وسكت
عليه.

وأما استغراب ابن كثير رحمه الله له في تفسيره فلا وجه له لأن قوله عند الطبراني فتزل
عليه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ مبين لحديث الصحيحين الذي فيه فتزل عليه

(١) في الأصل بياض بين حدثنا أحمد وحدثنا محمد.

الوحي. وأما كونه عند ابن أبي حاتم عن صفوان ابن أمية فالظاهر أنها سقطت منه عن أبيه ويكون الحديث عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه كما في الصحيحين والأوسط للطبراني، وغيرهما من كتب الحديث.

التعليق:

ومما يتعلق بالآية:

قال الإمام البخاري رحمه الله [١٥٦٢]: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع، فمنا من أهل بعمره، ومنا من أهل بحجة وعمرة، ومنا من أهل بالحج، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج، فأما من أهل بالحج والعمرة لم يخلوا حتى كان يوم النحر. وأخرجه الإمام مسلم ج ٢ ص ٨٧٣.

وفي الآية أن من دخل في نسك من حج أو عمرة فيجب عليه أن يتمها ولو كانا نافلتين وكذلك الحديث يشهد لذلك وليس في الآية أنه لا يتمتع بالعمرة إلى الحج وإنما يجب عليه أن يستمر في إحرامه حتى يحل يوم النحر من ساق الهدى من الميقات وجمع بين الحج والعمرة.

وقد كان عمر يأمر بذلك وينهى عن التمتع كما في البخاري [١٥٥٩] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوم باليمن، فجنث وهو بالبطحاء فقال: «بما أهلت؟» قلت: أهلت كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هل معك من هدي؟» قلت: لا، فأمرني فطفت بالبيت وبالصفا والمروة، ثم أمرني فأحللت فأتيت امرأة من قومي، فمشطتني أو غسلت رأسي، فقدم عمر رضي الله عنه فقال: إن نأخذ بكتاب الله فإنه يأمرنا بالتمام قال الله تعالى: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ وإن نأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه

لم يجل حتى نحر الهدي. وأخرجه الإمام مسلم في الحج باب ٢٢ ج ٢ ص ٨٥٩.
ويستفاد من الآية وجوب الحج والعمرة وقد ذهب إلى هذا بعض السلف واستدلوا بالآية.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنها لقريبتها في كتاب الله: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾.
وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة. علقها البخاري في كتاب العمرة،
ويوب باب العمرة ووجوب العمرة وفضلها ج ٣ ص ٥٩٧.
قال الحافظ: وجزم المصنف بوجوب العمرة، وهو متابع في ذلك للمشهور عن الشافعي وأحمد
وغيرهما من أهل الأثر.
والعمرة في اللغة: الزيارة، وقيل: إنها مشتقة من عمارة المسجد الحرام انتهى كلامه.

قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾

الآية ١٩٦.

قال الإمام البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٣٨٧: حدثنا أبو نعيم حدثنا سيف قال:

حدثني مجاهد قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أن كعب بن عجرة حدثه قال:

وقفت على رسول الله عليه وعلى آله وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملا فقال:

«يؤذيك هوامك؟»، قلت: نعم، قال: «فاحلق رأسك أو احلق»، قال: في نزلت هذه

الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ إلى آخرها، فقال النبي ﷺ:

«صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق بين ستة أو انسك مما تيسر».

الحديث أخرجه أيضًا الإمام البخاري في كتاب التفسير ج ٩ ص ٢٥٢ وفي المغازي ج ٨

ص ٤٥١ و ص ٤٦٣ و مسلم ج ٨ ص ١١٩ و ١٢٠ و الترمذي ج ٤ ص ٧٣ وقال:

حديث حسن صحيح وأبو داود ج ٢ ص ١١١ وابن ماجه رقم [٣٧٩] والإمام أحمد

ج ٤ ص ٢٣١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ والطيالسي ج ٢ ص ١٣ والدارقطني ج ٢ ص ٢٩٨ وابن

جرير ج ٢ من طرق إلى كعب بن عجرة.

التعليق:

في هذه الآية رخصة لمن كان مريضًا وهو محرم، واحتاج إلى أن يلبس ثوبًا ونحوه من ممنوعات

الإحرام أو يخلق من مرض أو أذى من قمل ونحوه، فإن له ذلك وعليه الفدية المخيرة، وهذه من

محاسن الشريعة الإسلامية.

قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله: ﴿فمن كان منكم مريضًا..﴾ أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من حلق شعره وجزه وإتلافه بحلق أو نورة أو غير ذلك إلا في حالة العلة كما نص على ذلك القرآن وأجمعوا على وجوب الفدية على من حلق وهو محرم بغير علة واختلفوا فيما على من فعل ذلك أو لبس أو تطيب بغير عذر عامدًا فقال مالك: بئس ما فعل! وعليه الفدية وهو مخير فيها وسواءً عنده العمد في ذلك والخطأ لضرورة أو غير ضرورة. وقال أبو حنيفة والشافعي وأصحابها وأبو ثور: ليس بمخير إلا في الضرورة لأن الله تعالى قال: ﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه﴾ فإذا حلق رأسه عامدًا أو لبس عامدًا لغير عذر فليس بمخير وعليه دم لا غير. اهـ.

قلت: قول مالك أقرب أنه مخير وفعله سيء وعليه التوبة مع الفدية إن حلق بغير عذر أو لبس ثوبًا من الممنوع في الإحرام، والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ الآية ١٩٧ .

قال البخاري رحمه الله ج ٤ ص ١٢٧: حدثنا يحيى بن بشر حدثنا شعبة عن ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا المدينة سألوها الناس فأنزل الله تعالى:

﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ ورواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلًا.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٧٥ وعزاه ابن كثير والشوكاني إلى عبد بن حميد والنسائي، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ج ٢ ص ٢٧٩.

التعليق:

في هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ الحث على الأخذ بالأسباب المباحة التي هي قوام الحياة، فقد جعل الله لكل شيء سببًا، وترك الأخذ بالأسباب تفريطًا، والأخذ بالأسباب المباحة لا ينافي التوكل بل هو مطلوب، فبعض الأسباب الأخذ بها واجب من العدة للعدو بقدر الاستطاعة، وكذلك الأكل إذا خاف الإنسان على نفسه الموت وجب الأكل حتى يسد رمقه، وبعض الأحيان يكون الأخذ بالسبب مستحبًا، وتارة يكون مباحًا، والأدلة على ذلك كثيرة، فعلى المسافر للحج أن يأخذ الزاد الذي يظن أنه سيكفيه حتى يرجع إلى أهله من طعام أو سويق أو فلوس ونحو ذلك من الزاد، وعلى المجاهد الذي يخرج للجهاد أن يأخذ ما يحتاجه من زاد وسلاح كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل، فلسنا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوكل، فقد كان يأخذ بالأسباب المناسبة، وهو إمام المتوكلين عليه الصلاة والسلام، وبعد أن أمر الله تعالى بالتزود للدنيا أرشد أن يتزود الناس

.....
بالتقوى وأن يصاحبوها زادًا للأخرة، وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُؤَارِي سَوْءَ أَيْتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأعراف ٢٦.
لما أرشدهم إلى اللباس الحسي أرشدهم سبحانه إلى اللباس المعنوي وهو الهدى والتقوى والخشوع
والخضوع لله سبحانه والانقياد لطاعته سبحانه فهو خير من لباس الثياب والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية: ١٩٨.

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ج ٥ ص ٢٢٤: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ﴾ قرأ ابن عباس كذا.

الحديث أخرجه أيضًا في كتاب التفسير ج ٩ ص ٢٥٢ عن شيخه محمد عن ابن عيينة وأخرجه أبو داود ج ٢ ص ٧٥ والحاكم ج ١ ص ٤٤٩ وج ٢ ص ٢٧٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١) وأقره الذهبي، وأخرجه ابن جرير ج ٢ ص ٢٧٣.

قال أبو داود ج ٢ ص ٧٥: حدثنا مسدد نا عبد الواحد بن زياد نا العلاء بن المسيب نا أبو أمامة التيمي، قال: كنت رجلًا أكرى في هذا الوجه وكان ناس يقولون: إنه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت: يا أبا عبد الرحمن إني رجل أكرى في هذا الوجه وإن ناسًا يقولون إنه ليس لك حج؟ فقال ابن عمر: أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار؟ قال: قلت: بلى، قال: إن لك حجًا. جاء رجل إلى النبي صلوات الله وسلاماته عليه فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت عنه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه ولم يجبه حتى نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فأرسل إليه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه وقرأ عليه الآية وقال: «لك حج». هذا حديث صحيح..

(١) قول الحاكم: ولم يخرجاه وهم فقد أخرجه البخاري كما رأيت.

الحديث أخرجه الإمام أحمد ج ٢ ص ١٥٥ والدارقطني ج ٢ ص ٢٩٢ وابن جرير ج ٢ ص ٢٨٢.

التعليق:

ومما يتعلق بالآية:

قال ابن جرير رحمته الله حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن الزبير يقرأ: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج﴾. اهـ.

وقد فسر الآية بهذا غير واحد من المفسرين أي: بإباحة التجارة في مواسم الحج كما في تفسير ابن جرير وغيره.

ومعنى الآية: أن الله رفع الجناح - وهو الإثم - عمّن تجر في مواسم الحج وإن كان حاجاً فما دام أنه يؤدي مناسك الحج فله حج ولا شيء عليه في البيع والشراء والكراء وغير ذلك من الكسب الحلال وإن كان المتفرغ للحج أفضل لأنه سيذكر أكثر ويدعو ويتحرى السنن والمستحبات، وإباحة الكسب في الحج هذا من رحمة الله بالناس، فبعضهم يتكسب فيه ويقتات سنة والفضل كله لله، وأما الكسب الحرام كالصوير للحجاج وبيع السجائر والسلع المغشوشة والرديئة استغلالاً لحاجة الحجاج وعدم مراجعتهم إليه ويحلفون لهم الأيمان الكثيرة، فهذا إثم وباطل وبعض الحجيج يظن أنه لا يغش أحد في الحرمين، والله المستعان.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الآية ١٩٩.

قال الإمام البخاري رحمته الله ج ٣ ص ٥١٥ (طبعة سلفية مع الفتح): حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة قال عروة: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس - والحمس قريش وما ولدت - وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض الحمس من جمع. قال: وأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها ﴿أن هذه الآية نزلت في الحمس: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات.

وقال البخاري رحمته الله ج ٨ ص ١٨٦: حدثنا علي بن عبد الله ثنا محمد بن حازم حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكان يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله صلى الله عليه وسلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.

الحديث أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٩٧ وأبو داود ج ٢ ص ١٣٢ والترمذي ج ٣ ص ٦٢٥ والنسائي ج ٥ ص ٢٥٥ والطيالسي ج ٢ ص ١٣ وابن حبان كما في موارد الظمان ص ٤٢٥ وابن جرير ج ٢ ص ٢٩١ وأخرج ابن جرير ج ٢ ص ٢٩٢ من حديث ابن عباس نحوه، ولكنه من حديث ابن عباس ضعيف لأنه من طريق حسين بن عبدالله

ابن عبید الله بن العباس بن عبد المطلب وهو ضعيف وقد نسب هنا إلى جده والمعتمد على حديث عائشة السابق والله أعلم.

التعليق:

وقول عروة: والحمس قريش، يعني: أنهم يتشددون لدينهم ويتحمسون له، بخلاف غيرهم، ومعنى قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال ابن جرير رحمته الله: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ومن المعنى بالأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس ومن الناس الذين أمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم فقال بعضهم: المعنى بقوله: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا﴾ قريش ومن ولدته قريش الذين كانوا يسمون في الجاهلية الحمس أمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات وهي التي أفاض منها سائر الناس غير الحمس وذلك أن قريش ومن ولدته قريش كانوا يقولون: لا نخرج من الحرم، فكانوا لا يشهدون موقف الناس بعرفة معهم فأمرهم بالوقوف معهم. اهـ.

قلت: وأيضاً مما يؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف بعرفات قبل الهجرة، قال جبير بن مطعم رضي الله عنه: أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقلت: هذا والله من الحمس فما شأنه ها هنا؟ رواه البخاري [١٦٦٤].

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ الآية ٢٠٧.

قال الإمام أبو عبد الله الحاكم في مستدرکه ج ٣ ص ٣٩٨: حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الزاهد حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة، فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجلٍ منكم سهمًا ثم أصير بعده إلى السيف فتعلمون أني رجل وقد خلفت بمكة قيتين فهما لكم. قال: وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس نحوه ونزلت على النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ الآية. فلما رآه النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ربيع البيع» قال: وتلا عليه الآية.

صحيح على شرط مسلم ولم يخرج له.

الحديث له طرق أخر أغلبها مراسيل كما في الإصابة ج ٢ ص ١٨٨ وفي الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٦٢ و ١٦٣ من القسم الأول وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة وتدل على ثبوته.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ معنى يشري نفسه: يبيع نفسه لله مبتغيًا الأجر من الله تعالى. و «ابتغاء» نصب على أنه مفعول من أجله ومعناه: ملتئمًا الثواب من الله تعالى، وصهيب هو: ابن سنان بن مالك، ويقال خالد بن عمرو بن عقيل، ويقال: طفيل بن

عامر بن جندلة بن سعد بن حذيم بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط النمري أبو يحيى، وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبّوه صغيراً، قال ابن سعد: وكان أبوه وعمه على الأبله من جهة كسرى، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه، ويقال: بل هرب من الروم فقدم فحالف ابن جدعان.

اهد المراد من الإصابة لابن حجر ٢/ ١٩٥.

وهذه الآية مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١. وفي هذا فضيلة لصهيب ومن كان على شاكلته، وفيه فضل الإخلاص وعظم منزلته في الإسلام.

وقوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية: ٢٢٢.

قال الإمام مسلم رحمته الله: وحدثني زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا

حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم

يواكلوها ولم يجامعوهم في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلوات الله عليهم فأنزل الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فقال رسول الله

صلوات الله عليهم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن

يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول

الله إن اليهود تقول كذا وكذا فلا نجتمعن، فتغير وجه رسول الله صلوات الله عليهم حتى ظننا أن

قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلوات الله عليهم فأرسل في آثارهما فعرفا

أن لم يجد عليهما.

أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٧٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأبو داود ج ١

ص ١٠٧ والنسائي ج ١ ص ١٢٥ وص ١٣٥ وابن ماجه رقم ٦٤٤ وأحمد ج ٣

ص ٢٧٦ والطيالسي ج ٢ ص ١٤.

التعليق:

قلت: في هذا الحديث أن ديننا دين وسط وعدل ليس فيه تشديد كاليهود ولا تساهل كالنصارى،

فالمرأة إذا حاضت يجوز مخالطتها ومباشرتها ومواكلتها، وإنما يحرم الجماع وقد كان النبي صلوات الله عليهم يأمر

بعض نسائه أن تأتزر فيباشرها وهي حائض كما في الصحيحين عن عائشة وغيرها.

وفي الحديث المتعلق بالأية: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمر دينهم سألوا عنه ولا يصحرون في ذلك وإن كان عما لا يحسن ذكره في غير مجالس العلم، وهذا يرد على من يقولون: أن أهل الحديث مشغولون بأمور الحيض والنفاس، فما أنت ترى أن فاضلين من فضلاء الصحابة قد شغلهم هذا الأمر، وسألوا نبيهم فين لهم ما أشكل عليهم في ذلك مع أنهم هم اللجلاء والذميمة والمتفقون، صفات الحير فيهم مكتملة، فيبغى لطية العلم ألا تؤثر فيهم هذه اللذميمة.

وفي الحديث أن للفتي رجز من يعارض الدليل برأيه والعطف عليه بعد ذلك ليذهب ما في نفسه، لأن المقام مقام تطليم والله أعلم.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره ٥٥ / ٣: أجمع العلماء على أن للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم الظاهر السلئل من فرجها، فمن ذلك الحيض المعروف ودمه أسود خائر تعلقه حمرة تترك له الصلاة والصوم لا خلاف في ذلك، وقد يتصل ويتقطع، فإن اتصل فالحكم ثابت له، وإن انقطع فرأت الدم يوماً والظهر يوماً أو رأت الدم يومين والظهر يومين أو يوماً فإنها تترك الصلاة في أيام الدم وتتخسل عند انقطاعه وتصلي ثم تلفق أيام الدم وتلغي أيام الظهر المتخللة لها، ولا تحتسب بها ظهراً في علة ولا استبراء والحيض خلقة في النساء وطبع معتاد معروف منهن.

وقال رحمته الله: وأجمع العلماء على أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، لحديث معاذة قالت: سألت عائشة فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. أخرجه مسلم

فإذا انقطع عنها كان طهرها منه الغسل. اهـ المراد.

ويرجع في قلة الحيض وكثرته إلى عادة النساء على الصحيح فبعض النساء تحيض أسبوعًا وأخرى عشرة أيام وأخرى أكثر وبعضهن تحيض يومًا أو يومين وهكذا، وقد اختلف العلماء في أكثره وفي أقله، فقال بعضهم: يرجع إلى عادتهن. والله أعلم.

مسألة: ودم النفاس عند الولادة حكمه حكم دم الحيض فلا يجوز صلاتها وصيامها ونكاحها حتى ينقطع عنها الدم وتغتسل منه، ومتى انقطع عنها الدم وجب عليها الغسل وتصلي وترجع كما كانت قبل الولادة ولو لم تمض عليها أربعون يومًا، فلو انقطع عنها الدم بعد أسبوع أو عشرين يومًا فلتغتسل ولا تنتظر وفاء الأربعين، والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ الآية ٢٢٣.

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٩ ص ٢٥٧: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله قال: كانت اليهود تقول إذا جامعها من وراءها جاء الولد أحول فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٠ ص ٦ و ٧ وفيه زيادة: «إِنْ شَاءَ مَجْبِيَةٌ»^(١) وَإِنْ شَاءَ غَيْرَ مَجْبِيَةٍ غَيْرَ أَنْ ذَلِكَ فِي صِهَامٍ وَاحِدٍ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ج ٤ ص ٧٥ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو دَاوُدَ ج ٢ ص ٢١٥ وَابْنُ مَاجَةَ رَقْم ١٩٢٥ وَالْحَمِيدِيُّ فِي الْمَسْنَدِ ج ٢ ص ٥٣٢.

قال الإمام أحمد رحمه الله ج ٦ ص ٣٠٥: ثنا عفان ثنا وهيب ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط قال: دخلت على حفصة ابنة عبد الرحمن فقلت: إني سأئلك عن أمر وأنا أستحي أن أسألك عنه فقالت: لا تستحي يا ابن أخي قال: عن إتيان النساء في أدبارهن؟ قالت: حدثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا لا يجيئون النساء وكانت اليهود تقول: إنه من جبي امرأته كان ولده أحول، فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فجيئهن فأبت امرأة أن تطيع زوجها فقالت لزوجها: لن

(١) هذه الزيادة ضعيفة لأن الراوي لها النعمان بن راشد وهو ضعيف وقال الحافظ في الفتح: وهذه الزيادة يشبه أن تكون من تفسير الزهري لخلوها من رواية غيره من أصحاب ابن المنكدر مع كثرتهم. اهـ. وأقول: معناها مستفاد من أدلة أخرى كما في الفتح.

تفعل ذلك حتى آتى رسول الله ﷺ فدخلت على أم سلمة فذكرت ذلك لها فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله ﷺ، فلما جاء رسول الله ﷺ استحت الأنصارية أن تسأله فخرجت فحدثت أم سلمة رسول الله ﷺ فقال: «ادعي الأنصارية» فدعيت فتلا عليها هذه الآية: ﴿نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ صاماً واحداً.

حديث أم سلمة ظاهره يخالف حديث جابر ويرجح حديث جابر لأنه متفق عليه ولأن حفصة بنت عبد الرحمن لم يوثقها إلا العجلي وابن حبان وهما متساهلان. وأما ما جاء عن ابن عمر أنها نزلت في إتيان النساء في أدبارهن كما في البخاري الإشارة إليه وفي الفتح ج ٩ ص ٢٥٥ و ص ٢٥٦ فقد رده العلماء وعلى رأسهم حبر الأمة كما في الفتح، وقال أبو جعفر بن جرير رحمته الله في تفسيره ج ٢ ص ٣٩٨ بعد ذكره الرد على ذلك وتبين بما بيننا صحة معنى ما روي عن جابر وابن عباس من أن هذه الآية نزلت فيما كانت اليهود تقوله للمسلمين إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول. وقد قال قبل ذلك: وأي محترث في الدبر فيقال: اتته من وجهه.

وقال العلامة الشوكاني بعد ذكره بعض القائلين بالجواز: وليس في أقوال هؤلاء حجة البتة. ولا يجوز لأحد أن يعمل على أقوالهم فإنهم لم يأتوا بدليل يدل على الجواز فمن زعم منهم أنه فهم ذلك من الآية فقد أخطأ في فهمه كائناً من كان ومن زعم منهم أن سبب نزول الآية أن رجلاً أتى امرأته في دبرها فليس في هذا ما يدل على أن الآية أحلت ذلك ومن زعم ذلك فقد أخطأ، بل الذي تدل عليه الآية أن ذلك حرام فكون ذلك هو السبب لا يستلزم أن تكون الآية نازلة في تحليله فإن الآيات النازلات على أسباب تأتي تارة بتحليل هذا وتارة بتحريمه. اهـ. كلام الشوكاني رحمته الله وأما الحافظ

ابن كثير رحمه الله فبعد أن ذكر قول ابن عمر في سبب نزول الآية قال: وهذا محمول على ما تقدم وهو أنه يأتيها في قبلها من دبرها لما رواه النسائي عن علي بن عثمان النفيلي عن سعيد بن عيسى عن الفضل بن فضالة عن عبدالله بن سليمان الطويل عن كعب بن علقمة عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لنافع مولى ابن عمر: إنه قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر إنه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهن، قال: كذبوا عليّ ولكن سأحدثكم كيف كان الأمر: إن ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فقال: يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا. قال: إنا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن مثل ما كنا نريد فأذاهن فكرهن ذلك وأعظمه وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود إنما يؤتى على جنوبهن فأنزل الله: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾. وهذا إسناد صحيح ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على تحريم إتيان النساء في أدبارهن وبعدها قال: وقد تقدم قول ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة وابن عباس وعبدالله بن عمرو في تحريم ذلك وهو الثابت بلا شك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه يجرمه.

قال أبو محمد بن عبد الرحمن الدارمي في مسنده: حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا الليث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجوّاري أيمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكر الدبر. فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به وهذا إسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك فكلما ورد عنه مما يحتمل فهو مردود إلى هذا الحكم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ معناه: أن المرأة كالمزرعة فهن مزرع الذرية. وقوله: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: فأتوهن في الفرج مقبلة أو مدبرة. والحرث هو: موضع الولد، وقوله: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم مادام أنه في صمام واحد من قدام أو من خلف باركة أو مستلقية أو مضطجعة. والله أعلم.

وقد وردت أحاديث فيها النهي عن إتيان النساء في أديارهن وأنها اللوطية الصغرى ومجموعها يدل على ثبوتها أوردها ابن كثير في تفسيره وغيره رحمهم الله، وقد ذهب جمهور العلماء إلى تحريم ذلك من الصحابة والتابعين، روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود وروى عن طاووس وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول ابن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وعروة ومجاهد بن جبر والحسن وغيرهم من السلف قال ابن كثير: إنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار، ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء، وقد حكى في هذا شيء عن بعض فقهاء المدينة حتى حكوه عن الإمام مالك، وفي صحته نظر. اهـ. المراد.

فهل بقي لمبيح هذا الفعل الشنيع حجة بعد صحة الأحاديث في حرمة هذا الفعل، وحرمة جمهور أهل العلم، نعوذ بالله من الهوى فكم أردى له من صاحب.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية ٢٣٢.

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٩ ص ٢٥٨: حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثني معقل بن يسار قال: كانت لي أخت تخطب إلي. وقال إبراهيم: عن يونس عن الحسن: حدثني معقل بن يسار، حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾.

الحديث أيضًا أخرجه البخاري ج ١١ ص ٩١ و ص ٤٠٨ والترمذي ج ٤ ص ٧٦. وقال: هذا حديث حسن صحيح وأبو داود ج ٢ ص ١٩٢ والطيالسي ج ١ ص ٣٠٥ والدارقطني ج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٤٤ والحاكم ج ٢ ص ١٧٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه مسلم وابن جرير ج ٢ ص ٤٤٨.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ العضل هو: المنع، أي: لا تمنعهن أن يرجعن إلى أزواجهن الذين كانوا فارقوهن حتى انقضت عدتهن، وهذا يكون في الطلاق الرجعي في الطلقة الأولى أو الثانية والرجعة إلى الزوج إذا طلق وانتهت العدة تكون بخطة جديدة وعقد جديد ومهر وبرضاها وباقي شروط النكاح، وإذا عمل الناس بهذه الآية فهو أذكى لهم عند الله وأطهر، وربما المرأة قد

يكون لها أولاد فتحب أن ترجع إليهم وتربيتهم وتحسن إليهم فليس للصغير مثل أمه، والله المستعان.

ومن العضل الممنوع ما يفعله بعض الأولياء من منع بناتهم من الزواج من الأكفاء طمعًا في المال إن كانت موظفة أو يطلب مهرًا عاليًا له ولها لا يقدر الخاطب على دفعه أو بحجة إكمال دراستها حتى تعسن ويفوتها قطار الزواج، وهذا ظلم عظيم للمرأة وحرمانها حقًا كبيرًا من حقوقها ومستقبل حياتها والله المستعان من بعض المعاملات.

ويستفاد من الآية أن الطلاق بيد الرجل وهذا لا خلاف فيه عند العلماء، ولكن في زماننا هذا تسمع عجبًا من بعض المخدولين الذين يقررون أن للمرأة أن تطلق نفسها أو ليس للزوج أن يطلقها إلا برضاها، وأيضًا أن المرأة لا تزوج نفسها، بل لا بد من ولي، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي...» عن أبي موسى رضي الله عنه.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: إذا ثبت هذا ففي الآية دليل على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي لأن أخت معقل كانت ثيبًا، ولو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل، فالخطاب إذاً في قوله: ﴿فلا تعضلوهن﴾ للأولياء وأن الأمر إليهم في التزويج مع رضاها. اهـ المراد. والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ الآية ٢٣٨.

قال الإمام أحمد رحمته الله في مسنده ج ٥ ص ١٨٣: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال: سمعت الزبيرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد علي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها قال: فنزلت ^(١): ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ وقال: إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عمرو بن أبي حكيم والزبيرقان وهما ثقتان وأخرجه أبو داود ج ١ ص ١٥٩ والبخاري في التاريخ الكبير ج ٣ ص ٤٣٤ وذكر ما فيه من الاختلاف على الزبيرقان بن عمر فتارة يرويه عن عروة عن زيد بن ثابت وتارة عن زهرة عن زيد بن ثابت وعن زيد بن ثابت وأسامة.

التعليق:

في الآية الكريمة الأمر بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحدودها وخشوعها، وخص الصلاة الوسطى بالذكر مرة ثانية زيادة في فضلها، وقد اختلف العلماء أي الصلاة هي؟

(١) قال الحافظ في "الفتح" ج ٩ ص ٢٦٢: ورواه أحمد من وجه آخر وزاد: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان والناس في قائلتهم وفي تجارتهم فتزلت). اهـ.

.....

والصحيح أنها العصر لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملا الله بيوتهم وقبورهم ناراً شغلونا عن صلاة الوسطى حين غابت الشمس» رواه البخاري [٢٩٣١] وأخرجه الإمام مسلم وفي رواية له: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً» ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاً الله أجوافهم وقبورهم ناراً أو حشا الله أجوافهم وقبورهم ناراً» رواه مسلم ج ٥ ص ١٢٨ بالنووي.

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الخندق جعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت أن تغرب الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله: إن صليتها فنزلنا إلى بطحان فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأنا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب. رواه مسلم ج ٥ ص ١٣٢ بالنووي

فهذه الأحاديث ترجح قول من يقول: أن الصلاة الوسطى هي العصر. وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم يجب المصير إليه، وقال الإمام النووي في شرح مسلم ج ٥ ص ١٢٨: واختلف العلماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الصلاة الوسطى المذكورة في القرآن فقال جماعة هي: العصر، فمن نقل هذا عنه علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبو أيوب وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وعبيدة السلماني والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وأبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وغيرهم.

قال الترمذي: هو قول أكثر العلماء من الصحابة فمن بعدهم. اهـ المراد.

وأخرجه الطبراني في الكبير ج ٥ ص ١٣١ من طريق عثمان بن عثمان الغطفاني. والمعتمد في الصلاة الوسطى أنها صلاة العصر كما في الصحيحين.

وهناك أقوال أخرى قيل: هي الصبح، وقيل هي: الظهر، وقيل: هي المغرب، وقيل: جميع الصلوات.

قتبيته: تأخير الصلاة إلى غروب الشمس هذا كان قبل نزول صلاة الخوف فلما شرعت صلاة الخوف لزم أن يصلي المجاهد على أي حال ولو حال المسايقة سواء كان راكباً أو راجلاً أو قاعداً ويومئء إيماءاً كما هو مقرر في كتب الفقه.

وأما ما يفعله بعض الناس من جمع صلاة الظهر والعصر من أجل القات أو الأعمال الأخرى أو تدبيراً كما يفعله بعض الزيدية في اليمن، فلا حجة لهم في هذه الأحاديث لأنها في وقت حرب وضرورة، بل هم مخالفون للآية الأخرى وهي قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ والأحاديث التي في معناها وفعل النبي ﷺ، والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ الآية ٢٣٨

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٩ ص ٢٦٥: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن إسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن شبيب عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدهنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ فأمرنا بالسكوت.

الحديث عزاه الحافظ السيوطي في لباب النقول إلى السنة وهو عند الترمذي ج ٤ ص ٧٧ بلفظ فنزلت وكذا عند أبي داود ج ١ ص ٣٥٨ بلفظ فنزلت. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٦٨.

وفي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢٠ من حديث ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ قال: كانوا يتكلمون في الصلاة يجيء خادم الرجل إليه فيكلمه بحاجته وهو في الصلاة فنهوا عن الكلام. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

تنبيه:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ١ ص ٢٩٤: وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة وبعد الهجرة إلى أرض الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن نهجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال: فلما قدمنا فسلمت عليه فلم يرد عليّ فأخذني ما قرب وما بعد فلما سلم قال: وإني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة وإن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث

ألا تتكلموا في الصلاة.

وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية: ﴿وَقَوْمُوا لِّلّٰهِ قَانِتِينَ﴾ مدنية بلا خلاف. فقال قائلون: إنما أراد زيد بن أرقم بقوله - كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة - الإخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه منها والله أعلم.

وقال قوم: إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك قد أبيع مرتين وحرم مرتين - كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم والأول أظهر والله أعلم.

أقول: الذي يظهر لي والله أعلم أن الكلام حرم بمكة بالسنة المطهرة كما في حديث ابن مسعود فلما قدم صلوات الله وسلامه وبركاته المدينة صار بعضهم ممن لم يبلغه التحريم يتكلم في الصلاة كما حصل من معاوية بن الحكم السلمي فنزلت الآية. والله أعلم؛ وإن كنت تريد المزيد في البحث فعليك بنيل الأوطار ج ٢ ص ٣٢٩ وص ٣٣٠ وفتح الباري وقد نقلت كلام الحافظ في الفتح في «رياض الجنة».

التعليق،

وقوله سبحانه: ﴿وَقَوْمُوا لِّلّٰهِ قَانِتِينَ﴾ أي: ساكتين عن تكليم الناس في حاجات الدنيا أو خارج مصلحة الصلاة، والقنوت له معان أخرى منها: طول القراءة في الصلاة كما جاء في الحديث: «أفضل الصلاة طول القنوت» أي: القراءة، ويأتي بمعنى: الدعاء في الصلاة كما في الصحيحين:

«قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع يدعو على رجلي وذكوان.. شهراً».

أما مسألة التكلم في الصلاة وحكمه فقال الخرقى رحمته الله: ومن تكلم عادماً أو ساهياً بطلت صلاته.

قال ابن قدامة: أما الكلام عمدًا وهو أن يتكلم عالمًا أنه في الصلاة مع علمه بتحريم ذلك لغير مصلحة الصلاة ولا لأمر يوجب الكلام فتبطل الصلاة إجماعًا، قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن من تكلم في صلاته عمدًا وهو لا يريد إصلاح صلاته أنه صلاته فاسدة وقد قال النبي ﷺ: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» رواه مسلم. اهـ المراد من المغني [٢/٤٤٤].

وحكى الإمام الشوكاني الإجماع كما نقله ابن قدامة بشروطه فرحم الله الجميع.

قلت: أما من تكلم ساهياً أو جاهلاً بالحكم فلا تبطل صلاته على الصحيح ولكن يعلم الجاهل لأن النبي ﷺ علم معاوية بن الحكم حين تكلم في الصلاة ولم يبطل صلاته ويأمره بالإعادة، فالساهي هو غير مؤاخذ أيضاً ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾: قال الله: قد فعلت. كما في الحديث القدسي عند مسلم وغيره.

قوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ الآية ٢٥٦.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمته الله في تفسيره ج ٣ ص ٢٤: حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً^(١) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

الحديث رجاله رجال الصحيح وأخرجه أبو داود ج ٣ ص ١١ وعزاه السيوطي في اللباب للنسائي أيضاً وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٤٢٧.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلالة وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً وقد ذكروا أن سبب هذه الآية في قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاماً، وذكر السبب وذكر أن بعض أهل العلم قال: إن هذه الآية منسوخة بأية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين

(١) المقلات: المرأة التي لا يعيش لها ولد وأصله من القلت وهو الهلاك. اهـ. من عون المعبود.

الحنيف دين الإسلام فإن أبى أحد الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية قُوتل حتى يقتل وهذا معنى الإكراه قال سبحانه: ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون..﴾ وذكر بعض الآيات في الجهاد.

قلت: فالعمل بآيات الجهاد واجب وقد عمل بهن رسول الله ﷺ لكن أولاً قبل الجهاد يدعون إلى الدين الحنيف ويبين لهم، فإن أجابوا فالحمد لله، وإلا يطلب منهم الجزية فإن دفعوها كف عنهم وإن أبوا قوتلوا حتى يسلموا أو يقتلوا وتسبى نساؤهم وأطفالهم كما فعل النبي ﷺ وأصحابه من بعده.

وكما قيل:

إلى الله ندعو بالبراهين من أبى فمن لم يجب نادته بيض الصوارم
وأما من ارتد عن دين الإسلام فيستتاب وإلا ضربت عنقه، وقد قال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري وغيره، وأما الذين ينادون بحرية الأديان فهي دعوة باطلة وكفر، وأما ما يسمونه بحرية العقيدة فهذا فتح باب الردة، فكم أناس فروا إلى الشيوعية والبعثية والعلمانية تحت هذه الشعارات الباطلة والعياذ بالله.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ الآية ٢٦٧.

قال الإمام الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ٧٧ حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾.

قال: نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاء أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.

قال^(١): «لو أن أحدهم أهدى إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض أو حياء» قال فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده. هذا حديث حسن صحيح غريب وأبو مالك الغفاري ويقال اسمه غزوان.

الحديث أخرجه ابن ماجة رقم ١٨٢٢ وابن جرير ج ٣ ص ٨٢ وعزاه الحافظ ابن كثير

(١) في التحفة قال أي النبي صلى الله عليه وسلم.

في تفسيره ج ١ ص ٣٢٠ لابن أبي حاتم وأخرجه الحاكم ج ٢ ص ٢٨٥ وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

قال الحاكم رحمته الله ج ٢ ص ٢٨٤: حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبا محمد بن غالب الضبي ومحمد بن سنان قالوا: ثنا سعيد بن سليمان الواسطي ثنا عباد وهو ابن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: أمر رسول الله صلوات الله عليه وآله بصدقة فجاء رجل من هذا السحل؟ قال سفيان: يعني الشيص - فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «من جاء بها؟» وكان لا يجيء أحد بشيء إلا نسب إلى الذي جاء به فنزلت: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ ونهى رسول الله صلوات الله عليه وآله عن لونين من التمر أن يؤخذوا في الصدقة الجعر ورولون الحبيق، قال الزهري: واللونين من تمر المدينة.

تابعه سليمان بن كثير عن الزهري حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ثنا يحيى بن محمد الشهيد والسري بن خزيمة قالوا: ثنا أبو الوليد الطيالسي ثنا سليمان بن كثير ثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله نهى عن لونين من التمر: الجعر ورولون الحبيق قال: كان ناس يميمون شر ثمارهم فيخرجونها في الصدقة فنهوا عن لونين من التمر ونزلت: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. رواية سفيان بن حسين ضعيفة والبخاري لم يخرج لسليمان بن كثير عن الزهري إلا في الشواهد والمتابعات.

الحديث أخرجه الطبراني ج ٦ ص ٩٣ من حديث سفيان بن حسين عن الزهري به.

والدارقطني ج ٢ ص ٣١ من حديث سليمان بن كثير عن الزهري به.

حديث سهل بن حنيف حسن إذ في رواية سفيان بن حسين وسليمان بن كثير عن الزهري ضعف.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ أي: تصدقوا من جيد ما كسبتم من الشار والتجارة وغير ذلك، وأيضًا يكون من الحلال، ولا يعتمد الإنسان إلى أurdy ماله أو أسوته وينفق منه للفقراء وغيرهم، بل الإنسان إذا أنفق الجيد فهو يقدم لنفسه ولهذا يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ وهذا يشمل إخراج الزكاة وصدقة التطوع ويكون في حق الزكاة واجب عليه أن يخرج من جيد ماله أو من وسط ماله ولا يخرج أurdy، وقد أرسل النبي ﷺ مصدقه لجمع الزكاة فأعطاه رجل فصيلًا مخلولًا هزيلًا، فقال النبي ﷺ: «إِنْ فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ أُعْطِيَ فَصِيلًا مَخْلُولًا لَا بَارِكَ اللَّهُ فِيهِ وَلَا فِي إِبْلِهِ، فَعَلِمَ الرَّجُلُ فَجَاءَ بِنَاقَةٍ حَسَنَاءَ فَقَالَ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَفِي إِبْلِهِ» وهو حديث صحيح.

ولهذا الإنسان ينظر إلى نفسه لو كان فقيرًا فأعطاه رجل شيئًا رديئًا شيئًا كيف سيكون حاله والنبي ﷺ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه.

ولهذا نهى الله المؤمنين أن يعتمد أحدهم إلى أurdy ماله فينفق منه فقال: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تَنْفِقُونَ﴾، ومعنى: ﴿تَتِمَّمُوا﴾ تقصدوا.

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ أي: يا معشر من تصدق برديء ماله لو أعطيتم مثله في الرداء والخيب، أو أهداه لكم غيركم فليستم بأخذه إلا وأنتم له كارهون على استحياء ممن أهداه

قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية ٢٧٢.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله ج ٣ ص ٩٤: حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

الحديث رجاله رجال الصحيح وقد ساقه الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ١ ص ٣٢٣ بسنده من النسائي وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورمز الحافظ الذهبي له في التلخيص بأنه على شرط الشيخين وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢٤ رواه الطبراني عن شيخه عبدالله بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف ورواه البزار بنحوه ورجاله ثقات.

التعليق:

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: يعني تعالى ذكره بذلك ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام فتمنعهم من صدقة التطوع ولا تعطيمهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له فلا تمنعهم الصدقة. وذكر الحديث. وقوله: «كانوا لا يرضخون، الرّضخ: هو العطية القليلة كما في النهاية ويقال: رضخه أي: أعطاه عطاءً غير كثير.

قلت: والهداية هنا في هذه الآية: ﴿ليس عليك هداهم﴾ أي: توفيقهم وإلهامهم، والهداية تنقسم إلى

قسمين، هداية توفيق وإلهام فهذه لا يملكها إلا الله.

والهداية الأخرى الإرشاد كقوله: ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ وقوله: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ ، فهذه لله ولمن يشاء من يرشد ويدعو إلى الحق كالأنبياء وأتباعهم ، والله أعلم.

تنبیه:

والمشرك لا يعطى من الزكاة إلا إذا كان من باب التأليف له إذا كان يرجى إسلامه أو ليدفع شره، وهو قول بعض أهل العلم، وإنما يعطى من صدقة التطوع والهدية فقط والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ إلى آخر السورة الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦.

قال الإمام مسلم رحمته الله ج ٢ ص ١٤٥: حدثني محمد بن منهال الضريير وأميه بن بسطام العيشي واللفظ لأميه قالوا: حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله وعلى آله عليه وسلم: ﴿الله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؛ فلما أقرأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في أثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفِرُّونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَفِرُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَرُسُلَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَكَ خِيفَةٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ كَانُوا يُكْرَهُونَ عَلَى اللَّهِ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴿ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله: ﴿لَا يَكُفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَاسِعًا﴾ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴿ قال: نعم. ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴿ قال: نعم ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴿ قال: نعم ﴿واعف عنا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ قال: نعم.

الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٤١٢ وابن جرير ج ٣ ص ١٤٣ والبيهقي في شعب الإيمان ج ١ ص ٢٢١.

قال الإمام مسلم رحمه الله ج ٢ ص ١٤٦: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم واللفظ لأبي بكر قال إسحاق: أخبرنا وقال الآخرون: حدثنا وكيع عن سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال: قد فعلت: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: قد فعلت: ﴿واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا﴾ قال: قد فعلت.

التعليق:

في هذه الأحاديث دليل على جواز نسخ بعض الآيات القرآنية بقرآن آخر، وهو هنا أيضاً من الأشد إلى الأخف، وكذلك أن الإنسان إذا استسلم لحكم الله جعل الله له فرجاً ومخرجاً، وفرج الله تعالى عن الأمة بسبب استسلام الصحابة رضي الله عنهم، وهذا من فضلهم. ومما يتعلق بهذه الآية: حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

أخرجه الإمام البخاري في فضائل القرآن رقم [٥٠٠٩] والإمام مسلم في الصلاة [٨٠٨]. وقال

.....

الحافظ في الفتح: قوله: «كفتاه» أي: أجزاءه عنه من قيام الليل بالقرآن وقيل: أجزاءه عنه عن قراءة القرآن مطلقاً سواء كان داخل الصلاة أم خارجها وقيل: معناه أجزاءه فيها يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً، وقيل: معناه كفتاه كل سوء وقيل: كفتاه شر الشيطان وقيل: دفعنا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه كفتاه ما حصل له بسببها من الثواب عن طلب شيء آخر. اهـ المراد ج ٩ ص ٥٦.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة^(١) إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال: فراش من ذهب قال: فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات.

رواه مسلم في آخر الإيمان [١٧٣].

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش». رواه أحمد وغيره عن أبي ذر وغيره وهناك أحاديث أخرى تدل على فضل هاتين الآيتين وهاتان الآيتان من أذكار الليل والليل بيتديء من غروب الشمس لا كما يتوهم بعض الناس أنها من أذكار المساء أو النوم بل هما من أذكار الليل. والحمد لله.

(١) في مسلم: في السماء السادسة، والصواب ما أثبتناه.

سورة آل عمران

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية ٧٧.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري ج ٥ ص ٤٣٠: حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية. فجاء الأشعث فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن في أنزلت هذه الآية كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فقال لي: شهودك، قلت: مالي شهود، قال: فيمينك، قلت: يا رسول الله إذا يحلف فذكر النبي صلى الله عليه وآله هذا الحديث فأنزل الله ذلك تصديقاً له.

الحديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها ج ٦ ص ٧٠ و ص ٢٨٠ وفيه: كانت بيني وبين رجل من اليهود أرض و ٢١٠ وفيه: كانت بيني وبين رجل خصومة في شيء و ص ٢١٥ و ج ٩ ص ٢٨٠ و ج ١٤ ص ٣٥٢ و ص ٣٦٨ و ج ١٦ ص ٣٠٢ وأخرجه مسلم ج ٢ ص ١٥٨ والترمذي ج ٢ ص ٢٥٤ وأعادته بسنده ج ٤ ص ٨١ وأبو داود ج ٣ ص ٢١٤ و ٢١٥ وعزاه المباركفوري في تحفة الأحوذني ج ٢ ص ٢٥٤ إلى النسائي وابن ماجه مع من تقدم من أصحاب الأمهات ورواه الإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٤٢٦ و ص ٤٤٢ و ج ٥ ص ٢١١ و ٢١٢ من مسند الأشعث بن قيس وأخرج حديث الباب الطيالسي ج ١ ص ٢٤٦ و ج ٢ ص ١٦ وابن جرير ج ٣ ص ٣٢١. قال الإمام البخاري رحمته الله ج ٩ ص ٢٨٠: حدثنا علي هو ابن أبي هاشم سمع هشياً

أخبرنا العوام بن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية.

ولا منافاة بينهما ويحمل على أن النزول كان بالسببين جميعاً ولفظ الآية أعم من ذلك، على أن حديث عبد الله بن مسعود أصح لأن حديث عبد الله بن أبي أوفى من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي، قال الحافظ الذهبي في الميزان لينه شعبة والنسائي ولم يترك إلى آخر ما ذكره رحمه الله. وقوله في بعض الروايات في أرض وفي أخرى وفي بئر. قال الحافظ في الفتح ج ١٤ ص ٣٦٩: ويجمع بأن المراد أرض البئر لا جميع الأرض والبئر من جملتها. هذا وقد أطل الحافظ رحمه الله في الفتح في هذا الموضوع في توجيه بعض الألفاظ التي ظاهرها يخالف الأخرى فليراجع هنالك.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: يبيعون ما عاهدتهم عليه بشيء من حطام الدنيا، ويعتاضون بها عن دينهم وعهدهم. وقوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم وموجع. وقوله: ﴿لا خلاق لهم﴾ أي: لا نصيب لهم في الآخرة ولا حظ لهم.

ومما يتعلق بهذه الآية الكريمة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع رجل لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه ما يريد وقى له وإلا لم يف له، ورجل ساوم رجل

بسلمة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فأخذها». رواه البخاري في الشهادات والإمام مسلم في كتاب الإيمان [١٠٨] ولفظه للبخاري.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها شيخنا وغيرها دليل على أن حكم الحاكم لا يحل المال في الباطن للإنسان بظاهر الشهادة والبراهين فالمحكوم له إذا كان يعلم أنه مال غيره فهو عليه حرام على ما كان عليه قبل الحكم له كما في الصحيحين، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون لدي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن اقتطعت له من حق أخيه شيئاً فإنما اقتطعت له قطعة من نار فلا يأخذها».

وفي هذه الأدلة وعيد شديد لمن باع دينه بدنياه أو نقض عهداً كان عاهده شخصاً وبعض الناس في زماننا هذا لا يباليون بالعهود والمواثيق وبعضهم ممن ينسب إلى الحركات الإسلامية للأسف يعاهد ولي أمره عهداً ثم ينقضه ويذهب يبيع شخصاً آخر ليس له عليه حق البيعة مما جر إلى فتن عظيمة ومصائب كبيرة حتى تضرر أهل الدين والاستقامة بذلك الفعل وصار الملوك ينظرون إلى أهل الصلاح بعين السوء والازدراء والارتباب إلا من رحم الله وهذا كله إنما هو نتيجة المخالفات الشرعية وعدم العلم بالسنة والله الموفق لكل خير.

قوله تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآيات ٨٦ و ٨٧ و ٨٩. قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمته الله ج ٣ ص ٣٤٠: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه: أسلوا إلى رسول الله هل من توبة قال: (فزلت) ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ﴾ إلى قوله: ﴿ وجاءهم البيئات والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم.﴾

الحديث رجاله رجال الصحيح وقد أعاده مرسلًا وموصولًا وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٤٢٧ و الطحاوي في مشكل الآثار ج ٤ ص ٦٤ والحاكم ج ٢ ص ١٤٢ و ج ٤ ص ٣٦٦ وفي كلا الموضعين قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

التعليق:

في هذه الآيات دليل على قبول توبة المرتد إذا تاب توبة صادقة فإن الله يتوب عليه وأما إذا ارتد ولم يتب فعلى ولي المسلمين أن يقيم عليه حد الردة وهو أن يضرب عنقه لقول النبي ﷺ ومن بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري.

وقتل علي بن أبي طالب مجموعة ممن قال له: إنه الرب فوقهم، ﷺ وهم: السبئية من الشيعة.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يقال: ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله، ومن كان ظالمًا لا يهديه الله، وقد رأينا كثيرًا من المرتدِّين قد أسلموا وهدهم الله، وكثيرًا من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الإسلام فأما إذا أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك. والله أعلم. اهـ.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾
الآية ٩٠.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٣٨٠: قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ هكذا رواه وإسناده جيد. اهـ.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ أي: ارتدوا بعد إيمانهم، ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ أي: استمروا على كفرهم وداموا عليه حتى يفر غروا فلا تقبل منهم توبة عند ذلك لقوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَافِرًا﴾. النساء.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ». رواه الترمذي.

وعن صفوان بن عسال قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ قَبْلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعِ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا». رواه ابن ماجه.

برقم [٤٠٧٠] وهو صحيح، ورواه أحمد.

فالواجب على المسلم أن يتوب إلى الله تعالى من جميع الذنوب ولا يتأخر عن التوبة، فربما يهجم عليه الموت وهو لا يشعر فيندم، ولقد كان النبي ﷺ يقول: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة» وبعض المسلمين قد يسرف على نفسه بالمعاصي والجرائم فيصيبه اليأس فلا يفكر في التوبة ظانًا أنه لا توبة له، وهذا من الشيطان فإن الله يفرح بتوبة العبد مهما كان ذنبه فإن تاب: تاب الله عليه ونسأل الله أن يتوب علينا جميعًا.

قوله تعالى:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾
الآية ١١٣.

قال الإمام أحمد رحمه الله ج ١ ص ٣٩٦: حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالوا: حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة قال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم». قال: وأنزل الله هؤلاء الآيات: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب﴾ حتى بلغ: ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾. الحديث حسن كما قال الشوكاني ج ١ ص ٣٧٥ نقلاً عن السيوطي لأن عاصمًا في حفظه شيء وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ٣١٢: رجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٩١ وابن جرير ج ٤ ص ٥٥ وأبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٨٧. وأبو يعلى كما في المقصد العلى ج ١ ص ٢٧٦.

هذا وقد ورد للآية سبب آخر ففي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٧٣٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لما أسلم عبدالله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورجعوا في الإسلام قالت أحبار يهود أهل الكفر: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ إلى قوله تعالى: ﴿من الصالحين﴾ رواه الطبراني ورجاله ثقات. واختار الإمام أبو جعفر ابن جرير ج ٧ ص ٢٩ الأول حيث قال بعد ذكره جملة من

الأقوال: غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عني بذلك - تلاوة القرآن في صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصلحها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد ﷺ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله. وأقول: لمانع من نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد سبب نزولها والله أعلم.

التعليق:

وقوله عز وجل: ﴿ آتَاءَ اللَّيْلِ ﴾ أي: ساعات الليل، ونصب على الظرفية.
 وقوله: ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ أي: يصلون وعبر عن الصلاة بالسجود لأنه أشرف شيء فيها وفي الحديث الذي ذكره الشيخ والآية فضل صلاة العشاء وصلاة الليل ولو كانت نافلة وفضل تلاوة القرآن في ساعات الليل. وفي الآية دليل على أن أهل الكتاب كانوا قبل مبعث رسولنا عبادتهم مقبولة، وكانوا متفاوتين في الطاعة كالمسلمين، وأما شريعتهم اليوم فقد نسخت ببعثة نبينا ﷺ، فلا تقبل منهم عبادة إلا إذا أسلموا و تابعوا نبينا عليه الصلاة والسلام. قال الله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

قوله تعالى:

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الآية ١٢٢.

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٨ ص ٣٦٠: حدثنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو عن جابر رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ بني سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿والله وليهما﴾ أعاده البخاري ج ٩ ص ٣٩٣ عن شيخه علي بن المديني عن سفيان به. وأخرجه مسلم ج ١٦ ص ٦٦ وابن جرير ج ٤ ص ٧٣.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: أن يضعفا ويحبنا عن القتال ولقاء عدوهما وهذا كان يوم أحد ولكن الله ثبت المسلمين ورد كيد عدوهم والحمد لله، وقول جابر رضي الله عنه: ما يسرني أنها لم تنزل والله يقول: ﴿والله وليهما﴾ يعني: هذا مدح لهاتين الطائفتين وفضل لهما، فـ رضي الله عنهما أجمعين. وهاتان الطائفتان من الأنصار.

وقوله: ﴿والله وليهما﴾ أي: ناصرهما ومدافع عنهما وحافظهما من الزلل ومن العدو. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ الآية ١٢٨.

قال الإمام البخاري رحمته الله ج ٨ ص ٣٦٨: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد»، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. الحديث أخرجه أيضاً البخاري في التفسير ج ٩ ص ٢٩٣ عن شيخه حبان بن موسى عن عبد الله وهو ابن المبارك به. وج ١٧ ص ٧٧ عن شيخه أحمد بن محمد عن عبد الله به. وفيه إذا رفع رأسه من الركوع قال: اللهم ربنا ولك الحمد، في الأخيرة وأخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن غريب. والنسائي ج ٢ ص ١٦٠ وأخرجه الإمام أحمد ج ٢ ص ٩٣ و ص ١٠٤ وفيه متابعة نافع لسالم و ص ١١٨ و ص ١٤٧ من طريقين إلى عبد الله في أحدهما: دعا على أناس من المنافقين. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ج ٢ ص ٤٤٦. كما عند الإمام أحمد في بعض الطرق لأن الإمام أحمد رواه من طريق عبد الرزاق أعني فيه دعا على أناس من المنافقين ورواه ابن جرير ج ٤ ص ٨٨.

قال الإمام مسلم ج ٥ ص ١٧٨: وحدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحًا يدعوا على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله. قال أنس: أنزل الله عز وجل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتى نسخ بعد أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس ج ٣ ص ٩٩ و ص ١٧٩ و ص ٢٠١ و ص ٢٠٦ و ص ٢٥٣ و ص ٢٨٨ وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ٨٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه ابن سعد مجلد ٢ ص ٣١ وابن جرير ج ٤ ص ٨٦ و ص ٨٧.

قال البخاري رحمته الله ج ٩ ص ٢٩٤: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعوا على أحد أو يدعوا لأحد فنت بعد الركوع فربما قال: إذا قال سمع الله لمن حمده: «اللهم ربنا لك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف» يجهر بذلك وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا لأحياء من العرب» حتى أنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾. الحديث أخرجه مسلم ج ٥ ص ١٧٧ والإمام أحمد ج ٢ ص ٢٥٥ وابن جرير. قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٢٩٥: وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ: «اللهم العن رعلًا وذكوان وعصية». ثم قال: تقدم استشكله في غزوة أحد وأن قصة رعل وذكوان كانت بعد أحد ونزول: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ كان في قصة أحد ثم ظهر لي علة الخبر يعني خبر- نزول: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ في قصة رعل

وذكوان - وأن فيه إدراجاً وأن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عن بلغه بين ذلك^(١) مسلم في رواية يونس المذكورة فقال: هنا قال: يعني الزهري. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكر، ثم قال بِسْمِ اللَّهِ: طريق الجمع بين حديث ابن عمر وأنس المتقدمين فقال: وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معاً فيما وقع له من الأمر المذكور وفيما نشأ عنه من الدعاء وذلك كله في أحد بخلاف قصة رعل وذكوان فإنها أجنبية. ويحتمل أن يقال: إن قصتهم كانت عقب ذلك وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً ثم نزلت في جميع ذلك والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: أن الله هو المتصرف في خلقه فيرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء فله التصرف التام في ذلك وليس إلى أحد من خلقه شيء من ذلك، وإن كان عظيماً كريماً على الله تعالى، فالحكم لله وحده في الدنيا والآخرة لا شريك له وإنما على الرسول البلاغ وعلى الله الحساب.

كما قال: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ وقال: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وقوله: ﴿أو يتوب عليهم﴾ أي يوفقهم للتوبة والإسلام ويهديهم إلى صراط مستقيم. كما قال عن المنافقين في سورة الأحزاب: ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء

أو يتوب عليهم إن الله كان غفورًا رحيمًا ﴿١١٣﴾ وقوله: ﴿أو يعذبهم﴾ أي: في الدنيا بالقتل وغيره وفي الآخرة يعذبهم في النار بكفرهم وعنادهم وذنوبهم. والله أعلم.

وفي هذا أوضح الرد وأبينه على القبوريين من غلاة الصوفية والرافضة ومن تابعهم الذين يذهبون إلى قبور الصالحين والأنبياء فيطلبون منهم المدد والنفع ودفع الضر ويسألونهم الشفاعة، وهذا منهم شرك فإذا كان الله يقول لنبيه محمد ﷺ وهو أشرف الرسل وأكرمهم على الله. ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ فكيف بمن هو دونه.

قلت: والظاهر أن النهي لنبي الله ﷺ في الآية إنما هو من أجل اللعن لبعض القبائل وبعض المشركين، لأن اللعن هو: الطرد من رحمة الله، أو أنه دعى على هذه القبائل بالهلاك العام، وقد علم الله أن منهم من سيسلم فنهى نبيه عن ذلك لما سبق في علمه من إسلام بعضهم والله أعلم. وأما القنوت على المشركين المحاربين: بأن الله يذلهم ويكبتهم ويرد كيدهم ومكرهم فهذا جائز كما هو معلوم.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ الآية ١٥٤.

قال الإمام الترمذي ج ٤ ص ٨٤: حدثنا عبد بن حميد ثنا روح بن عبادة عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يمد تحت حجفته من النعاس فذلك قول الله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً﴾. هذا حديث حسن صحيح، ثم قال: (وعليها إشارة نسخة) حدثنا عبد بن حميد ثنا روح بن عبادة عن حماد بن سلمة عن هشام ابن عروة عن أبيه عن أبي الزبير مثله هذا حديث حسن صحيح.

قال المباركفوري قوله عن أبي الزبير: كذا في النسخة الأحمدية وهو غلط والصحيح عن الزبير بحذف لفظه أبي. اهـ. وحديث الزبير وأخرجه ابن راهويه كما في المطالب العالية ج ٤ ص ٢١٩ وهذا لفظه: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه - أو قال ذقنه - في صدره فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: ﴿لو كان من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ فحفظتها فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً﴾ إلى قوله: ﴿ما قتلنا ههنا﴾، لقول معتب بن قشير قال: ﴿لو كتتم في بيوتكم﴾ حتى بلغ: ﴿عليم بذات الصدور﴾ قال المعلق حبيب الرحمن الأعظمي: سكت عليه البوصيري وإسناده جيد.

التعليق:

قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ يقول تعالى ممثنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة، والأمنة هو: النعاس الذي غشيهم وهم مستلثموا^(١) السلاح في حال همهم وغمهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال تعالى في سورة الأنفال في قصة بدر: ﴿إِذْ يَغْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِّنْهُ﴾ اهـ.

وهذا من فضل الله عليهم ورحمته بهم. فعن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط السيف من يدي مرآزا، يسقط وأخذه ويسقط وأخذه. رواه البخاري في المغازي [٤٠٦٨] معلقا وأخرجه في التفسير مسندا ج ٨ ص ٢٢٨ [٤٥٦٢] عن أنس عن أبي طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مقامنا يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرآزا. وهذه الطائفة التي نزل عليهم النعاس هم أهل الإيمان واليقين والثبات على الدين، وأما الطائفة الأخرى الذين قد أهتمهم أنفسهم فهم المنافقون أصحابهم الخوف والجزع والقلق على أنفسهم وأهليهم، فلهذا لم يصبهم النعاس ولم تنزل عليهم السكينة والأمان.

(١) أي: لابسوا اللأمة، وهي: الدرع تقي المقاتل من الضرب.

قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ الآية ١٦١ .

قال الإمام الطبراني رحمته الله ج ١٢ ص ١٣٤: حدثنا عبدان بن أحمد ثنا عبد الرحمن بن خالد الرقي ثنا معاوية بن هشام ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس قال: بعث نبي الله صلوات الله وسلامه عليه جيشاً فردت رايته ثم بعث فردت بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت: ﴿وما كان لنبي أن يغلل﴾.

قال الهيثمي في المجمع و السيوطي في لباب النقول إن رجاله ثقات. قال أبو عبد الرحمن الأمر كما قالوا من حيث الرجال ولكن حبيب بن أبي ثابت مدلس ولم يصرح بالتحديث وهو وإن كان قد سمع من ابن عباس وقد أثبت له علي بن المديني لقي ابن عباس كما في جامع التحصيل وأثبت له العجلي السماع من ابن عباس كما في تهذيب التهذيب لكنه مدلس وقد روى عن ابن عباس بواسطتين وهما محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأبوه كما في تحقيق الإلزامات والتبعية ص ٤٨٣ فعلم بهذا أن الحديث ضعيف بهذا السند.

سبب آخر للآية له يصح أيضاً:

قال الإمام الطبراني رحمته الله ج ١١ ص ١٠١: حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد النرسي البغدادي ثنا أبو عمر حفص بن عمر المقرئ الدوري^(١) ثنا أبو محمد اليزيدي حدثني

(١) في الأصل المقدسي الزوزني وفي المعجم الصغير ج ٢ ص ٣٧ وكذا في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٢

ما أثبتناه وهو الصحيح كما في غاية النهاية للجزري.

أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ وكيف لا يكون له أن يغفل وله أن يقتل قال الله: ﴿ويقتلون الأنبياء﴾ ولكن المنافقين اتهموا النبي ﷺ في شيء فأنزل الله عز وجل: ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ الحديث أخرجه الطبراني في الصغير ج ٢ ص ١٥.

والو احدي في أسباب النزول ص ٨٤ والخطيب في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٢. الحديث رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني فلم أجد له ترجمة إلا في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٢ قال الخطيب روى عنه أبو القاسم الطبراني ثم لم يذكر الخطيب فيه جرْحًا ولا تعديلاً. وقد أخرج أبو داود والترمذي نحوه ولكنه من طريق خُصيف بن عبد الرحمن قال الحافظ في تخرج الكشاف أعله ابن عدي بخُصيف. اهـ.

قال أبو عبد الرحمن: خُصيف ضعفه الأكثر ون وقد اضطرب في هذا الحديث فتارة يرسله وتارة يوصله وتارة يقول عن مقسم وتارة يقول عن عكرمة وتارة يقول عن عكرمة أو غيره. راجع تفسير ابن جرير ج ٤ ص ١٥٥.

ثم وجدت له طريقًا صالحًا للحجية قال الإمام البزار رحمته الله كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٤٣: حدثنا محمد بن عبد الرحيم ثنا عبد الوهاب بن عطاء ثنا هارون القارئ عن الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ ما كان لنبي أن يتهمه أصحابه. اهـ. هارون هو ابن موسى الأزدي العتكي مولا هم أبو عبدالله ويقال أبو إسحاق النحوي البصري الأعور صاحب القراءات وثقه ابن معين وغيره كما في تهذيب التهذيب.

وهذا الأثر وإن لم يكن في أسباب النزول فإنه يؤيد ما تقدم من أسباب النزول عن ابن

عباس والله أعلم.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ الغُل هو: الخيانة والأخذ من الغنيمة قبل قسمتها بالخفية من الناس، فالنبي ﷺ هو الأمين والمقسط وأرفع من أن يخون أصحابه بل هو يحذرهم من الخيانة ويخوفهم بعذاب الله من ذلك فكيف سيخالفهم إلى ما ينهاهم عنه فلهذا ليس لأصحابه أن يخونوه وأن يتهموه، بل الواجب أن يبرئوه من الغش والخيانة، ولهذا جاء في الصحيح أنه ﷺ قسم يوم حنين وآثر بعض المؤلفات قلوبهم، فقال رجل: هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك إن لم أعدل فمن يعدل». وفي رواية: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء». هو في صحيح مسلم في كتاب الزكاة في الرد على الخوارج. برقم [١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤].

وأما الغلول فهو محرم بالكتاب والسنة على كل أحد، قال الله تعالى: ﴿ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبة شاة لها ثغاء على رقبة فرس له حممة يقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وعلى رقبة بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وعلى رقبة صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك أو على رقبة رفاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك». رواه البخاري برقم [٣٠٧٣] وأخرجه مسلم في الإمارة.

قوله تعالى:

﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾
الآية ١٦٥.

قال الإمام أحمد رحمته الله ج ١ ص ٣٠: حدثنا أبو نوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال: نظر النبي صلوات الله وسلامه عليه إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلوات الله وسلامه عليه القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «اللهم أين ما وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً» قال: فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداؤه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمَدِّمٌ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾، فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أبا بكر رضي الله عنه وعلياً وعمر رضي الله عنهما فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «ما ترى يا ابن الخطاب» قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكيني من فلان قريباً لعمر فأضرب عنقه، وتمكن علياً رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في

قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء، فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه: غدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما قال: فقال النبي ﷺ: «الذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة» وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ﴾ - إلى قوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ثم أحل الله لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ وكسرت ربايعته، وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وأنزل الله عز وجل: ﴿أَوَّلًا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِيهَا﴾ بأخذكم الفداء.

الحديث رجاله رجال الصحيح وقد عزاه ابن كثير و السيوطي لابن أبي حاتم مختصراً وإنما سقته بتامه لما فيه من العبر.

وسياتي ذكر بعض مخرجه في سورة الأنفال إن شاء الله.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلًا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أي: وحين أصابتكم مصيبة، وهذا كان يوم أحد وما حصل للمسلمين فيه من المصائب والابتلاء والغلبة عليهم وقتل سبعين منهم وجرح آخرين ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِيهَا﴾ أي: يوم بدر فقد قتلتم منهم سبعين وأسرتهم سبعين أسيراً. وفي هذا تسلية لرسول

.....

الله ﷺ، وتسلية للصحابة ﴿ وإذ هاب للحزن الذي وقع لهم وتذكيراً لهم بنعمة الله عليهم السابقة فلا ينبغي أن ينسوها، وقوله: ﴿ قلتم أنى هذا ﴾ أي: من أين جاءتنا هذه المصيبة ونحن المسلمون ونجاهد في سبيل الله وهم الكفار والمحاربون لرسول الله ﷺ: ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ أي بسبب مخالفتكم لرسول الله وعصيانكم له، حيث فارق بعضكم وهم الرماة مواقعهم التي أمروا بملازمتها، وقال عمر رضي الله عنه: من أجل أخذكم الفداء يوم بدر كما في سياق الحديث والله أعلم. وأيضاً ليتخذ الله منهم شهداء وابتلاء الأحياء وتمحيص لهم لتمييز الخبيث من الطيب وغير ذلك من الحكم التي يعلمها الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ الآيات
١٦٩ و١٧٠ و١٧١.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى ج ١ ص ٢٦٥: ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني
إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال: قال
رسول الله صلوات الله عليه وآله: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف
طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتهوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش
فلما وجدوا طيب شربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما
صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم
عنكم» فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله صلوات الله عليه وآله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن إدريس عن محمد
بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن
النبي صلوات الله عليه وآله نحوه.

قال الحافظ ابن كثير: وهذا أثبت يعني الذي فيه واسطة بين أبي الزبير وابن عباس.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٣٢٢، وابن هشام في السيرة ج ٢ ص ١١٩، وابن
جرير ج ٤ ص ١٧٠، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٨٨ و٢٩٧، وابن المبارك في
الجهاد ص ٦٠ وقال الحاكم في الموضوعين صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره
الذهبي ولا يخفى ما فيه، فإن مسلماً لم يخرج لابن إسحاق إلا خمسة أحاديث في
المتابعات كما في الميزان ولكنه صحيح لغيره لشواهد فقد أخرج الحاكم ج ٢ ص ٣٨٧

عن ابن عباس أنها نزلت في حمزة وأصحابه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

قال الإمام الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ٨٤: حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي نا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال: سمعت طلحة بن خراش قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «يا جابر مالي أراك منكسراً؟» قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً؟ قال: «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» قال: بلى يا رسول الله قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأحى أباك فكلمه كفاحاً فقال: تمنّ عليّ أعطيك؟ قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية؟ قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال: وأنزلت هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ الآية...

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ورواه علي بن عبد الله بن المديني وغير واحد من كبار أهل الحديث هكذا عن موسى بن إبراهيم وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئاً من هذا.

الحديث أخرجه ابن ماجه رقم ١٩٠ رقم ٢٨٠٠ وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٤. وهو يدور على موسى بن إبراهيم بن كثير وهو مستور الحال لكن الحديث له شواهد فيحسن كما قال الترمذي. قال الحافظ الطبري رحمته الله ج ٤ ص ١٧٣: حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عمير بن يونس قال ثنا إسحاق بن أبي طلحة قال ثنا أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة قال: لا أدري أربعين أو سبعين قال: وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري

فخرج أولئك نفر من أصحاب النبي ﷺ حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء قعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ إلى أهل هذا الماء؟ فقال: أراه أبو ملحان الأنصاري: أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فخرج حتى أتى حيًا منهم فاحتبى أمام البيوت ثم قال: يا أهل بئر معونة إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فأمنوا بالله ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل قال: قال إسحاق: حدثني أنس بن مالك أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنًا رفع بعد قرأناه زمانًا وأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾.

الحديث أخرجه ابن جرير أيضًا في التاريخ ج ٣ ص ٣٦ وفيه أن سبب نزول الآية قتلى بئر معونة. قال العلامة الشوكاني في تفسيره: وعلى كل حال فالآية باعتبار عمومها تعم كل شهيد.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون﴾ يخبر تعالى أن من قتل في سبيله من المؤمنين الصادقين في هذه الدار فهو حي عند الله فروحه منعمة مكرمة مرزوقة في الآخرة ومما يتعلق بمعنى الآية ما رواه الإمام مسلم رحمه الله في الإمارة برقم [١٨٨٧] من طريق مسروق قال: سألتنا عبد الله هو: ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

.....

سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿١٢٥﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً فقال: هل تشتهون شيئاً قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرّات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا.

مسألة:

هذه الأحاديث فيها دلالة واضحة أن الآية نزلت في شهداء أحد وقيل: أيضاً نزلت في شهداء بئر معونة وقيل: بل هي عامة في جميع الشهداء، وقد ذكر القرطبي في تفسيره نحو هذا ثم قال: وبالجملة وإن كان يحتمل أن يكون النزول بسبب الجميع فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم. إهد المرادج ٤ ص ١٧٢.

قلت: قد صح سبب النزول في شهداء أحد وشهداء بئر معونة والحمد لله وأيضاً غيرهم من الشهداء داخلون في معنى الآية لأن الأصل الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والعلم عند الله.

قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنْ أَلَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ الآيات ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤.

قال الإمام الطبراني رحمته الله ج ١١ ص ٢٧٤: حدثنا علي بن عبد الله ثنا محمد بن منصور الجواز ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس: وقال سفيان مرة أخرى: أخبرني عكرمة قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتهم شر ما صنعتم فبلغ ذلك رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة فأنزل الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ وقد كان أبو سفيان قال للنبي صلوات الله وسلاماته عليه: موعذك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنْ أَلَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ الحديث قال الهيثمي في المجمع ج ٦ ص ١٢١ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة. كذا في المعجم وفي المجمع الجواز وفي تهذيب التهذيب الطوسي فلعل له نسبتين كما قال ابن الأثير رحمته الله في ترجمة محمد بن عبد الله بن إسحاق الجواز الطوسي قال: وهذه النسبة إلى عديد الجوز في ما يظن. اهـ.

وقال السيوطي في لباب النقول: إن سنده صحيح.

وقال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٢٦٩: أخرجه النسائي^(١) وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. اهـ.

قلت: فعلى قول الحافظ ابن حجر رحمته الله يكون الوصل شاذاً والذي أرسله هو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ كما في تفسير ابن كثير. والذي وصله محمد بن منصور الطوسي وكلاهما قال الحافظ في التقريب: إنه ثقة فإذا لم يتابع أحدهما حمل أن سفيان بن عيينة تارة يرويه متصلًا وتارة يرسله كما تفيدته رواية الطبراني ويصح الحديث والحمد لله.

التعليق:

وقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ أي: أجابوا طلب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم.

وقوله: ﴿مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ القرح: الجراح يصيب خارج الجسد، فالصحابه رضي الله عنهم حين دعاهم النبي صلوات الله عليه وآله وسلم لمتابعة المشركين استجاب له كثير من الناس، منهم: أبو بكر والزبير رضي الله عنهما كما جاء من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير: أبواك والله من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح. أخرجه الإمام مسلم في فضل الزبير وطلحة [٢٤١٨] وأخرجه البخاري في غزوة أحد [٤٠٧٧] عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم....﴾ الآية. قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم، الزبير وأبو بكر لما أصاب

(١) أخرجه النسائي في التفسير ج ١ ص ٣٩.

.....

رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً قال: كان فيهم أبو بكر والزبير. قلت: وهذا الخروج لطلب العدو حتى لا يظن العدو أنهم ضعفوا جداً بل يظن أن ما أصابهم لم يؤهّنهم فكان هذا الطلب فيه منافع عظيمة وأجور كبيرة وهذا من السياسة النبوية الكريمة.

وفيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر والزبير ومن معهم ﷺ.



قوله تعالى:

﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا﴾ الآية
١٨٦.

قال الإمام أبو داود رحمته الله ج ٣ ص ١١٤: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم أنا شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود وكانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والعفو ففيهم أنزل الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية.

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه فبعث محمد بن مسلمة وذكر قصة قتله فلما قتلوه فزعت يهود والمشركون فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: طرق صاحبنا فقتل فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول، ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة الحديث.

قال المنذري: قوله عن أبيه فيه نظر فإن أباه عبد الله بن كعب ليست له صحبة ولا هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ويكون الحديث على هذا مرسلًا ويحتمل أن يكون أراد بأبيه جده وهو كعب بن مالك فيكون الحديث على هذا مسندًا إذا قد سمع عبد الرحمن من جده كعب بن مالك وكعب هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وقد وقع مثل هذا

في الأسانيد في غير موضع. اهـ. من عون المعبود بتصرف وذكره الو احدي في أسباب النزول بهذا السند وهذا اللفظ.

هذا وقد ذكر لها سبب آخر، قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٩٨: وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن أنها نزلت فيما بين أبي بكر وبين فنحاص اليهودي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ - تعالى الله عن قوله - فغضب أبو بكر فنزلت. وذكره السيوطي في اللباب وقال إنَّ سنده حسن. ولا تنافي بينها إذ يحتمل أن الآية نزلت في هذا وهذا.

التعليق:

يخبر تعالى أنه تعالى سيبلي المؤمنين وهذا كقوله سبحانه: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فلا بد من الصبر على الأذى في سبيل الدعوة وفي سبيل الله، فزمننا هذا أيضًا فيه استهزاء بالصالحين فعليهم أن يصبروا ويثبتوا على الحق، فالابتلاء يتنوع، فالعبد قد يبتيلى في نفسه وفي عرضه وقد يبتيلى في ماله وأهله، ونسأل الله العون والصبر ويبتيلى العبد على قدر دينه فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه وإن كان فيه رقة ابتلى على قدر ذلك والأذى تارة يكون من المشركين ومن أهل الكتاب وتارة يكون من المنافقين ومن المجرمين وقد يكون الأذى من الأقارب و الأباعد.

ومما يتعلق بمعنى الآية ما أخرجه البخاري في تفسيره عند هذه الآية عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك

قيل أن يسلم عبدالله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقًا فلا تؤذينا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبدالله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتناورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبدالله بن أبي - قال: كذا وكذا، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فو الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطالح أهل هذه البحيرة على أن يتوجه فيعصبونه بالعصاة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرفًا بذلك فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصطبرون على الأذى قال الله عز وجل: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا﴾ الآية.

وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية: وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صنديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. وأخرجه في الأدب. اهـ.

.....

فينبغي للداعية أن يصبر على الأذى من الناس ويوطن نفسه لذلك ويعلم أن هذه سنة الله في الخلق
قد أجزاها عليهم وخاصة في زماننا هذا فالدعاة مستضعفون ليس لهم من يدافع عنهم إلا الله ثم
إلا من رحم الله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قوله تعالى:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية ١٨٨.

قال البخاري ج ٨ ص ٢٣٣ طبعة سلفية مع الفتح: حدثنا سعيد بن أبي مريم: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلی الله علیه وسلم، كان إذا خرج رسول الله صلی الله علیه وسلم إلى الغزو تحلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلی الله علیه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلی الله علیه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لا يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾. الآية.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٢٣ وابن جرير ج ٤ ص ٢٠٥.

سبب آخر:

قال الإمام البخاري رحمته الله ج ٩ ص ٣٠١: حدثني إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام: أن ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي مليكة: أن علقمة بن وقاص أخبره: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل، معذبا لتعذبن أجمعون فقال ابن عباس: ما لكم ولهذا الآية، إنما دعا النبي صلی الله علیه وسلم يهودا وسأهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سأهم، وفرحوا بما أتوا من كتبناهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

تابعه عبد الرزاق عن ابن جريج.

حدثنا ابن مقاتل أخبرنا الحجاج عن ابن جريج: أخبرني ابن أبي مليكة، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره مروان بهذا.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٢٣ والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح والإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٢٩٨، وابن جريج ٤ ص ٢٠٧.

هذا ويمكن الجمع بين الحديثين بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معاً، قاله الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣١ أقول: ولو رجح حديث أبي سعيد لكان أولى لأن حديث ابن عباس مما انتقد على الشيخين كما في مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٣٢.

وكما في الفتح ج ٩ ص ٣٠٢ ولا معنى لقصرها على أهل الكتاب، قال الحافظ في الفتح: وعمومها يشمل كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويشنوا عليه بما ليس فيه. هذا وما يؤيد ما قلته في الترجيح أن الحافظ رحمته الله قال في الفتح في أبي رافع الرسول إلى ابن عباس الذي يدور عليه: لم أر له ذكراً في كتب الرواة إلا بما أتى في الحديث والذي يظهر لي من سياق الحديث إنه توجه إلى مروان فبلغه الرسالة ورجع مروان بالجواب فلولا أنه معتمد عند مروان ما قنع برسالته إلى آخر ما قال رحمته الله. فعلى هذا فأبو رافع مجهول.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ في هذا تحذير من الرياء والتكبر بما لم يفعله العبد ويجب مع ذلك المدح والثناء عليه كما كان يفعل المنافقون وأخبار اليهود. وقال النبي صلوات الله عليه وآله: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» متفق عليه. عن أسماء

.....

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو جَبَرٍ ۗ ﴾ ، وآخر الآية قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال ابن جرير رحمه الله: فلا تضمنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لأعدائه في الدنيا من الخسف والمسح والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم يبعيد منه. وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال: يقول: ولهم عذاب في الآخرة أيضًا مؤلم مع الذي لهم في الدنيا معجل. اهـ.

قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية ١٩٩.

قال الإمام أبو بكر البزار رحمته الله ج ١ ص ٣٩٢: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الفضل الحراني ثنا عثمان بن عبد الرحمن ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حميد عن أنس عن النبي صلوات الله وسلامه عليه. (ح) وحدثنا أحمد بن بكار الباهلي ثنا المعتمر بن سليمان ثنا حميد الطويل عن أنس أن النبي صلوات الله وسلامه عليه صلى على النجاشي حين نُعي فقيل: يا رسول الله تصلي على عبد حبشي فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ الآية) الحديث بالسند الأول ينظر في بعض رجاله ورجال الإسناد الثاني صالحون للحجبة إلا أن حميداً مدلس ولم يصرح بالتحديث. ولكن للحديث طريق أخرى إلى حميد قال النسائي رحمته الله في التفسير ج ١ ص ٤١ أنا عمرو بن منصور أنا يزيد بن مهران أنا أبو بكر بن عياش عن حميد عن أنس قال لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «صلوا عليه» قالوا: يا رسول الله نصلي على عبد حبشي فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ﴾. أنا عمرو بن منصور أنا يزيد بن هارون^(١) أبو خالد الحباب أنا أبو بكر بن عياش عن حميد عن الحسن مثله.

وهذا أيضاً حميد مدلس ولم يصرح بالتحديث والظاهر أنه رواه على الوجهين عن الحسن مرسلًا عن أنس والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله ج ١ ص ٤٤٣: وروى ابن أبي حاتم وأبو بكر بن مر

(١) كذا وصوابه ابن مهران كما في تهذيب التهذيب وليس بيزيد بن هارون الواسطي.

دويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك وذكره نحوه ثم قال: ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي ﷺ. اهـ. المراد منه.

والحافظ الهيثمي يقول في مجمع الزوائد من حديث أنس ج ٣ ص ٣٨: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال الطبراني رجال الصحيح. ثم ذكره من حديث أبي سعيد الخدري وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف. وعن وحشي قال لما مات النجاشي قال رسول الله ﷺ ثم قال: رواه الطبراني في الكبير وفيه سليمان بن أبي داود الحراي وهو ضعيف. اهـ. المراد منه من مجمع الزوائد. قال أبو عبد الرحمن: ورواه الحاكم من حديث عبد الله بن الزبير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه كذا قال: وهو من طريق مصعب بن ثابت وهو ضعيف ولكن الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى الحجية والله أعلم.

التعليق:

النجاشي اسمه: أصحمة كما في البخاري في كتاب الجنائز [١٣٣٤] وفي صحيح مسلم في الجنائز [٩٥٢] عن جابر رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ صلى على أصحمة النجاشي فكبر عليه أربعاً. وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج بهم إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات. متفق عليه. ومعنى: نعى أي: أخبرهم بموته ودعاهم إلى الصلاة عليه.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخطاكم قد مات، فقوموا فصلوا»

عليه. يعني: النجاشي. ورواه مسلم.

وفي قصة النجاشي رحمة الله دليل من دلائل النبوة، حيث أخبر النبي ﷺ بموته في اليوم الذي مات فيه ولم يكن في ذلك وسائل إعلام كما في زماننا، وإنما أخبره الله تعالى.

وفيه مشروعية الصلاة على الغائب الذي لم يُصلَّ عليه، الذي مات في بلاد الكفر أو غيرها ولا نعلم دليلاً غير هذا في مسألة الصلاة على الغائب.

وفيه أن من أسلم من أهل الكتاب فهو أخ لنا في الإسلام، ومن لم يسلم فليس أختاً لنا، بل هو كافر. وقد نزلت في النجاشي أيضاً آية في سورة المائدة كما يأتي.

وأن من أسلم منهم يعطى أجره مرتين كما ثبت بذلك الخبر عن النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين... - وذكر منهم - رجلاً من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك الإسلام وأسلم فيعطى أجره مرتين». وهو في الصحيحين بهذا المعنى.

سورة النساء

قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية ٣.

البخاري ج ٩ ص ٣٠٧: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج قال: أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها وكان له عذق، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ - أحسبه ^(١) قال كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله. الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره ج ٤ ص ٢٣٢ وأخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٥٥.

التعليق:

ومما يتعلق بالآية: ما جاء عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى: في آية أخرى: ﴿وترغبوا أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال والجمال.

(١) هو شك من هشام بن يوسف. اهـ. فتح.

قالت: فنهوا أن ينكحوا عن من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كنَّ قليلات المال والجمال. رواه البخاري في التفسير ج ٨ ص ٢٣٩ ومسلم في التفسير [٣٠١٨] ج ٤ بتحقيق محمد فؤاد.

وقال الإمام بن جرير رحمته الله تعالى في تفسيره: فقال بعضهم: معنى ذلك: وإن خفتم يا معشر أولياء يتامى أن لا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه، وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن فلا تنكحوهن، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة إلى أربع وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة أو ما ملكت أيمانكم. اهـ المراد. وذكر أقوالاً أخرى، ولكن هذا المعنى هو الأقرب، لأنه معنى قول عائشة رضي الله عنها، ومعنى قوله سبحانه: ﴿وإن خفتم﴾ أي: ظننتم الجور وخشيتم عدم القسط لليتيمة فانكحوا غيرها، إلا أن تقسطوا، والقسط: العدل. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية ٦.

البخاري ج ٩ ص ٣٠٩: حدثني إسحاق أخبرني عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرًا فإنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. الحديث أخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٦٥ و ١٦٦.

التعليق:

قلت: هذه الآية في ولي اليتيم إذا كان يقوم بإصلاح مال اليتيم وهو فقير فلا يأكل منه إلا بقدر عمله ولا يزيد على ذلك وقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بما يتعارف عليه الناس في ولاية مال مثله وإن كان غنيًا فينبغي له أن لا يأخذ منه شيئًا بل يحتسب الأجر من الله تعالى.

واليتيم: هو قبل البلوغ، فمن بلغ لا يسمى يتيماً.

❁ واليتيم: هو من مات أبوه هذا في بني آدم، وأما في الحيوان فمن ماتت أمه، والبلوغ يعرف بالاحتلام، وبلوغ خمس عشرة سنة، وبيانات شعر العانة، وفي المرأة مثل ذلك وتزيد تعرف بالحمل أو بالحيض. والله أعلم.

ونصح القائمين على أموال اليتامى أن يتقوا الله ولا يحفوا فيها أو يضيعوها عمدًا أو تساهلاً فالله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾، وأكل

مال اليتيم من السبع الموبقات كما جاء في الحديث.

وأما من حافظ عليها وكفل اليتيم له أو لغيره فأجره كبير.

قال النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى». وهو في الصحيح. وأما من لم يستطع فليترك الولاية من أولها، فهو أسلم له كما نصح النبي ﷺ أبا ذر فقال له: «إني أراك رجلاً ضعيفاً فلا تتأمرن على اثنين ولا تتولين مال يتيم». رواه مسلم وغيره.

قوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآيتان ١١ و ١٢.

البخاري ج ٩ ص ٣١١: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج قال: أخبرني ابن المنكدر عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي ﷺ لا أعقل فدعا بقاء فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

الحديث أخرجه البخاري ج ١ ص ٣١٣: وفيه نزلت آية الفرائض، وج ١٢ ص ٢١٨ وفيه نزلت آية الموارث، وج ١٥ ص ٤ وفيه حتى نزلت آية الموارث وج ١٧ وفيه حتى نزلت آية الموارث وأخرجه مسلم ج ١١ ص ٥٥ وفيه نزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي﴾ وص ٥٦ وفيه نزلت آية الميراث والترمذي ج ٣ ص ١٧٩ وقال هذا حديث حسن صحيح وفيه فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وج ٤ ص ٨٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح وفيه نزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي﴾ وابن الجارود - في المتقى ص ٣١٩ وابن جرير ج ١٤ ص ٢٧٦.

قال الإمام الترمذي رحمته الله ج ٣ ص ١٧٩: حدثنا عبد بن حميد نا زكريا بن عدي نا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابتيتها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً وإن عمهما أخذ ما لهما فلم يدع

لها مالا ولا تنكحان إلا و لهما مال قال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك».

هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقييل وقد رواه شريك أيضا عن عبد الله بن محمد بن عقييل.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٣ ص ٨٠ وابن ماجه رقم ٢٧٢٠ والإمام أحمد ج ٣ ص ٣٥٢ وابن سعد في الطبقات ج ٣ قسم ٢ ص ٧٨ والحاكم وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي عن جابر رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدًا وإن عمهما أخذ ما لهما فلم يدع لهما مالا فقال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آية الموارث فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك».

وقصة جابر أصح لأنها متفق عليها وأما قصة بنات سعد بن الربيع ففيها عبد الله بن محمد بن عقييل وهو صدوق ضعيف الحفظ على أنه لا تنافي بين القصتين فيحمل أنها نزلت فيهما معًا.

قال الحافظ في الفتح: ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين وآخرهما وهي قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ في قصة جابر ويكون مراد جابر فنزلت: ﴿يؤصّيكم الله في أولادكم﴾ أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية والله أعلم. اهـ. وأقول: في كلام الحافظ رحمته الله نظر فإن قوله:

﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ في ميراث الأخوة لأم فالأولى أن يقال: لا مانع من نزول الآية في الأمرين معاً كما قرره هو قبل والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: أي: يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث وفاوت بين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتجشم المشقة، فناسب أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى. اهـ. المراد وهذه الآية عامة في جميع الأولاد، وهي مخصوصة بحديث «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» متفق عليه عن أسامة رضي الله عنه.

فإذا اختلفا في الدين فليس بينهما توارث وهو قول جمهور العلماء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحبب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للمرأة الثمن والرابع، وللزوج الشطر والرابع. رواه البخاري في التفسير موقوفاً.

قلت: وفي زماننا هذا قد صار بعض المسلمين يتشبه بالجاهليين فيحتال على النساء فيوصي للذكور أو يشتري المال من حقه ويجعله باسم الذكور ونحو ذلك من الحيل التي لا تقبل عند الله فالواجب أن تُعطى النساء حقوقهن وإلا فهم موعودون بالعذاب الأليم.

وبعض الضلال الحاملين للأفكار الوافدة من أعداء الدين يطالبون بتسوية المرأة بالرجل في الإرث وغيره.

وهذه معارضة للقرآن الكريم وجهلاً بحكمة الشرع في قسمة الله تعالى للخلق، فالعاقل يعلم أن ما شرعه الله هو عين العدل وهو الذي يصلح الناس.

ومن الغباوة أن بعض النساء صدقن ذلك وظنن أن هؤلاء هم حقاً دعاة العدل وهذا محض افتراء وتلبيس منهم فنظرة واحدة إلى المجتمع الأربي توضح كذبهم وافتراءهم. والله الحمد على الإسلام.

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ الآية ١٩.

البخاري ج ٩ ص ٣١٤: حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني^(١) عن عكرمة عن ابن عباس: قال: الشيباني وذكره أبو الحسن السوائي^(١) ولا أظنه ذكر إلا عن ابن عباس: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا ولا تعضلوهن لتهبوا ببعض ما آتيتوهن﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاء وزوجها وإن شاء ولم يزوجها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك.

الحديث أخرجه أيضًا في كتاب الإكراه ج ١٥ ص ٣٥٣ وأبو داود ج ٢ ص ١٩٣ وابن جرير ج ٤ ص ٣٠٥.

قال الحافظ ابن كثير ج ١ ص ٤٦٥: وروى وكيع عن سفيان عن علي بن بزيمة عن مقسم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا توفى عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبًا كان أحق بها فنزلت. اهـ. علي بن بزيمة روى له أصحاب السنن وهو ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح وروى الطبري ج ٤ ص ٣٠٥ عن أبي أمامة قال: لما توفى أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم في الجاهلية فنزلت. قال

(١) هو أبو إسحاق سليمان بن فيروز.

(١) قال الحافظ في الفتح: حاصلة أن للشيباني فيه طريقتين إحداهما موصولة وهي عكرمة عن ابن

عباس والأخرى مشكوك فيها.

الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٠٥ و السيوطي في اللباب سنده حسن.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا ﴾ قال الإمام ابن جرير رحمته الله: يعني تبارك وتعالى بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا ﴾ يقول: لا يحل لكم أن ترتوا نساء أقاربكم وأبائكم كرها، فإن قال قائل: كيف كانوا يرتونهن؟ وما وجه تحريم وراثتهن؟ فقد علمت أن النساء موروثات كما الرجال موروثون قيل إن ذلك ليس من معنى وراثتهن إذا هن من متن فتركن مالا وإنما ذلك أنهن في الجاهلية كانت إحداهن إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهم عن النكاح. اهـ.

وقوله: ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ ﴾ نهي الله سبحانه في هذه الآية الأزواج أن يضروا بزوجاتهم فيمسكوهن ضرازا لهن من أجل أن يفتدين منهم بالأموال وقد أمر الله الأزواج أن يمسكوهن بالمعروف أو يفارقوهن. وينحو هذا.

قال ابن جرير رحمته الله بعد أن ساق أقوال المفسرين وأولى هذه الأقوال بالصحة - قول من قال نهي الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التصيق عليها والإضرار بها وهو لصحبته كاره ولفراقها محب لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق. اهـ المراد.

وذكره ابن كثير ولم يذكر غيره من الأقوال، ورجحه الإمام البغوي في تفسيره.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية ٢٢.

ابن جرير ج ٤ ص ٣١٨: حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال: حدثنا قراد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يجرمون ما يجرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾. الحديث رجاله رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الله المخرمي وهو ثقة.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ أي: لا تتزوجوا ما تزوج آباءكم ولو بمجرد العقد فتحرم على ولده وسواء مات عنها أو طلقها فهذا من باب حقوق الآباء على أبنائهم وتعظيمًا لحقهم فلا يجوز للابن أن ينكح ما نكح أبوه وهو محرم باتفاق العلماء.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: ما قد حصل قبل هذا التحريم فلا إثم على من فعل ذلك ولكن من الآن يجرم ويأثم من فعل ذلك وكذلك الأب إذا كان له جوارى وطأهن فلا يجوز للولد أن يطأ جارية أبيه بأي حال، وكذلك الجمع بين الأختين يجرم بالآية وهو أمر مجمع عليه والصحيح أيضًا لا يجمع بينها بملك يمين.

وأما إذا ماتت زوجة الرجل فللزواج أن يتزوج بأختها أو طلقها وخرجت من عدتها فلا بأس أن يتزوج بأختها. والله أعلم.

تبيين:

وقع في السند ثنا ابن عيينة وعمرو وهو غلط والصواب هو ما أثبتناه فإن سفيان لم يرو عن عكرمة وقد ذكر الحافظ في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١٩ أن سفيان ولد سنة ١٠٧ ثم ذكر في ترجمة عكرمة أنه توفي سنة ١٠٧ وقيل ١١٠ وقيل غير ذلك وعلى كل فسفيان مشهور بالرواية عن عمرو وهو ابن دينار وإنما نهت عليه لثلا يظن أن ما ههنا غلط، ووقع في تفسير ابن كثير على الصواب كما نقله شيخنا حفظه الله.

قوله تعالى.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية ٢٤.

مسلم ج ١٠ ص ٣٥: حدثنا عبيد الله بن ميسرة القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشاً إلى أوطاس فلقوا عدواً فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا فكان ناساً من أصحاب الرسول ﷺ تخرجوا من غشيانهم من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن ثم ذكر له طريقاً إلى قتادة والراوي عنه شعبة فأمناً من تدليسه فإن شعبة إذا روى عنه يستثبته.

وقد قال شعبة: كفتيكم تدليس الأعمش وأبي إسحاق و قتادة كما في فتح المغيث للسخاوي.

الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٨٦ وقال: حديث حسن صحيح .
وأبو داود ج ٢ ص ٢١٣ والنسائي ج ٦ ص ٩١ والإمام أحمد ج ٣ ص ٧٢ و ٨٤ وابن جرير ج ٥ ص ٢.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: أن الله حرم عليكم المحصنات، وهن: المتزوجات من الأجنبيةات من زوجات المسلمين والمشركين إلا زوجات

.....
المشركين إذا سبين وصرن لكم مملوكات فيجوز لكم وطئهن بعد الإستبراء كما في الآية: ﴿إِلَّا مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وكذلك جاءت الأحاديث بإباحة المسبيات ذوات الأزواج وغيرهن سواء و
استبراءهن بحيضة واحدة عند جمهور العلماء، إلا من كانت حاملاً فبوضع حملها. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ إلى قوله
﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ الآيتان ٥١ و ٥٢.

ابن جرير ج ٥ ص ١٣٣: حدثنا محمد بن المثنى ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور^(١) المنبر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، قال: أنتم خير منه، قال: فأنزلت: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

وأنزلت: ﴿ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ إلى قوله: ﴿فلن تجد له نصيرًا﴾.

الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥١٣ فقال: قال الإمام أحمد: حدثني محمد بن أبي عدي به وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٤٢٨، ورجاله رجال الصحيح. إلا أن الراجح إرساله كما ذكر في تخريج تفسير ابن كثير.

التعليق:

قولهم: المنبر من قومه، أي: المتقطع من قومه، فارقههم ولم يخالطهم. وقولهم: ونحن أهل الحجيج، أي: نحافظ على الحجاج وزوار الكعبة ونخدمهم، وأيضًا نحج كثيرًا. وأهل السدانة، أي: يخدمون

(١) الصنبور: الرجل الفرد الضعيف الدليل بلا أهل وعقب وناصر واللثيم. اهـ. قاموس ج ٢ ص ٧٣.

البيت الحرام ويقومون بنظافته وشأنه. وأهل السقاية، أي: يسقون الحجيج والمعتمرين بدون أجر من الناس، فكيف يكون محمد خيرًا منا في زعمهم، ولا يدرون أن الشرك أفسد عليهم جميع هذه الأعمال فالله لا يقبل أي عمل إلا بما شرع ويكون له خالصًا ليس معه شريك.

وقول كعب بن الأشرف: أنتم خير منه، هذا كذب واضح كيف يكون المشرك خير من الموحد، وكان يهوديًا وأبوه من طي وأمه يهودية، وكان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه فأرسل رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة وغيره فقتلوه غيلة رضي الله عنه جميعًا. وقوله سبحانه: ﴿إِنْ شَانَنكَ﴾ أي مبغضك، ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: هو المنقطع من الذُّكر، وكانوا يقولون: الأبتَر من الرجال الذي لا ولد له.

وقوله سبحانه: ﴿أَوْتُوا نَصِييًّا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود.

وقوله سبحانه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أي: يصدقون بالجبث والطاغوت. وقال القرطبي في تفسيره اختلف أهل التأويل في تأويل الجبث والطاغوت، فقال ابن عباس وابن جبير وأبو العالية: الجبث الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وقال الفاروق رضي الله عنه: الجبث السحر والطاغوت الشيطان. قال ابن مسعود الجبث والطاغوت ها هنا كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب. وقال: عكرمة: الجبث حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف، دليله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ وقال قتادة: الجبث: الشيطان، والطاغوت: الكاهن. وروى ابن وهب عن مالك بن أنس: الطاغوت: ما عبد من دون الله، قال: وسمعت من يقول: إن الجبث: الشيطان، ذكره النحاس، وقيل: هما كل معبود من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن. وأصل الجبث الجبس وهو الذي لا خير فيه فأبدلت التاء من السين قاله قطرب وقيل الجبث إبليس والطاغوت أولياؤه وقول مالك في هذا الباب حسن يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنْ عَابَدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا

الطاغوت ﴿وقال تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾. اهـ. المراد.

وما قاله مالك ومن وافقه هو الأقرب، والأحسن في الباب وأجمع للمعنى حتى يدخل كل شيء

عبد من دون الله لأن الطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد - فالذي عبد غير الله فقد

تجاوز حد هذا المخلوق في العبادة له، لأن المخلوق لا يستحق العبادة ولو كان ذا قدر عظيم،

فالذي عبده هو الذي تجاوز به الحد ولهذا ابن القيم رحمه الله قال في بعض كتبه في تعريف

الطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع - اهـ. والله أعلم. ولهذا

الملائكة تتبرأ من عبادة المشركين قال الله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء

إياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم

مؤمنون﴾ سورة سبأ آية ٤١ و٤٢.

وكذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم يتبرؤون من عبادة المشركين قال سبحانه: ﴿ومن أضل ممن

يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس

كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادهم كافرين﴾ الأحقاف آية ٥ و٦.

ونعوذ بالله من الشرك وأهله.

والملائكة والأنبياء والصالحون وإن عبدوا من دون الله فلا يسمون طواغيت لأنهم ليسوا راضين

بهذه العبادة.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ الآية ٥٩.

البخاري ج ٩ ص ٣٢٢: حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية.

الحديث قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه. وهو في المسند ج ١ ص ٣٣٧ وأخرجه ابن الجارود ص ٣٤٦ وابن جريج ٥ ص ١٤٧ و ١٤٨.

بيان الحديث الأول:

قال الإمام البخاري رحمته الله تعالى ج ٩ ص ١٢١:

حدثنا مسدد: حدثنا عبد الواحد: حدثنا الأعمش حدثني سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. فغضب فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطباً فجمعوا له فقال: أوقدوا ناراً فأوقدوها فقال: ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة الطاعة بالمعروف».

التعليق:

في الآية أن الطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ. وأما أولو الأمر فطاعتهم مقيدة بما لا يخالف الشرع، ولهذا في آخر الآية بيان لذلك ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يعني: فإن اختلفتم أنتم وحكامكم أو غيرهم في جواز شيء أو تحريمه. فردوه إلى الله، أي إلى كتاب الله. وإلى الرسول في حياته وبعد موته إلى سنته عليه الصلاة والسلام فطاعة ولاة الأمر مطلوبة بالمعروف إذا لم يأمرُوا بمنكر ومعصية، وأيضًا يطيع الإنسان في شيء يقدر عليه، ولهذا قال النبي ﷺ لأصحاب السرية: «إنما الطاعة بالمعروف» ليس في شيء محرم أو مهلك. والله المستعان، والصحابي ذلك ﷺ حمل الآية على عمومها مع الغضب والله المستعان.

وقال الإمام الحافظ رحمه الله في الفتح (١).

واختلف في المراد بأولى الأمر في الآية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: هم الأمراء. أخرجه الطبري بإسناد صحيح. وأخرجه عن ميمون بن مهران وغيره نحوه. وعن جابر بن عبد الله قال: هم أهل العلم والخير، وعن مجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية: هم العلماء ومن وجه آخر أصح منه عن مجاهد قال: هم الصحابة، وهذا أخص. وعن عكرمة قال أبو بكر وعمر: وهذا أخص من الذي قبله ورجح الشافعي الأول واحتج له بأن قريشًا كانوا لا يعرفون إلا الإمارة ولا يبقادون إلى أمير فأمرُوا بالطاعة لمن ولي الأمر ولذلك قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني» متفق عليه.

واختار الطبري حملها على العموم وإن نزلت في سبب خاص. والله أعلم. اهـ.

وما قاله الشافعي: هو قوي لأن الآية نزلت في سببه وقول الإمام الطبري هو صواب لأن الأصل

الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالعلماء هم يبينون عن الله وعن رسوله ﷺ، فيجب

على العامة طاعتهم فيما يأمرونهم به من الحق والخير، وكذلك الأمراء يطاعون بالمعروف فيما لا

يخالف، والناس في حق الأمراء بين إفراط وتفريط ووسط فبعض الناس يغالي جدًا في طاعة ولي

الأمر في الخير والشر وقد يستدل ببعض الأدلة فيحملها على العموم بدون تخصيص، وآخرون

ينابذونهم بمجرد المعاصي والظلم الذي يصدر من بعضهم ويكفرونهم من غير مكفر ويجوزون

الخروج عليهم وهم الخوارج وفي زماننا يسمون بجماعة الهجرة والتكفير وقد تأثر بهم بعض

الشباب المحب للخير فوقعوا في الخطأ ومنازعة الحكام مما جر إلى الضرر والفتن على أهل

الاستقامة وكان الواجب عليهم أن يكونوا خلف العلماء الراسخين من أهل السنة الذين هم وسط

في هذا الباب فلم يقرأوا بظلم الحكام ولا يطيعونهم في ذلك ولا يجوزون الخروج عليهم ما دام أنهم

يظهرون شعائر الإسلام ويصلون للأحاديث الواردة في هذا وهو قوله ﷺ: حين سُئل أفلا

ننابذهم؟ قال: «لا ما صلوا». وحديث آخر: «إلا أن تروا كفرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان».

وأيضًا لما يرون من ضعف المسلمين وتفريقهم وتسلط الأعداء عليهم حتى قال بعض العلماء: ولو

كان الحاكم قد أظهر الكفر ولم يستطع إزالته بدون سفك دماء المسلمين وتبديله بمسلم عادل

فيترك حتى يقوى المسلمون ويجعل الله فرجًا لذلك البلد وهذه المسألة فيها مزية أقدم فيجب

التورع والتأني فيها. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية ٦٠.

تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٩ قال الطبراني: حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو^(١) عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه ناس من المشركين^(٢) فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾.

الحديث ذكره الواحدي في أسباب النزول بهذا السند وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قال أبو عبد الرحمن: شيخ الطبراني ما وجدت ترجمته لكنه قد تابعه إبراهيم بن سعيد الجوهري عند الواحدي.

(١) في ابن كثير، ابن عمر، وصوابه ما أثبتناه كما في التهذيب، وهو عند أبي داود. ج ٢ ص ٣٤٤.

(٢) كذا في الأصل ولكن في تعليق شيخنا الوادعي على ابن كثير قال في مخطوطتنا: فتنافر إليه ناس من المسلمين. وفي سائر الطبعات: ناس من المشركين. وهو خطأ فإن الآية تنحى باللائمة على قوم يؤمنون بما أنزله الله على رسوله وما أنزله من قبل، ومع ذلك فإنهم يتحاكمون إلى الطاغوت. اهـ. وما قاله الشيخ هو حسن وصواب. والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله وذكر سبب نزول الآية في رجل من الأنصار تخاصم مع يهودي فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. (١)

وقيل غير ذلك والآية أعم من ذلك كله فإنها دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل. وهذا المراد بالطاغوت هاهنا ولذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ..﴾ إلى آخر الآية. اهـ كلامه.

ففي الآية تحريم التحاكم إلى الأسلاف والأعراف المخالفة للشرع، وكذلك يجرم التحاكم إلى القوانين الوضعية والديمقراطية التي هي مستوردة من أعداء الدين ولا صلة لها بالإسلام وشريعته بل هي ضد الإسلام وأحكامه بل هي في عصرنا أعظم طاغوت يعظم وأعظم فتنة للشعوب فرقت المسلمين وأنشأت بينهم العداوة والبغضاء والقتل والقتال بسبب الحزبيات التي جاءت بها. وغيره ومعناها عند الغرب حكم الشعب نفسه بنفسه بمعنى أن مصدر التشريع والتحليل والتحرير هو

(١) جاء عند ابن جرير عن الشعبي وسنده صحيح لكنه مرسل. وروى ابن جرير عن رجل

حضر مي نحوه وهو مجهول. وصح عن قتادة قال: ذكر لنا فذكر نحوه وسنده صالح.

الشعب وهذا باطل لقوله سبحانه: ﴿إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ﴾ وغير ذلك من الأدلة في الباب فتركوا أحكام الله وتشبثوا بالقوانين. وبعض المسلمين يشيد بها ويجعلها بمعنى الشورى، وهذا خطأ فادح وتلبيس على الناس وتزييف للمفاهيم، وبعض المسلمين يشيد بها ويقول ندارى بها المشركين: وهذا غلط أيضًا ففيه ترويج للباطل فيدارى المشركين بغير فعل الباطل. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية ٦٥.

البخاري ج ٩ ص ٣٢٣: حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا محمد بن جعفر: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شريح من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجهه ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

الحديث أخرجه الجماعة كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥٢٠ فذكره البخاري في مواضع منها ج ٥ ص ٤٣١ إلى ص ٤٣٨، ومسلم ج ١٥ ص ١٠٧ وفيه عن عروة أن عبد الله بن الزبير حدثه أن رجلاً من الأنصار وكذا في البخاري ج ٥ ص ٤٣١، فأينما ما ظاهره الإرسال في بعض الطرق، والترمذي ج ٢ ص ٢٨٩ وفيه عن عروة أن عبد الله حدثه وقال: هذا حديث حسن وأعادته في التفسير ج ٤ ص ٨٩ بذلك السند، وأبو داود ج ٣ ص ٣٥٢، وابن ماجه رقم ١٥ ورقم ٢٤٨٠، والإمام أحمد ج ٤ ص ٥، وابن جرير ج ٥ ص ١٥٨ وفيه رواية عبد الله عن أبيه الزبير وابن الجارود ص ٣٣٩ كالطبري.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الإيمان الواجب الذي لا يتم الإيمان إلا به. ﴿حَتَّى يُحْكُمُوا لَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فالواجب على الإنسان أن يستسلم لحكم الله وحكم رسوله وإن كرهت نفسه وإن ذهبت عليه الدنيا، وهذا من كمال الإيمان الواجب، والمؤمن بخلاف المنافق الذي يجيد عن حكم الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النساء. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ النور آية ٤٩ و ٥٠.

وقال الحافظ ابن كثير في قوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك...﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ولهذا قال: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به ويتقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. اهـ المراد.

قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ الآية ٦٩.

الطبراني في الصغير ج ١ ص ٢٦: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال المكي أبو عبدالله حدثنا عبدالله بن عمران العابدي حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي ومالي وأحب إلي من ولدي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية:

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ الآية، لم يروه عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة إلا فضيل. تفرد به عبدالله بن عمران.

الحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧: رجاله رجال الصحيح إلا عبدالله بن عمران وهو ثقة. وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع ج ٧ ص ٧ وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ٢٤٠ وج ٨ ص ١٢٥ والواحدي في أسباب النزول بهذا السند.

وقال الشوكاني إن المقدسي حسنه. وله شواهد كما في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٢٣ تزيده قوة.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ قال الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره: يعني جل ثناؤه: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ بالتسليم لأمرهما وإخلاص الرضا بحكمهما، والانتهاى إلى أمرهما والإنزجار عما نبيا عنه من معصية الله فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدياته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه وفي الآخرة إذا دخل الجنة. اهـ.

قلت: يعني أن الذي يلحق بالأنبياء في الجنة هو الذي يطيع الله ورسوله حق الطاعة ويستقيم استقامة صادقة فرجو الله العون. وفي صحيح مسلم في كتاب الصلاة [٤٨٩] عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود». فجعل كثرة السجود والصلاة سببًا في بلوغ مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا بد من العمل الصالح. وقوله سبحانه: ﴿والصديقين﴾ قال ابن جرير هم جمع (صديق) واختلف في معنى: (الصديقين) فقال بعضهم: (الصديقون) تَبَاعُ الأنبياء الذين صدقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم فكان الصديق (فَعِيل) على مذهب قائل هذه المقالة من الصدق كما يقال: (رجل سَكِير) من السكر إذا كان مدمنًا على ذلك و (شَرِيب) و (خَيْر) وقال آخرون: بل هو (فَعِيل) من الصدقة. اهـ المراد. والقول الأول أقوى والله أعلم.

وقوله سبحانه: ﴿وَالشَّهَدَاءَ﴾ جمع شهيد، وهو: المقتول في سبيل الله.

وسمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل.

قاله ابن جرير رحمه الله أيضًا.

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ هذا مدح لهؤلاء الرفقاء، وقد قال

النبي ﷺ عند الاحتضار: «في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى» ونصب إصبه ثم توفي وهو يقولها

فقال عائشة رضي الله عنها: فحين قالها عرفت أنه لا يختارنا. وهو في الصحيح. والأدلة كثيرة على وجوب

طاعة الله وطاعة رسوله وأن الفلاح متوقف على ذلك وكذلك الفوز بالجنة والنجاة من النار.

قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ الآية ٧٧.

النسائي ج ٦ ص ٣: أخبرنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال أنبأنا أبي قال أنبأنا الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عزة ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة فقال: «إني أمرت بالعبء فلا تقاتلوا، فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا» فأنزل الله عز وجل: ﴿الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة﴾.

الحديث أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٦٦ و ٣٠٧ وقال في الموضعين: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وفيما قاله نظر فإن حسين بن واقد ليس من رجال البخاري فالأولى أن يقال: رجاله رجال الصحيح فإن حسيناً من رجال مسلم وعكرمة من رجال البخاري ومن رجال مسلم مقروناً بآخر وأخرجه ابن جرير ج ٥ ص ١٧١.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ أي: ألم تعلم الذين قيل لهم، هم بعض أصحابه في مكة كما في الحديث عن عبد الرحمن بن عوف، المذكور. وقوله: ﴿كفوا أيديكم﴾ أي: عن القتال والجهاد ﴿وأقيموا الصلاة﴾. أي: اهتموا بما تقدرون عليه من إقامة الصلاة بركوعها وخشوعها في أوقاتها حتى يأذن الله بالقتال في وقت يقدرون عليه.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النصب، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين وكانوا يتحرقون ويودون لو أنهم أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها: كونهم في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداءً لاثقاً فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفاً شديداً ﴿وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ أي: لوما أخرت فرضه إلى مدة أخرى فإن فيه سفك دماء ويتم الأبناء وتأييم النساء. اهـ المراد.

قلت: ونستفيد من هذه الآية والحديث الذي ساقه شيخنا رحمه الله أن الجهاد اليوم غير ممكن لتفرق المسلمين دولاً وأحزاباً و عدم العدة الكافية ولا يكفي أن نقاتلهم بالحجارة والبندقية وهم يضربون بالطائرات والدبابات وغيرها من السلاح الثقيل.

فلا بد للشباب أن يترثوا وأن يهتموا بالعبادة والاستقامة والتعليم النافع، وأيضاً تفتية الناس والحث على جمع الكلمة ولا يصلح جهاد إلا بأرض ومنعة وأنصار، وكذلك إمام يكونون حوله ويأوون إليه ويصدرون عن رأيه وأن يكون مسلماً عنده خبره بالحرب ومادة وقوة وعدة، ومن العجب أنه قد حصل تحريف لمفهوم الجهاد فصار عند البعض أن الجهاد: هو الخروج على الحكام في بلاد الإسلام وبعضهم يفهم أن الجهاد هو قتل الكفار والمشركين بدون تفريق بين معاهد أو تاجر أو مستورد لعمل ضروري في بلاد الإسلام وهذا فيه فساد وضرر على المسلمين وليس

بمجاهد في الحقيقة.

فلا بد أن نعرف من نجاهد ومع من نجاهد ومتى نجاهد، ولا يكفي أن تقوم طائفة قليلة بالجهاد لكثرة أعداء الدين اليوم ومعاهدة بعضهم بعضًا وتلييسهم في الإعلام فيسمون الجهاد إرهابًا فعند ذلك صار بعض المسلمين يحارب المجاهدين ويضن أنه يحسن صنعًا.

وليس من الجهاد التفجيرات في بلاد الإسلام لأنه يلحق بهم ضررًا وبأموالهم فينبغي للشباب أن يتورعوا وأن يتصبروا حتى يجعل الله مخرجًا وفرجًا من عنده.

وأما إذا هجم العدو على بعض بلاد الإسلام فالواجب على كل من في البلد أن يقاتلوه، ووجب على جيرانهم معاونتهم ونصرهم ودفع العدو عنهم، وقد يجب على كل من قدر من المسلمين رد هذا العدو. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ﴾ الآية ٨٣.

قال مسلم رحمه الله ج ١٠ ص ٨٢: حدثني زهير بن حرب حدثنا عمر بن يونس الحنفي حدثنا عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل. حدثني عبدالله ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب فقال عمر فقلت: لأعلمن ذلك اليوم قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: مالي ومالك يا ابن الخطاب؟ عليك بعيبتك. قال: فدخلت على حفصة بنت عمر. فقلت لها: يا حفصة! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله! لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجبك. ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبكت أشد البكاء. فقلت لها: أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هو في خزانته في المشربة. فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا على أسكفة المشربة. مدل رجله على نقير من خشب. وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر. فناديت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنظر رباح إلى الغرفة. ثم نظر إلي فلم يقل شيئا. ثم قلت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنظر رباح إلى الغرفة. ثم نظر إلي. فلم يقل شيئا. ثم رفعت صوتي فقلت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أني جئت من أجل حفصة. والله! لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها. ورفعت صوتي. فأومأ إلي أن ارقه. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع

على حصير. فجلست. فأدنى عليه إزاره. وليس عليه غيره. وإذا الحصير قد أثر في جنبه. فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ. فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع. ومثلها قرظا في ناحية الغرفة. وإذا أفيق معلق. قال: فابتدرت عيناى. قال: «ما يبكيك؟ يا ابن الخطاب!» قلت: يا نبي الله! وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك. وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى. وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار. وأنت رسول الله ﷺ وصفوته. وهذه خزانتك. فقال «يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة وهم الدنيا؟» قلت: بلى. قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب. فقلت: يا رسول الله! ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت، وأحمد الله، بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول. ونزلت هذه الآية. آية التخير: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾ [٦٦ / التحريم / ٥] ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [٦٦ / التحريم / ٤] وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ. فقلت: يا رسول الله! أطلقتهن؟ قال «لا» قلت: يا رسول الله! إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى. يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه. أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال «نعم. إن شئت» فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كسر فضحك وكان من أحسن الناس ثغرا. ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلت. فنزلت أتشبت بالجذع ونزل رسول الله ﷺ كأنها يمشي على الأرض ما يمسه بيده. فقلت: يا رسول الله! إنها كنت في الغرفة تسعة

وعشرين قال "إن الشهر يكون تسعا وعشرين" فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه. ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [٤ / النساء / ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله عز وجل آية التخيير.

التعليق:

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: طائفة من المؤمنين وقوله: ﴿أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ مثل النصر للمؤمنين وفرح لأحدهم ﴿أَوْ الْخَوْفِ﴾ من فزع وقتل بعض المسلمين، ومثل هذه الحادثة ونحو ذلك، ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أي: أفشوه وتناقلوه، وقد يكون فيه ضرر على الناس أو على بعضهم وربما يقع فيه شيء من مخالفة الواقع وهم لا يدرون وينقلونه قبل رسول الله وعلما الصحابة ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ فيكون هو أول من يتكلم في الأمور المهمة، وقوله: ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قال بعض أهل العلم: هم العلماء والفقهاء وأهل العقول الراجحة، وقال بعضهم: هم أمراء السرايا والولادة، ولا تنافي بين القولين. والله أعلم.

وفيه: التحذير من نقل الشائعات قبل تحققها فقد تكون غير صحيحة، وكذلك لا تبني الأحكام على الشائعات فلا بد من الثبوت من الحكايات والأخبار وقيل وقال. وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن قيل: وقال: وكثرة السؤال وإضاعة المال. وقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي يستخرجون معناه الصحيح ويتبعونه. ومما ينبغي لطلاب العلم إذا نزلت بالمسلمين نازلة وحدثت حادثة أن يردوها إلى أهل العلم الراسخين في العلم، فاجتهدهم

.....
مقدم على غيرهم لخبرتهم بالواقع وعلمهم بالشريعة ومقاييس الأمور بعضها ببعض. والله أعلم.
وفي الحديث منقبة لعمر رضي الله عنه ظاهرة وفضائله كثيرة. وفيه: ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الزهد وعدم
الإلتفات إلى الدنيا والرضى منها بالكفاف.

وفيه: تأديب الرجل ابنته والحرص على صلاح أمرها مع زوجها.

وفيه: جواز قول: لو لا فلان لكان كذا في أمر يقدر عليه.

قوله تعالى:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ الآية ٨٨.

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٨ ص ٣٥٩: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجوع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين: فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ قال: إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الحديد.

الحديث أخرجه أيضًا في التفسير ج ٩ ص ٣٢٥ ومسلم ج ١٧ ص ١٢٣ وليس عنده - إنها طيبة إلخ - والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ج ٤ ص ٨٩. وأحمد في المسند ج ٥ ص ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨ وابن جرير ج ٥ ص ١٩٢ والطبراني في الكبير ج ٥ ص ١٢٩.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ما: استفهامية فيها معنى الإنكار.

وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ أي: فرقتين مختلفتين. أي لا تختلفوا من أجل المنافقين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: ردهم إلى الكفر أو إلى الخطأ وخذلهم عن هذا الخير. والركس والنكس قلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره. قاله بعض أهل اللغة.

وقوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: بسبب عملهم السيئ، والمراد بالمنافقين هنا هو: عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذين خذلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رجعوا من قرب المعركة، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث:

.....

«إنها طيبة تنفي الذنوب» وفي رواية: «تنفي الخبث» أي: المدينة، فالرجل الخبيث كالمناقق والزنديق والفاجر لا يستطيع أن يبقى فيها في ذلك الزمن، وإنما الذي يبقى فيها ويواصل الخير فيها هم المؤمنون الخُلص، فالفتن والابتلاءات تظهر الناس على حقيقتهم، فالمؤمن يصبر ويحتسب، أما المنافق والمذبذب فهو يتخبط ويتزعج ولا يثبت على الحق، نسأل الله السلامة. ويستفاد من الآية أن أهل الحق لا ينبغي لهم أن يختلفوا من أجل العصاة أو من أجل اختلاف الملوك واختلاف الأقاليم، بل ينبغي لأهل العلم أن لا تؤثر عليهم المجتمعات والملوك، فالمملوك يختلفون سياسة ومن أجل الدنيا فلا يتابعون على ذلك ويبقى هذا العالم يرد على العالم الآخر والكل يفتي للملكه ورئيسه بما يوافق هواه، وإنما الواجب أن يكون الولاء للحق وأهله حيثما كانوا، فأهل الحق وأهل السنة لا تفرق بينهم الأقاليم والممالك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وحديث: «لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى». وغير ذلك من الأدلة التي تدل على الحث على الأخوة في الدين.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴾ الآية ٩٤.
 البخاري ج ٩ ص ٣٢٧: حدثني علي بن عبد الله: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء،
 عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ قال: قال
 ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه
 وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ تلك
 الغنيمة.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٦١ والترمذي ج ٤ ص ٩٠ وقال: هذا حديث
 حسن قال المباركفوري: وأخرجه أبو داود في الحروف، والنسائي في السير، وفي
 التفسير. اهـ.

وأخرجه الإمام أحمد ج ١ ص ٢٢٩ و ص ٣٢٤ وأخرجه الحاكم ج ٢ ص ٢٣٥ وقال:
 صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي، ومقصوده لم يخرجاه بهذا السند إلى
 ابن عباس وابن جرير ج ٥ ص ٢٢٣ وعند الترمذي وأحمد والحاكم وابن جرير في
 روايته تعيين المقتول وأنه من بني سليم، وعند البزار وقال الهيثمي ج ٧ ص ٩ وسنده
 جيد وفيه تعيين القاتل وأنه المقداد^(١) وظاهر قصة المقداد المغيرة، لكن قال الحافظ في

(١) كون الآية نزلت في المقداد ليس بصحيح بل الراجح إرساله راجع ما كتبه على تفسير ابن كثير.

(عثمان) قلت: قال الشيخ الوداعي في تعليقه: في سننه أبو بكر بن علي المقدمي روى عنه اثنان كما في

الفتح ج ٩ ص ٣٢٧: تحمل على الأول لأنه يمكن الجمع بينهما. اهـ. بالمعنى.
قال الإمام أحمد رحمته الله ج ٦ ص ١١: ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني يزيد
بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه عبد الله بن أبي
حدرد قال: بعثنا رسول الله صلوات الله إلى إضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة
الحارث بن ربيعي ومحم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا
عامر الأشجعي على قعود له متيع ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه
وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله بشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على
رسول الله صلوات الله وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في
سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة
الدنيا فعند الله مغنم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما
تعملون خبيراً﴾.

الحديث أخرجه ابن الجارود ص ٢٦٣.

والحديث حسن لغيره فيه القعقاع بن أبي حدرد قال البخاري: له صحبه ولم يأت
ببرهان على ذلك ونفى صحبته ابن عساكر كما في تعجيل المنفعة وقد روى عنه اثنان
ولم يوثقه معتبر فعلى هذا هو مستور الحال يصلح في الشواهد والمتابعات.

تهذيب التهذيب ولم يوثقه معتبر فهو مستور الحال، ثم إنه قد خالفه سفيان الثوري فرواه مرسلًا كما في
تهذيب التهذيب في ترجمة جعفر بن سلمة البصري، فعلى هذا فالراجح فيه الإرسال، ويكون نزول الآية في
المقداد ضعيفًا. اهـ كلامه.

قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٢٧: وهذه عندي قصة أخرى ولا مانع أن تكون الآية نزلت في الأمرين معاً. اهـ.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: إذا سافرتم للجهاد في سبيل الله: ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ أي: تثبتوا ولا تتعجلوا بالحكم على من رأيتم وقال لكم أنا مسلم أو ألقى السلام عليكم فلا تقولوا لست مؤمناً فالأصل أنكم تعاملون الناس على الظاهر فإنه لا يرد عليكم السلام إلا مسلم: والله أعلم. وقال الإمام البخاري رحمته الله [٦٨٦٦] ج ١٢ ص ١٨٧: في كتاب الديات في الباب الأول: وقال حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ للمقداد: «إذا كان رجل مؤمن ممن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته؟ فذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل».

هكذا ذكره معلقاً بصيغة الجزم. وقال الحافظ: وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير من رواية أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم والد محمد بن أبي بكر المقدمي عن حبيب وفي أوله: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد فلما أتوهم وجدوهم تفرقوا، وفيهم رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد ألا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله... الحديث. وفيه فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «يا مقداد قتل رجلًا قال لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله» فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ فقال النبي ﷺ للمقداد: «كان رجلًا مؤمنًا يخفي إيمانه..» إلخ. قال الدارقطني: تفرد به حبيب وتفرد به أبو بكر عنه. قلت: هو الحافظ، قد تابع أبا بكر سفيان الثوري لكنه أرسله أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عنه. اهـ المراد.

قلت: والثوري أرجح من أبي بكر هذا فإن أبا بكر المقدمي روى عنه اثنان ولم يوثقه معتبر كما في تهذيب التهذيب في الكنى فهو مجهول حال، فلهذا الإرسال فيه أرجح، ولكن يحتمل أن يكون البخاري اطلع على متابعات لم يطلع عليها الحافظ ولهذا قد جزم به إلى ابن عباس رضي الله عنه، ولكن لا نثبت القصة كلها وأن الآية نزلت بسبب المقداد، وإنما قوينا القطعة التي أوردها البخاري، لأن البخاري أورد القطعة في مناسبة أخرى عقب حديث المقداد، وفيه أنه قال: يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتلنا فضرِبْ يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ بشجرة وقال: أسلمت لله أقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله...» الحديث برقم [٦٨٦٥]. والله أعلم.

ونستفيد من الآية والأحاديث أننا نحكم على الناس بما ظهر لنا منهم من العقائد والأعمال وأن لا يبقى الشخص يتشكك في الآخرين ويحاول أن يطبق ظنه السيئ على أشخاص ظاهرهم الصلاح والاستقامة فيحاول أن يطلع على زلة لأحدهم أو خطأ فعند ذلك لا تغفر زلة ذلك بل ينبغي أن نحسن الظن بالسني مادام كذلك وننصح له إذا رأيناه أخطأ وزل ومن كان هذا حاله فقد أتعب نفسه وطلب المحال، فقد قال النبي ﷺ: معاوية رضي الله عنه «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها. رواه أبو داود في الأدب باب النهي عن التجسس ج ١٣ ص ٢٣٢ عون المعبود وهو من حديث معاوية

قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ الآية ٩٥.

البخاري حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه يقول لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾ ج ٩ ص ٣٢٩ - أخرجه وقال الواحدي في أسباب النزول: رواه مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة. وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ٩١ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي ج ٦ ص ١٠ والإمام أحمد ج ٤ ص ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٩٠ و ٢٩٩ و ٣٠٠ والطيالسي ج ٢ ص ١٧، والدارمي ج ٢ ص ٢٠٩ وابن سعد ج ٤ ص ١٥٤^(١) وابن جرير ج ٥ ص ٢٢٨، والبيهقي ج ٩ ص ٢٣.

قال البخاري رضي الله عنه ج ٦ ص ٣٨٥: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري قال حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه - ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ - قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلاً أعمى فأنزل الله

(١) هو في السنن ج ٤ ص ٥٦.

تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي فنقلت علي حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عز وجل: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

الحديث أخرجه أيضًا البخاري ج ٩ ص ٣٢٨ والترمذي ج ٤ ص ٩٢ وصححه وأبو داود ج ٢ ص ٣١٩ والنسائي ج ٦ ص ٩ وأحمد ج ٥ ص ١٨٤ و١٩١ وابن الجارود ج ٤ ص ٣٤٤ والحاكم في المستدرک وصححه ج ٢ ص ٨٢ وابن سعد في الطبقات ج ٤ ص ١٥٥ من القسم الأول وابن جرير ج ٥ ص ٣٢٩ والبيهقي ج ٩ ص ٢٣ والطبراني في الكبير ج ٥ ص ١٤٤.

قال الإمام ابن حبان كما في الموارد ص ٤٢٩: أخبرنا أحمد بن علي المثنى^(٢) حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثني أبي عن خالي الفلتان بن عاصم قال: كنا عند النبي ﷺ فأنزل عليه وكان إذا أنزل عليه رام بصره وفرغ سمعه وقلبه مفتوحة عيناه لما يأتيه من الله فكنا نعرف ذلك فقال للكاتب: اكتب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: فقام الأعمى فقال: يا رسول الله ما ذنبنا؟ فأنزل الله عليه فقلنا للأعمى: إنه ينزل على النبي ﷺ فبقي قائمًا ويقول: أعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ قال: فقال النبي ﷺ للكاتب: اكتب: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ قلت: في الأصح أعوذ بغضب رسول الله ﷺ

ﷺ

(٢) في الأصل: ابن علي المثنى سقطت ابن بين المثنى وعلي، والصواب ما أثبتناه، وهو: الإمام أبو

هذا حديث حسن. والحديث أخرجه البزار كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٤٥ وعقبه بقوله حديث الفلتان يروى بإسناد أحسن من هذا. اهـ. وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة كما في المطالب العالية ج ٣ ص ١١٧ وأبو يعلى وقال الهيثمي ج ٥ ص ٢٨: رجاله ثقات. قال الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ٩١: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني نا الحجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عبد الكريم سمع مقسمًا مولى عبد الله بن الحارث يحدث عن ابن عباس أنه قال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ...﴾ وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴿فَهُؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا. درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر.

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس ومقسم يقال هو مولى عبد الله بن الحارث ويقال هو مولى ابن عباس وكنيته أبو القاسم. وأخرج الطبراني قال الهيثمي ج ٧ ص ٩: رجاله ثقات من حديث زيد بن أرقم نحوه.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الإمام البخاري: [٤٥٩٥] حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم ح و حدثني إسحاق أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني عبد الكريم أن مقسمًا مولى عبد الله بن الحارث أخبره أن ابن عباس

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر.

وفي هذه الآية فضيلة للمجاهدين في سبيل الله عموماً وإن كانت نزلت في بدر أو غيرها من الغزوات، وفي الآية رخصة في ترك الجهاد لأصحاب الأعذار مثل العمى والعرج والمرضى، ونحو ذلك فهؤلاء المعذورون وإن لم يغزوا وكانت نيتهم الغزو إنما حبسهم العذر فإن الله يأجرهم على نياتهم الصادقة. كما ثبت في صحيح مسلم: [١٩١١] عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض» وفي رواية: «إلا شركوكم في الأجر». ورواه البخاري في الجهاد: باب من حبسه العذر عن الغزو: عن أنس رضي الله عنه نحو حديث جابر. وفضائل المجاهدين كثيرة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض». رواه البخاري في الجهاد: [٢٧٩٠] وروى مسلم في الإمارة: [١٨٨٤] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله: ففعل ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال وما هي يا رسول الله: قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله».

والمجاهد يعطيه الله الدرجات العلى والزوجات الحسان ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ما لا يعطى غيره ممن لا يجاهد، والله يختص برحمته من يشاء، فهو يفضل على القاعد القادر بدرجات عظيمة. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآيتان ٩٧، ٩٨.

البخاري ج ٩ ص ٣٣١: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة وغيره قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتسبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال أخبرني ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية. رواه الليث عن أبي الأسود - إلا المستضعفين من الرجال والنساء ثم أعاده ج ١٦ ص ١٤٧.

الحديث أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٢ والطبراني ج ٥ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و الطحاوي كما في مشكل الآثار ج ٤ ص ٣٢٧ مختصراً كالبخاري، ومبسوطاً كالبزار وقال الهيثمي ج ٧ ص ١٠: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك^(١) وهو ثقة. كل هؤلاء رووه وفيه نزول آيتين مع هذه الآية وسيأتي إن شاء الله في سورة النحل.

(١) الحديث من طريق محمد بن شريك رواه الطحاوي في مشكل الآثار ج ٤ ص ٣٢٨.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا فِيْمَ كُنتُمْ ﴾ أي الملائكة تقول للذين توفاهم وهم ظالمي أنفسهم: ﴿ فيم كُنتُمْ ﴾ أي: لم تهاجروا؟ ما هو الذي منعكم من الهجرة؟ ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: لم نستطع إتباع الرسول منعنا الكفار من الخير والإيمان والهجرة لكثرتهم وكثرة عدتهم. ﴿ فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي: بسبب أنهم بقوا بين المشركين ولم يتابعوا رسول الله ﷺ، ولم يهاجروا ويتركوا بلادهم ويذهبون إلى أرض يعبدون الله فيها. وفي هذا وجوب الهجرة من الأرض التي لا يستطيع الإنسان أن يقيم فيها دينه وتوحيد الله فيها وليس له عذر إلا أن يكون من الصنف الذي سمي الله: ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ... ﴾ فهؤلاء عذرهم الله وقبل عذرهم لأنهم لا يستطيعون الهجرة وترك البلد، فأسلموا وأخفوا إسلامهم أو عبدوا الله بقدر استطاعتهم، واليوم كثير من الناس يعيش وسط المشركين ويضيع دينه من أجل الدنيا، وربما يتعذر بأعذار واهية لا تقبل منه والله المستعان، بل بعض المسلمين يذهب إلى بلاد الكفر مع أهله من أجل التكسب بدون ضرورة فإذا حصل حرب بين المسلمين والمشركين في تلك البلد يتضرر، وربما أخذوا أهله وسجنوه وعبثوا بأهله، وهذا حرام لأنه يعرض نفسه وأهله للفتن.

وقوله: ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إلا المستضعفين﴾ كانت أمي ممن عذر الله. رواه البخاري في تفسير سورة النساء. وقوله: ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ قال البخاري رضي الله عنه في تفسيره [٤٥٩٨]: ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال: «سمع الله لمن حمده» ثم قال قبل أن يسجد: «اللهم نجِّ عياش بن أبي ربيعة، اللهم نجِّ سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم

نج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف». ونصيحتي لمن ابتلى في بلاد الإسلام أن يصبر عليها وإن تعب ولا يخرج إلى بلاد الشرك والكفر فإن الخطر الذي يتوقع عليه هناك أشد وأعظم من الخطر الذي يعانیه في بلاد المسلمين وخاصة إذا كان معه أولاده فيفتنون بذلك المجتمع الجاهلي في أخلاقهم ومعاملاتهم ودينهم والنساء والصبيان ضعفاء بل قد افتتن أناس خرجوا من بلاد الإسلام وهم على خير فأنحرفوا عن دينهم وصاروا دعاة ضلالة بعد أن كانوا دعاة إلى الإسلام. نسأل الله السلامة، ولا ينبغي لمسلم أن يخرج من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر إلا عند الضرورة القصوى الذي لا يجد عنها مهرباً.

قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الآية ١٠٠.

ابن جرير ج ٥ ص ٢٣٠: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ وكان بمكة رجل يقال له ضمرة من بني بكر وكان مريضًا فقال لأهله: أخرجوني من مكة فأنى أجد الحر، فقالوا: أين نخرجك؟ فأشار بيده نحو المدينة فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إلى آخر الآية.

الحديث رجاله ثقات، وشريك هو ابن عبد الله القاضي النخعي وفي حفظه ضعف لكن الحديث له طرق أخرى تنتهي إلى عكرمة عن ابن عباس في المطالب العالية ص ٤٣٣ رواه أبو يعلى قال الهيثمي ج ٧ ص ١٠ من الجمع ورجاله ثقات، وفيها فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٣. وذكر الحافظ في الإصابة له طرقًا أخر فلترجع هناك ج ١ ص ٢٥١ ترجمة جندع بن ضمرة.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ الآية. قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره في قوله: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ

عَلَى اللَّهِ ﷻ أَي: ومن خرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له من الله ثواب مهاجر كما ثبت في الصحيحين، وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه». وهذا عام في الهجرة وفي كل الأعمال.

ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أكمل بذلك العابد المائة ثم سأل عالماً هل له من توبة فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه فلما ارتحل من بلده مهاجراً إلى البلد الآخر أدركه الموت في أثناء الطريق فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقال هؤلاء: إنه جاء تائباً وقال هؤلاء: إنه لم يصل بعد، فأمروا أن يقيسوا بين الأرضين فإلى أيتهما كان أقرب كان منها فأمر الله هذه أن تقرب وهذه أن تبعد فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية: أنه لما جاءه الموت نأى بصدوره إلى الأرض التي هاجر إليها. اهـ. المراد (١).

قلت: وكذا من خرج إلى الحج ومات في الطريق، وأيضاً من خرج إلى طلب العلم أو الجهاد ومات قبل أن يتحقق له المراد فنرجو أن يأجره الله على صدق نيته. والله أعلم.

(١) قلت: والحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو عند البخاري في آخر كتاب الأنبياء باب ٥٤

[٣٤٧٠] وعند مسلم في التوبة: [٢٧٦٦].

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية ١٠٢.

الإمام أحمد ج ٤ ص ٥٩: حدثنا عبد الرزاق ثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقني قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات: بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح، قال: فصففنا خلفه صفين قال ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعاً - الحديث.

الحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف ج ٢ ص ٥٠٥ والطيالسي ج ١ ص ١٥٠ والحاكم في المستدرک ج ١ ص ٣٣٧ وقال: صحيح على شرطها وأقره الذهبي وأخرجه أبو داود ج ١ ص ٤٧٧ قال صاحب عون المعبود: ورواه البيهقي في المعرفة بلفظ حدثنا أبو عياش وفي هذا تصريح بسامع مجاهد من أبي عياش وأخرجه النسائي ج ٣ ص ١٤٥ والدرقطني ج ٢ ص ٥٩ وقال: صحيح وابن جرير ج ٥ ص ٢٤٦ وص ٢٥٧. وأخرجه ابن جرير ج ٥ ص ٢٥٦ والحاكم ج ٣ ص ٣ وقال: صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي عن ابن عباس مثله.

التعليق:

قلت: في هذه الآية دلالة على أهمية صلاة الجماعة إذ لم يرخص لهم في تركها حتى في حالة المقاتلة،

ولا تترك صلاة الجماعة إلا في حالة الضرورة عند المسافة والاشتباك للقتال أو عند الضرورة، ونأسف على أهل زماننا فكثير منهم يتركون صلاة الجماعة بدون عذر شرعي وهم في حالة الأمان وفي أتم الصحة، والله المستعان.

وفي الحديث ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حبهم لصلاتهم واهتمامهم بها ولذلك أعزهم الله وجعلهم سادة وقادة فالصلاة سبب في النصر والخير، ولصلاة الخوف كفيات كثيرة يرجع إلى مظانها من كتب السنة، وكتب الفقه.

وفي الآية أخذ الحذر من العدو ولا ينبغي التفريط في ذلك فيحمل المجاهد سلاحه في حالة الصلاة وغيرها إذا احتاج إليه عند الخوف ولا يتركه إلا لعذر مرض أو مطر ونحوه وهذا لسباحة شريعتنا. ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.

قوله تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّنَ مَّطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾

الآية ١٠٢.

البخاري ج ٩ ص ٣٣٣: حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّنَ مَّطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَّرْضَىٰ﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف وكان جريحًا. قال الحافظ: أي فنزلت الآية قلت: والتصريح بلفظ النزول أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي ج ٢ ص ٣٠٨ وأخرجه ابن جرير ج ٥ ص ٢٥٩ ولفظه كالبخاري.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا حرج عليكم ولا إثم في ترك حمل السلاح عند وجود الأذى من المطر أو المرض فإنه يثقلهم ولكن لا يغفلون عن عدوهم حتى لا يهجم عليهم غرة وهذا من لطف الله بالمؤمنين وهو لم يكلفهم ما لا يطيقون أو يشق عليهم مشقة كبيرة. وقوله: قال: عبد الرحمن وكان جريحًا. أي: عبد الرحمن بن عوف، أصابته جراح فكان سببًا في نزول الآية لأن الجراح من المرض فيثقل عليه حمل السلاح وقد أخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري عن حجاج بن محمد قال: (كان عبد الرحمن جريحًا) كما في الفتح لابن حجر في التفسير ج ٨ ص ٢٦٤ وهذا يدل على أن فاعل قال: هو ابن عباس رضي الله عنه، والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ الآية ١١٩.

قال الإمام الطبري رحمته الله ج ٩ ص ٢١٥ بتحقيق أحمد شاكر: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أنه كره الإخصاء وقال فيه نزلت: ﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾. هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

التعليق:

وقوله جل وعلا: ﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ﴾ هذا إخبار من الله عن الشيطان أنه أقسم ليأمرن أتباعه وأولياءه أن يغيروا خلق الله، منها: الإخصاء، وهو: إذهاب الشهوة برّض خصية الفحل ونحوه، و الإخصاء إذا كان للإنسان فهذا محرم قطعاً، لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا. رواه البخاري في النكاح [٥٠٧٣] ومسلم في النكاح ج ٩ [١٧٦]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك. رواه الإمام البخاري في النكاح ٦ باب تزويج المعسر [٥٠٧١] وأخرجه في مواضع أخرى وقال الإمام النووي رحمته الله في شرح مسلم ج ٩ ص [١٧٧] وأما قوله لو أذن لنا لاختصينا، فمعناه: لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء ليمكثنا التبتل وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الإخصاء باجتهدهم ولم يكن ظنهم هذا موافقاً، فإن الإخصاء في الأدمي حرام، صغيراً كان أو كبيراً. وقال البغوي: وكذا يحرم خصاء كل حيوان لا يؤكل وأما المأكول فيجوز خصاؤه في صغره ويحرم في كبره.

والله أعلم. اهـ.

وقال الحافظ في الفتح^(١) والحكمة في منعهم من الإختصاء إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع عليه النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية.

وقال الحافظ أيضًا: وقوله: (ألا نستخصي) أي: ألا نستدعي من يفعل بنا الخصاء أو نعالج ذلك بأنفسنا.

وقوله: (فنهانا عن ذلك) هو نهى تحريم بلا خلاف في بني آدم لما تقدم. وفيه من المفاصد: تعذيب النفس، والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه: إبطال معنى الرجولة وتغيير خلق الله وكفر النعمة، لأن خلق الشخص رجلاً من النعم العظيمة، فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال. قال القرطبي: الخصاء في غير بني آدم ممنوع في الحيوان إلا لمنفعة حاصلة في ذلك كتطيب اللحم أو قطع ضرر عنه. وذكر كلام النووي.

وقال: وما أضنه يدفع ما ذكره القرطبي من إباحة ذلك في الحيوان الكبير عند إزالة الضرر. اهـ.

قلت: وأما في هذا الزمان فقد حصل العجب العجيب من تغيير خلق الله ويدخل ضمن تغيير خلق الله مما هو حاصل كثير مما يسمى بجراحات التجميل فبعضهم يذهب إلى الطبيب فيصلح عملية لشفتيه لتكبيرهما أو تصغيرهما وتذهب المرأة فتصلح ليديها أظفارًا للتجميل في زعمها ولوجهها وأخرى للعينين وغير ذلك من أعضاء الجسد لغير حاجة ماسة وفي هذا تبذير بالمال أيضًا

وكشف للعورات، وبعضهم يتجمل بحلق لحيته في زعمه. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وأمر بتوفير اللحية. وكذلك لا يحل للمرأة أن تفلج أسنانها ولا أن تنمص، فهذا من تغيير خلق الله ولعن النبي ﷺ: النامصة والتمنصة والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله تعالى. والحديث في الصحيح عن ابن مسعود. وكذلك الذي يقطع آذان الأنعام من أجل المرضى ويشممهم الدم أو غير ذلك فهذا محرم لقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿وَلَا مَرْنِمَ فَلْيَبْتَئِنَ آذَانَ الْإِنْعَامِ وَلَا مَرْنِمَ فَلْيُغْرِنَ خَلْقَ اللَّهِ﴾.

وقال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء». متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. وكذلك من تغيير الخلق ما يسمى بالوشم سواء من الرجال أو النساء، وقد لعن النبي ﷺ: الواشمة والمستوشمة.

قوله تعالى:

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ الآية ١٢٧.

البخاري ج ٦ ص ٥٨: حدثنا الأوسي حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة أنه سأل عائشة رضي الله عنها. وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْبِتَامَى ﴾ فذكرت نحو ما تقدم في أول السورة قال: قالت: ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾.

الحديث أعاده أيضًا ص ٣٢٠ وج ٩ ص ٣٠٨ وج ١١ ص ٣٩ وص ١٠٣. وأخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٥٤ و ١٥٥ وأبو داود ج ٢ ص ١٨٤ والنسائي ج ٦ ص ٩٥ والدارقطني ج ٣ ص ٢٦٥ وابن جرير ج ٥ ص ٣٠١.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ يعني: وترغبون عن أن تنكحوهن أو في أن تنكحوهن، قال الحافظ القرطبي: وحديث عائشة يقوي حذف عن فإن في حديثها وترغبون أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن بيتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال. اهـ. من تفسيره ج ٥ ص ٢٥٨. وقد تقدم في أول السورة شيء من الكلام على البيتيمه.

قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية ١٢٨.

البخاري ج ٩ ص ٣٣٤: حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل فتزلت هذه الآية في ذلك.

الحديث أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٥٧.

وقد أخرج أبو داود ج ٢ ص ٢٠٨ والترمذي ج ٤ ص ٩٥ والطيالسي ج ٢ ص ١٧ والحاكم ج ٢ ص ١٨٦ وصححه وأقره الذهبي وابن جرير ص ٣٠٧ أنها نزلت في شأن سودة أخرج الترمذي والطيالسي وابن جرير من حديث ابن عباس^(١)، وأخرجه أبو داود والحاكم وابن جرير أيضًا من حديث عائشة ولفظ أبي داود قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنَّت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله يومي لعائشة فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منها قالت: تقول في ذلك أنزل الله عز وجل وفي أشباهها أراه قال: ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾.

(١) وهو ضعيف لأنه من رواية سهاك عن عكرمة وفي رواية سهاك عن عكرمة اضطراب.

وأخرج الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي ج ٢ ص ٣٠٨ عن رافع بن خديج أنه كانت تحته امرأة قد خلا من سنها فتزوج عليها شابة فأثر البكر عليها فأبت امرأته الأولى أن تقر على ذلك فطلقها تطليقة حتى إذ بقي من أجلها يسير قال: إن شئت راجعتك وصبرت على الأمر وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك قالت: بل راجعني أصبر على الأثرة ثم أثر عليها فلم تصبر على الأثرة فطلقها الأخرى وأثر عليها الشابة قال: فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله قد أنزل فيه: ﴿ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾^(١).

ولا تنافي بين هذه الأقوال فإن حديث عائشة الأول مبهم وحديثها الثاني مفسر للإبهام، وأما حديث رافع فإنها شاملة لما فعل والآية تشمل الجميع والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا ﴾ ومعنى: ﴿ خافت ﴾ أي: توقعت وظنت أنه ينفر عنها أو يُضِرُّ بها ﴿ أو إعراضاً ﴾ أي: ألا يكلمها ولا يعاشرها عشرة حسنة ولا يأنس بها. قال القرطبي رحمته الله: قال الزجاج: المعنى: وإن امرأة خافت من بعلها دوام النشوز، قال النحاس: الفرق بين النشوز والإعراض النشوز: التباعد، والإعراض: ألا يكلمها ولا يأنس بها. وقوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ ﴿ فلا جناح ﴾ أي: لا إثم ولا حرج، أي:

(١) الراجح إرساله فقد أرسله سفيان بن عيينة وشعيب بن أبي حمزة ووصله معمر كما في تفسير ابن كثير

فالراجح الإرسال لا سيما وراوي الوصل الحاكم وهو كثير الأوهام.

فللمرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها وتبقى في عصمته كما فعلت سودة زوج النبي ﷺ حين خافت أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا أهب يومي لعائشة وأبقى في عصمتك، فرضي ﷺ فكان يفرض لعائشة يومين، وللأخريات يومًا يومًا. وبقاء المرأة في عصمة زوجها خير لها من الفراق، لأنه قال: ﴿والصلح خير﴾ أي: من الفراق والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبرًا ومشرعًا عن حال الزوجين: تارة في حال نفور الرجل عن المرأة، وتارة في حال اتفائه معها، وتارة في حال فراقه لها.

فالحالة الأولى: ما إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تسقط حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من الحقوق عليه، وله أن يتقبل ذلك منها فلا جناح عليها في بذلها ذلك له ولا عليه في قبوله منها. اهـ.

قوله تعالى:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية ١٧٦.

مسلم ج ١١ ص ٥٥: حدثنا عمرو بن محمد بن بكير الناقد حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمي عليّ، فتوضأ ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الحديث أخرجه الترمذي ج ٣ ص ١٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود ج ٣ ص ٧٩، وابن ماجه رقم ٢٧٢٨، والإمام أحمد ج ٣ ص ٣٠٧ و٣٧٢، والطيالسي ج ٢ ص ١٧، وابن الجارود ص ٣٢٠، وأبو نعيم ج ٧ ص ١٥٧.

❁ تنبيه:

قد تقدم أنها نزلت في جابر: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وهنا يقول إنها نزلت فيه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وقد رجح الحافظ ابن كثير رحمته الله أن آية: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت في بنات سعد بن الربيع وأن آية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ نزلت في جابر فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ولم يكن له بنات. اهـ. وقال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٣٧: وهذه قصة أخرى غير التي تقدمت فيما يظهر لي، وقد قدمت المستند واضحاً في أوائل هذه السورة والله أعلم.

وأقول: لا مانع أن تكون الآيتان نزلتا معاً في قصة جابر في آن واحد إذ الحديث حديث واحد يدور على محمد بن المنكدر، فبعضهم يرويه عنه ويقول: آية الميراث وبعضهم يرويه عنه ويقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ وبعضهم يرويه عنه ويقول: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ فإن

قيل يشكل عليك أن آية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت في شأن جابر وبنات سعد بن الربيع وقد استشهد بأحد وآية ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ من آخر القرآن نزولاً أقول: لا إشكال فعلي فرض صحة حديث جابر في بنات سعد بن الربيع لا يلزم أنها قسمت تركته بعد موته. على أنه لا ينبغي أن تعارض الأحاديث الصحيحة بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل فهو سيء الحفظ كما هو معروف من ترجمته.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يسألونك عن ميراث الكلاله، والكلالة: قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في أول سورة النساء: آية ١٢ الكلاله: مشتقة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلاله فقال: أقول فيها برأبي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه. الكلاله من لا ولد له ولا والد، فلما ولي عمر بن الخطاب قال: إني لأستحيي أن أخالف أبا بكر فيما رآه^(١). رواه ابن جرير وغيره. اهـ كلامه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الكلاله: من لا ولد له ولا والد. رواه ابن جرير رحمته الله بسند صحيح وله أسانيد أخرى تصلح في المتابعات.

وقال ابن عباس أيضاً: كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب فسمعتة يقول: القول ما قلت وما

(١) رواه ابن جرير بأسانيد عن الشعبي صحيحة ولكن الشعبي لم يلق أبا بكر ولم يسمع من عمر رضي الله عنهما فهو

منقطع، ولكن جاء عن بعض الصحابة كما في تفسير ابن جرير أول سورة النساء آية ١٢.

قلت^(١) وما قلت، قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد. رواه ابن أبي حاتم وسنده صحيح كما في تفسير ابن كثير.

وقد جاء هذا التفسير عن جمع آخر من العلماء. وهناك أقوال آخر لكن هذا هو الراجح والله أعلم. واختار هذا ابن جرير رحمته الله. وقال ابن كثير أيضًا: وهكذا قال علي بن أبي طالب وابن مسعود وصح عن غير وجه عن عبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن البصري وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل الكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، وورد فيه حديث قال أبو حسين بن اللباب: وقد روى عن ابن عباس ما يخالف ذلك وهو أنه من لا ولد له، والصحيح عنه الأول ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد. اهـ.

(١) كذا في ابن كثير، والصواب: قلت... كما عند الحاكم والبيهقي، فعندهما أن عمر قال: القول ما قلت وما قلت... فيكون عند ابن كثير خطأ وقد رجح ذلك شيخنا مقبل رحمته الله في تعليقه على ابن كثير.

سورة المائدة

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية ٦ .

البخاري ج ١ ص ٤٤٨: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسد وأقام الناس معه وليسوا على ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته.

الحديث أخرجه البخاري في مواضع منها ج ٩ ص ٣٢١: وفيه هلكت قلادة لأساء فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالاً، الحديث وفيه نزلت آية التيمم وص ٣٤١ وص ٣٤٢: وفيه تعيين الآية النازلة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ الآية . وج ١١ ص ١٣٥: وفيه أنها استعارت من أساء قلادة فظهر بحمد الله ما تقدم من قولها هلكت قلادة لأساء، وهذا من فوائد جمع طرق الحديث وج ١٥ ص ١٨٩

وأخرجه مسلم ج٤ ص ٥٨ و ٥٩ وأبو داود ج١ ص ١٤٥ والنسائي ج١ ص ١٣٣،
 وابن ماجه رقم ٥٦٥، وأحمد ج٦ ص ٥٧ وص ١٧٩ والإمام مالك في الموطأ ج١
 ص ٧٥، وعبد الرزاق في المصنف ج١ ص ٢٢٨ وابن جرير ج٥ ص ١٠٦ وص ١٠٨
 وفيه التصريح بالآية ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ والحاكم من
 حديث ابن عباس وصححه وأقره الذهبي بنحو حديث عائشة ج٤ ص ٩.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا قمتم وأنتم محدثون فالواجب عليكم الوضوء.
 هذا هو القول الراجح، أما إذا كان الإنسان متوضئاً فلا يجب عليه الوضوء ولكن الوضوء
 مستحب في حقه وليس بواجب، فالنبي ﷺ يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد
 فقال عمر رضي الله عنه: لم فعلت هذا يا رسول الله؟ قال فعلته عمداً يا عمر، والحديث في الصحيح
 وهذه الآية هي الأصل في أركان الوضوء وما يجب غسله أو مسحه وبينت السنة عدد الغسلات
 الواجبة والمستحبة فالواجب غسلة واحدة لكل من الوجه واليدين والرجلين والثلاث مستحبة
 وهو الأفضل ومسح الرأس واحدة لجميع الرأس لحديث عبدالله بن زيد ذكر وضوء النبي ﷺ
 وفيه: فمسح رأسه مرة واحدة بدأ بمقدم رأسه فذهب بيديه إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ
 منه. والحديث في الصحيحين، وهذه الآية أيضاً دليل على مشروعية التيمم عند عدم الماء أو وجود
 مرض يمنع استعمال الماء حضراً أو سفراً، وهذا من تيسير الله على الناس ورفع الحرج عنهم.
 وكيفية التيمم هو: أن يضرب الإنسان بيديه الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه وقد قال بجواز التيمم
 عند عدم الماء جماهير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف والخلف.

وفي الحديث أن من عجز عن الماء والتيمم يصلي على حالته تلك ولا إعادة عليه، كالمسجون والمريض ونحوهما. وقد بوب عليه البخاري في كتاب التيمم [باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً] ثم ذكر حديث عائشة وفيه: فأدرکتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله آية التيمم.

مسألة: وليس في الآية دليل على المنع من المسح على الخفين والجورين فإن الآية توجب غسل الرجلين إذا لم يكن عليهم خف ولا جوارب وأما إذا كان الإنسان لا بساً للخف أو الجوارب، فالسنة تدل على جواز المسح على الخفين لأن النبي ﷺ هو الشارح للقرآن والموضح لعمومه وخصوصه فما علينا إلا أن نستسلم للسنة والحق. فروى مسلم في الطهارة [٢٧٢] من طريق الأعمش عن إبراهيم عن همام قال: بال جرير، ثم توضأ، ومسح على خفيه فقيل: تفعل هذا؟ فقال: نعم، رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه. قال الأعمش: قال إبراهيم: كان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة. اهـ.

قلت: يعني فآية الغسل لم تنسخ المسح بل المسح مشروع على كل حال، ولا تعارض بين آية غسل القدمين والمسح عليهما مع وجود الخفين وهذه رخصة والحمد لله. وأحاديث المسح متواترة عند علماء الحديث، فيرجع إلى موضعها من أراد التوسع وقد أدخل علماء السنة هذه المسألة في كتب العقائد ليردوا كلام المعتزلة ومن جرى مجراهم من أهل البدع المانعين من المسح على الخفين والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية ٣٣.

أبو داود ج ٤ ص ٢٢٨: حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أنا ح ونا عمرو بن عثمان حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى يعني ابن أبي كثير عن أبي قلابة عن أنس بن مالك بهذا الحديث - يعني حديث العرينين - قال: فيه فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم قافلة فأتي بهم فأنزل الله في ذلك: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ الآية.

الحديث رجاله رجال الصحيح وأصله في صحيح البخاري من حديث قتادة بلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم. وحديث أبي قلابة أخرجه النسائي ج ٧ ص ٩٢ وابن جرير ج ٦ ص ٢٠٨ وفيه تصريح الوليد بن مسلم بالتحديث. وهذا الحديث مروى عن جماعة من الصحابة كما في تفسير ابن كثير رحمته الله.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وما يتعلق بهذه الآية الكريمة: حديث أنس رضي الله عنه وقد بوب عليه الإمام البخاري في كتاب الحدود فقال رحمته الله: باب المحاربين من أهل الكفر والردة، وذكر الآية.

قال: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير قال حدثني أبو قلابة الجرمي عن أنس رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا، فاجتروا المدينة، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا

رعاتها واستاقوا الإبل فبعث في آثارهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا. وأخرجه [٦٨٠٤] من طريق أخرى عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه فذكره. وفيه: ثم ألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون فما سقوا حتى ماتوا. قال أبو قلابة: سرقوا وقتلوا وحاربوا الله ورسوله. وأخرجه الإمام مسلم رحمته الله في القسامة ج ٣/٢٩٦. عن أبي قلابة وغيره عن أنس رضي الله عنه بنحوه. وفي رواية لمسلم وكانوا ثمانية نفر من عكل. وفي رواية له وعنده شباب من الأنصار قريب من عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتفي أثرهم. اهـ.

قلت: القائم، هو الذي يتبع الآثار فيميزها. وفي رواية لمسلم، إنما سمل أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاء. ومعنى: أنه سمل أعينهم فقأها أو أذهب ما فيها. وفي رواية للبخاري ومسلم: (سمر) أي: كحلها بمسامير حجارة، وقيل: السمل بمعنى: السمر.

وقول شيخنا رحمته الله وأصل الحديث في صحيح البخاري من حديث قتادة بلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم.

قلت: أخرجه البخاري في المغازي ٢٦ باب قصة عكل وعرينة ج ٧ [٤١٩٢]. وأخرجه الطبري في تفسيره.

وقال الحافظ بن كثير رحمته الله في تفسيره: المحاربة هي: المصادة والمخالفة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر حتى قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب: إن قرض^(١) الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض، وقد

(١) في نسخة: (إن قبض).

قال تعالى: ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾.
اهـ. المراد.

قلت: والآية عامة في جميع من حارب الله ورسوله وسعى بالفساد في الأرض فإنه يستحق الجزاء المتوعد في الآية، سواء كان المفسد مشركًا أو مرتدًا أو مسلمًا باغيًا وترجع العقوبة إلى الحاكم فيجتهد فما كان فيه المصلحة للدين والدنيا وما يكون فيه زجرًا للمفسدين في الأرض فلينفذه فيهم، فإن رأى القتل قتل وإن رأى القطع قطع أو الصلب أو النفي ونحو ذلك. والله أعلم.
مسألة: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

ثم احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء في ذهابهم إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وفي السبلان على السواء لقوله: ﴿ويسعون في الأرض فسادًا﴾ وهذا مذهب مالك والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل حتى قال مالك: في الذي يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيتًا فيقتله ويأخذ ما معه: إن هذا محاربة ودمه إلى السلطان لا إلى ولي المقتول ولا اعتبار بعفوه عنه في إسقاط القتل. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تكون المحاربة إلا في الطرقات فأما في الأمصار فلا لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث، بخلاف الطريق لبعده ممن يغيبه ويعينه. اهـ.

قلت: وقول الجمهور هو الصواب، لعموم الآية ﴿ويسعون في الأرض فسادًا﴾ ولما يترتب عليه على المحاربة من الأضرار والفتن وانتهاك الأعراض، ولو أن حكام المسلمين أخذوا بهذه الآية والحديث وأقاموا حد الله في المحاربين لساد الأمن وقل الشر واختفت الجريمة وقد رأينا بعض حكام المسلمين يفعلون ذلك فساد الأمن عندهم وقل الشر فجزاهم الله خيرا، ونسأله أن يوفق جميع المسلمين لتطبيق شرعه.

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الآيات ٤١ إلى ٤٥.

مسلم ج ١١ ص ٢٠٩: حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة كلاهما عن أبي معاوية قال يحيى: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال: مرَّ على النبي ﷺ بيهوديٍّ محمماً مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم» قالوا: نعم فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم» قال: لا ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه». فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أوتيتم هذا فخذوه﴾ يقول: اتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٤ ص ٢٦٣: وفيه بيهودي محم مجلود على الوصيفة والإمام أحمد ج ٤ ص ٢٨٦، والبيهقي ج ٨ ص ٢٤٦، وابن جرير ج ٦ ص ٢٣٣ و ٢٥٤ وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٣.

سبب آخر في نزول الآيات:

أخرج أبو داود بسند رجاله رجال الصحيح ج ٤ ص ٢٨٦ عن ابن عباس قال: كانت قريظة والنضير: وكان النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة نودي بمائة وسق من تمر فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي ﷺ فأتوه فنزلت: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ والقسط النفس بالنفس ثم نزلت: ﴿أفحكم الجاهلية يبيغون﴾.

الحديث أخرجه أيضاً أبو داود ج ٣ ص ٣٣٠ والنسائي ج ٨ ص ١٧ وابن حبان كما في موارد الظمان ص ٤٣٠ وابن الجارود ص ٢٦١ والدارقطني ج ٣ ص ١٩٨ وابن جرير ج ٦ ص ٢٤٣ وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٤ وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٦٦ وفيها تصريح ابن إسحاق بالتحديث والحاكم ج ٤ ص ٣٦٧ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله ج ٢ ص ٦١: وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم. اهـ. وأقول ثم ظهر أن حديث ابن عباس ضعيف لأنه من رواية سماك عن عكرمة وهي مضطربة ومن رواية داود بن الحصين عن عكرمة وهي منكورة كما في الميزان عن ابن المديني وأبي داود.

التعليق:

وقوله جل وعلى: ﴿لَا يَجْزُئُكَ﴾ أي: لا يغمك ويؤسفك، والحزن: ضد السرور والحزن: الهم والغم، ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ وهم: المنافقون.

﴿الذين يقولون آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ أي: وقلوبهم تجحد نبوتك وتكذب بأني أرسلتك فلا يضرك هذا ولا تكثر له، وكذا اليهود إن تسرعوا في تكذيبك وجحدوا نبوتك فلا تحزن عليهم ولا منهم وهم المعنيون بقوله: ﴿ومن الذين هادوا..﴾ وقولهم: فإن أمركم بالتحميم والجلد، التحميم هو: تسويد وجه الزاني والزانية بالحمة، وهي: الفحمة، وما يتعلق بالآية حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنى منكم؟» قالوا: نحممها ونضربها، فقال: «لا تجدون في التوراة الرجم» فقالوا: لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فأمر بها فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقبها الحجارة.

رواه البخاري في التفسير ج ٨ ص ٢٢٤ [٤٥٥٦] وأخرجه في مواضع أخرى. ومسلم في الحدود

ج ٣/١٣٢٦.

مسألة:

والحكم بغير ما أنزل الله يختلف باختلاف القاضي والحاكم فتارة يكون كفرا وتارة يكون معصية كبيرة. فالحاكم إذا كان عنده علم بحكم الله وعدل عنه من أجل الدنيا ومجارة المجتمع فهو أثم

مرتكب لكبيرة من الكبائر وإن كان عنده علم بحكم الله ورغب عنه وقال حكم القوانين أو الأعراف أفضل من حكم الله أو مساويًا فهو كافر خارج من الملة وأما إن حكم بغير حكم الله جاهلاً فهو مرتكب لكبيرة أو أكره وبلغ به الأمر إلى حد الإكراه المعتبر وحكم بغير حكم الله فهذا لا يكفر ونرجو له المعذرة من الله والعفو عنه.

وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففرض به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار». رواه أبو داود في القضاء وغيره، وهو صحيح وقال أبو داود: وهذا أصح شيء فيه.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: وقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ و﴿الظالمون﴾ و﴿الفاسقون﴾ نزلت كلها في الكفار ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء وقد تقدم، وعلى هذا المعظم فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة وقيل فيه إضمار أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله، ردًا للقرآن وجملاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر، قاله: ابن عباس ومجاهد.

فالآية عامة على هذا قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له، فأما من فعل ذلك معتقداً أنه ركب محرم فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وقال ابن عباس في رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار وقيل: أي: ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع فلا

يدخل في هذه الآية والصحيح الأول. اهـ المراد.

قلت: وهذا تفصيل حسن ورد على جماعة التكفير والخوارج وبعض الشباب المتحمسين للدين بجهل فيكفرون كل من حكم في قضية بغير حكم الله.

وقال الإمام الشنقيطي في إضواء البيان ٩٢/٢.

والظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية، ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ نازلة في المسلمين؛ لأنه تعالى قال قبلها مخاطبًا لمسلمي هذه الأمة ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا﴾ ثم قال: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية وعليه فالكفر إما كفر دون كفر وإما أن يكون فعل ذلك مستحلاً له أو قاصداً به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها.

أما من حكم بغير حكم الله وهو عالم أنه مرتكب ذنباً فاعل قبيحاً وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من عصاة المسلمين، وسياق القرآن ظاهر أيضاً في أن آية ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ في اليهود؛ لأنه قال قبلها: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...﴾ إلخ. فالخطاب لهم لوضوح دلالة السياق

عليه كما أنه ظاهر، وأيضاً في أن آية ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ في النصارى لأنه قال قبلها: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

وأعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة والكفر المخرج من الملة أخرى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ معارضة للرسول، وإبطالاً لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بما أنزل الله معتقداً أنه

مرتكب حراماً فاعل قبيحاً فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة وقد عرفت أن ظاهر القرآن

.....

يدل على أن الأولى في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب وتحقيق أحكام الكل هو ما رأيت والعلم عند الله تعالى. اهـ. المراد. وهذا كلام متين مفيد في غاية الجودة. ونسأل الله التوفيق.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية ٦٧.

ابن حبان - الموارد ص ٤٣٠ :- أخبرنا عبدالله بن محمد الأزدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنبأنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة فيبينها هو نازل تحت شجرة وقد علق السيف عليها إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دنا من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه فقال: يا محمد من يمنعك مني فقال النبي ﷺ: «الله» فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ الآية. هذا حديث حسن فإن محمد بن عمرو قال فيه الحافظ الذهبي في الميزان: إنه حسن الحديث ومؤمل بن إسماعيل تكلموا في حفظه ولكن قد توبع كما في تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٩ فقد تابعه آدم وهو ابن أبي إياس ذكره ابن كثير بسند ابن مردويه.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هذا أمر من الله لرسوله ﷺ أن يبلغ جميع ما أرسله الله به، ويظهره للناس ولا يخاف من المشركين فالله سيعصمه من القتل وقد قام النبي ﷺ وبلغ ما أمر به وحفظه الله ونصره.

ومما يتعلق بالآية الكريمة من حفظ الله تعالى له من مكر الأعداء وإرادة قتله وغيره ما ثبت عن

.....

جابر رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتخافني؟ قال: «لا» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال: فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف وعلقه قال: فنودي بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال: فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان. رواه البخاري في المغازي [٤١٣٦] ومسلم في الصلاة [٨٤٣] واللفظ له، وهذا الحديث شاهد لحديث الباب غير السبب.

وعن مسروق قال: قلت: لعائشة رضي الله عنها يا أمته هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً﴾، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية، ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين. رواه البخاري في تفسيره [٤٨٥٥] ومسلم في الإيمان [١٧٧] واللفظ للبخاري.

وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ جميع الشريعة وكل ما أوحى إليه فلا نحتاج إلى قوانين وضعية تخالف الشرع ولا بدع كما يقال تكمل الدين فديننا كامل بحمد الله، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾.

وعن وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي

.....

ما ليس في القرآن فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر. رواه البخاري في كتاب الجهاد [٣٠٤٧] وأخرجه في مواضع أخرى، وأخرجه مسلم رحمته الله في فضائل المدينة [١٣٧٠] من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه قال خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة... إلخ. وأخرجه البخاري أيضاً [١٨٧٠] وهذا من علي رضي الله عنه إبطال لما تدعيه الشيعة والرافضة ومن وافقهم أن عند آل البيت علم لم يعلمه النبي صلى الله عليه وآله أحداً من الأمة إلا أهله وأوصى إلى علي يعلم وأمر كثيرة وأسرار وكنوز من العلم اختصه بها دون بقية أصحابه.

وهذا من الرافضة كذب علي رضي الله عنه ويزعمون أنه الوصي وهو أولى بالخلافة من أبي بكر وغيره وهذه دعوى منهم لا برهان لهم بها فهي معلومة البطلان. والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ الآية ٨٣.
 ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٢٣: حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا عمر بن علي المقدمي
 قال: سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه
 الآية في النجاشي وأصحابه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ﴾ الآية. الحديث رجاله رجال الصحيح إلا محمد بن إدريس والدة ابن أبي حاتم
 وهو حافظ كبير وقد ساقه الحافظ ابن كثير بهذا السند عازياً له للنسائي^(١) وقال
 الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤١٩ رواه البزار ورجال الصحيح غير محمد
 بن عثمان بن بحر وهو ثقة.
 وأخرجه ابن جرير ج ٧ ص ٥ بهذا السند عن شيخه عمرو بن علي وهو الفلاس.

التعليق:

وقوله جل جلاله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ بما عَرَفُوا مِنْ
 الْحَقِّ قال القرطبي: هذه أحوال العلماء يبكون ولا يصعقون، ويسألون ولا يصيحون،
 ويتحازنون ولا يتموتون كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾. اهـ. المراد. من تفسيره ج ٦
 ص ١٦٧.

(١) أخرجه النسائي في التفسير ج ١ ص ٦١ من حديث عمرو بن علي به.

قلت: ومن هؤلاء السامعين للقرآن والمتأثرين به النجاشي وأصحابه، فالنجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أول سورة مريم بكى كما جاء عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ النجاشي أمانا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه... إلى أن قالت فسأل تعني النجاشي جعفر بن أبي طالب فقال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء قالت: فقال له جعفر: نعم فقال له النجاشي: فاقرأه على فقراً عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾ قالت: فبكى والله، النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة... إلخ. اهـ. المراد. وهو من حديث طويل أخرجه أحمد.

وأخرجه الإمام أحمد في مسند جعفر بن أبي طالب، برقم [١٧٤٠] ج ٣/٢٦٦ بتحقيق شعيب وعادل وهو حديث حسن، والنجاشي اسمه أصحمة، مات مسلماً وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو معروف في الصحيحين وغيرهما، فبِحسب الله.

فينبغي للدعاة أن يهتموا بتعليم القرآن وتدبره فإن معانيه بالغة، وأن يقرأوه على الناس في المجمع والمحافل، فحجته أبلغ الحجج، فهو أبلغ في التأثير على قلوب الناس، وقد يؤثر حتى على بعض المشركين ويهديهم الله بسببه، بخلاف ما يفعل بعض الدعاة من ذكر القصص الخرافية والنظريات الفلسفية وغير ذلك، ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾.

قوله تعالى:

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الآية ٨٩.

قال الإمام أبو عبدالله ابن ماجه ج ١ ص ٦٨٢: حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان بن عيينة عن سليمان بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه سعة وكان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه شدة فنزلت: ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾.

هذا الحديث رجاله رجال الصحيح إلا سليمان بن أبي المغيرة العبسي وقد وثقه يحيى بن معين. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا إسناد موقوف صحيح الإسناد. وأقول هو في أسباب النزول له حكم الرفع.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ﴾ الآية. فقوله: ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ وهذا من رحمة الله تعالى: أنه ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ فالغني يكفر من الطعام من أوسط ما يطعم أهله فيعطي الفقراء أكلاً حسناً مثل: الخبز، والزيت، والتمر، والأرز، والإدام، وأما الفقير فيكون من وسط ما يطعم أهله مثل: الخبز والإدام، أو الأرز، ونحو ذلك وأفضل الطعام اللحم، والخبز، والعسل، ومن لم يجد فيصوم ثلاثة أيام. وقال القرطبي: نزول الآية في الوسط يقتضي الخبز، والزيت، أو الخل، وما كان في معناه

من الجبن والكشك^(١) كما قال ابن حبيب: وقال الحسن البصري: إن أطعم خبزًا ولحماً أو خبزًا وزيتًا مرة واحدة في اليوم حتى يشبعوا أجزاءه وهو قول ابن سيرين وجابر بن زيد ومكحول وروى ذلك عن أنس بن مالك. اهـ.

وهذا أعدل الأقوال وأصوبها في المسألة، وإن أحب أن يُكْفَر بالكسوة فله ذلك، أو يعتق رقبة إن وجد ذلك واستطاع فهو أعلى أنواع الكفارة، والتنويع في كفارة الأيمان للتخيير والله أعلم.

(١) الكشك: ماء الشعير، قاله في اللسان.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ الآيتان ٩٠

و٩١.

ابن جرير ج ٧ ص ٣٤: حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال: حدثنا حجاج بن المنهال قال: حدثنا ربيعة بن كلثوم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه وحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان قتل يوم بدر وقتل فلان يوم أحد فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الآية.

الحديث أخرجه الحاكم ج ٤ ص ١٤٢ والبيهقي ج ٨ ص ٢٨٦ وقال الهيثمي ج ٧ ص ١٨ في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

أما سند ابن جرير فرجاله رجال الصحيح إلا الحسين بن علي الصدائي وهو ثقة. وسيأتي إن شاء الله حديث سعد في سورة العنكبوت.

التعليق:

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ الخمر هو: ما خامر العقل أي غطاه، من أي نوع كان من العنب أو التمر أو غيرهما. والخمر محرم بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين وهو حرام قليله وكثيره، وقد لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وشاربها، وآكل ثمنها، وساقها، وبائعها، ومبتاعها. رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما عن ابن عمر، وهو حديث صحيح.

والخمر: من أخبث الخبائث وأضراره كثيرة، والآن صار بعضهم يسميها بغير اسمها والله المستعان، مثل قولهم مشروبات روحية والكحول والطاقة وغير ذلك والله يعلم السر وأخفى. والميسر هو لعب القمار بالأزلام وغيرها، يقولون: من غَلِبَ ذُهَبَ بِهَالِهِ أو بما التزم بإعطائه، وهذا حرام سواء كان اللعب بالشطرنج أو بالنوى أو الورق والكرة على سبيل القمار وغير ذلك مما يؤدي إلى الشحناء والبغضاء وربما أدى بالناس إلى القتل فيما بينهم.

وقال بعض أهل اللغة في الميسر كما في القاموس: هو اللعب بالقداح، يسر، ييسر، أو هو الجزور التي كانوا يتقامرون عليها. اهـ المراد.

يعني ويجزؤونها بينهم. وقيل: الميسر مأخوذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه يقال: يسر لي كذا إذا وجب فهو يسر يسرا ومسيراً. والله أعلم.

والأنصاب هي حجارة تنصب فيعبدونها أو أصنام ينصبونها ويذبحون عندها ويطوفون حولها ويعبدونها من دون الله وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فأهل الجاهلية كانوا يعظمونها ويصبون عليها الدماء وغيره والحمد لله الذي أزأها.

والأزلام، مفردها، (زُلم).

قال الحافظ ابن كثير في أول سورة المائدة: (زُلم) وقد تفتح الزاي فيقال: (زُلم) وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي: عبارة عن قِدَاح ثلاثة على أحدها مكتوب: (افعل) وعلى الآخر: (لا تفعل) والثالث: (عُقل ليس عليه شيء).

ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد (أمرني ربي) وعلى الآخر (نهاني ربي) والثالث (غفل ليس عليه شيء) فإذا أجالها فطلع السهم الأمر فعله أو الناهي تركه وإن طلع الفارغ أعاد. اهـ.
وهذا كانوا يفعلونه عند السفر أو إذا أراد أحدهم الزواج أو فعل أي شيء يريدونه.

واليوم في زماننا هذا بعضهم يذهب إلى الكاهن ويستشير في زواجه أو شراء سيارة أو بيت أو سفر ونحو ذلك، فالكاهن ربا قال له: لا تتزوج فرق العيدين أو: اليوم الفلك للوجه أو الطالع كذا وغير موافق أو نحن في آخر الشهر وهو غير مناسب وغير ذلك من الخرافات. والله المستعان.
وقوله تعالى: ﴿رَجَسَ﴾ أي سَخَطَ وقدر من عمل الشيطان.

أما الله عز وجل فقد حرم هذه الأشياء وحرم استعمالها والاعتقاد عليها. وما يتعلق بالآية، ما ثبت في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إنها نزلت فيه آيات، ومنها أنه قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش، والحش البستان، فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم قال: فذُكرت الأنصار والمهاجرون عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل لحي الرأس فضرني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأنزل الله عز وجل في، (يعني نفسه) شأن الخمر: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس

من عمل الشيطان ﴿

وهذا الحديث في فضائل الصحابة [١٧٤٨] وهو الذي قال المصنف: إنه سيأتي. وقوله في حديث

ابن عباس: حتى إذا قد ثملوا. أي: سكروا.

وقوله: عبث بعضهم ببعض. أي: كل واحد ضرب الآخر بما في يده وجرحه وأذاه.

قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية ٩٣.

البخاري ج ٦ ص ٣٦: حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى أخبرنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ الآية.

الحديث أخرجه أيضاً البخاري في التفسير ج ٩ ص ٣٤٨ ومسلم ج ١٣ ص ٣٤٩ والإمام أحمد ج ٣ ص ٢٢٧ والدارمي ج ٢ ص ١١١.

وأخرج الترمذي ج ٤ ص ٩٨ وصححه وابن جرير ج ٧ ص ٣٧ وابن حبان كما في الموارد ص ٣٣٣ و ٤٣٠ وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٣٠ مثله من حديث البراء ^(١). وأخرج الترمذي وصححه ج ٤ ص ٩٨ وأحمد ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٧٢ و ٢٩٥ وابن جرير ج ٧ ص ٣٧ والحاكم ج ٤ ص ١٤٣ وصححه وأقره الذهبي من حديث ابن عباس مثله لكنه من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس وفي رواية سماك عن عكرمة اضطراب.

(١) ثم وجدت في مستند أبي يعلى ج ٣ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ - أن شعبة سأل أبا إسحاق أسمعه من البراء؟

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ أي: لا إثم عليهم ولا حرج ﴿فيما طعموا﴾ أي: قبل تحريم الخمر ما دام أنهم كانوا متقين ومؤمنين.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا﴾ إلى آخر الآية، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قيل لي: أنت منهم». رواه مسلم في فضائل الصحابة [٢٤٥٩]. يعني: أن ابن مسعود رضي الله عنه منهم، وهذه فضيلة عظيمة له.

قلت: وليس لأحد أن يستدل بهذه الآية على جواز شرب الخمر معللاً فعله بأنه من المؤمنين المتقين كما توهم البعض، فإن هذه الآية في الأصل نزلت جواباً لأقوام من المسلمين، قالوا بعد أن نزل تحريمها: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله الآية كما ذكره الشيخ في سبب النزول، فأتضح أن الآية إنما نزلت لإيضاح الأمر لبعض من توهم أن من ماتوا قبل التحريم أثموا في شربهم، وأيضاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقام الحد على قدامة بن مظعون لما شرب الخمر بعد نزول آية التحريم متأولاً هذه الآية، فلم يقبل منه عمر هذا التأويل، وإنما قال له عمر: أخطأت التأويل أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله، ثم جلده حد الخمر. روى القصة عبد الرزاق بسند صحيح كما في الإصابة لابن حجر رحمهما الله.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ الآية ١٠١.

البخاري ج ٩ ص ٣٤٩: حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم، لهم خنين فقال رجل من أبي قال: فلان فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

رواه النضر وروح بن عباد عن شعبة.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٥ ص ١١ و ١٢ وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ٩٩ والإمام أحمد ج ٣ ص ٢٠٦ وابن جرير ج ٧ ص ٨٠.

قال البخاري رحمته الله ج ٩ ص ٣٥١: حدثني الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل: تفضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها.

الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٣٧.

قال الطبري رحمته الله ج ٧ ص ٨٢: حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أبي قال: أخبرنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة يقول: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج» فقام محصن

الأسدي فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «أما إني لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتم لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم إلى آخر الآية.

الحديث أخرجه ابن خزيمة ج ٤ ص ١٠٩ وأصل الحديث في مسلم.

قال ابن جرير رحمته الله ج ٧ ص ٨٢: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال: ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العمر قال: ثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو قال: ثنا سليمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال: «كتب عليكم الحج» فقام رجل من الأعراب فقال: أفي كل عام؟ قال: فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب فمكث طويلاً ثم تكلم فقال: «من السائل؟» فقال الأعرابي: أنا ذا فقال: «ويحك ماذا يؤمنك أن أقول: نعم ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا إنه إنما أهلك الذين قبلكم أئمة الحرج والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه» قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء....﴾ إلى آخر الآية.

وقال الطبراني رحمته الله ج ٨ ص ١٨٦: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرغ ثنا أبو زيد بن أبي الغمر به. عبد الرحمن بن أبي الغمر روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر فهو يصلح في الشواهد والمتابعات وأبو مطيع معاوية بن يحيى مختلف فيه والظاهر أنه حسن الحديث والحديث يعتبر شاهداً لأبي هريرة كما ترى.

فهذه ثلاثة أسباب لأن الأول وهو عبد الله بن حذافة لم يسأل استهزاء لكن قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٥١: لا مانع أن يكون الجميع سبب نزولها والله أعلم. وقال ص ٣٥٢: والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل، إما على سبيل الاستهزاء والامتحان، وإما على سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة. اهـ.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا...﴾ هذا نهي من الله للمؤمنين أن يسألوا عن أشياء لا حاجة لهم في السؤال عنها، وقد قال النبي ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته».

متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

بعضهم كان يسأل عن أشياء لا حاجة للسؤال عنها، مثل قول بعضهم: من أبي؟ فيقول: أبوك فلان، وآخر يقول: أين أبي؟ فقال النبي ﷺ: «أبوك في النار».

فعن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ حتى أحفوه في المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته لكم» فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه

يبكي فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال يا رسول الله من أبي قال حذافة ثم أنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله

ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كالיום قط، إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتها وراء الحائط» وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ

تسؤكم ﴿

رواه البخاري في الدعوات [٦٣٦٣] ومسلم تحت رقم [٢٣٥٩].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفي دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار».

رواه الإمام مسلم في الإيمان [٢٠٣] فهذا السائل لا شك أنه يستاء من الجواب ويحزن على أبيه أنه في النار وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له: إن أبي وأباك في النار، لتكون له تسلية والله أعلم. فينبغي للسائل أن يسأل أهل العلم ليتعلم أو يعلم غيره لا سؤال تعنت وتعجيز وكذلك لا يسأل عن أشياء غير واقعة وبعيدة، فقد كان بعض العلماء إذا سئل عن شيء يقول: هل وقع هذا أم لا؟ فإن قال السائل: لا قال: إذا وقع يكون الجواب.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ من آية

١٠٦-١٠٨.

البخاري ج ٦ ص ٣٣٩ و قال لي علي بن عبد الله: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن أبي القاسم عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما^(١) من فضة مخصوصا من ذهب فأحلفها رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه ثم وجد الجام بمكة فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم قال: وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾.

الحديث ليس فيه تصريح البخاري بأن شيخه حدثه أعني لفظة حدثنا وسمعت لكن قال الحافظ في الفتح: قد أخرجه المصنف في التاريخ فقال: حدثنا علي بن المديني وهذا مما يقوي ما قررته غير مرة من أنه يعبر بقوله وقال لي في الأحاديث التي سمعها لكن حيث يكون في إسناده عنده نظر أو حيث تكون موقوفة، وأما من زعم أنه يعبر بها في الأحاديث التي أخذها في المذاكرة أو المناولة فليس عليه دليل.

(١) الجام: الإناء.

الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٠١ وقال: هذا حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ج ٣ ص ٣٣٧ وابن جرير ج ٧ ص ١١٥ والبيهقي ج ١٠ ص ١٦٥.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾. ﴿منكم﴾ أي: من المسلمين، وهو: قول جماهير المفسرين.

﴿أو اءاخران من غيركم﴾: أي من غير المسلمين، من أهل الذمة، وأهل الكتاب وغيرهم، وهذا القول هو الأصح.

والأصل أن شهادة الكافر لا تقبل على مسلم لأنه غير عدل ولكن عند الضرورة تقبل بشرطين: أن يكون في سفر دون الحضر ولم يوجد مسلمون.

الثاني: أن يوصي المحتضر. والله أعلم.

ومن أرد التوسع فليرجع إلى كتب التفسير.

سورة الأنعام

قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ الآية ٥٢ .

مسلم ج ١٥ ص ١٨٧: حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد: في نزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ قال: نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي عن إسرائيل عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .

الحديث أخرجه ابن ماجه رقم ٤١٢٨ وابن جرير ج ٧ ص ٢٠٢ والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٣١٩ وقال: صحيح على شرطها وسكت عليه الذهبي وأبو نعیم في الحلیة ج ١ ص ٣٤٥ وص ٣٤٦ وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٧٢ والواحدی في أسباب النزول. وأخرج الإمام أحمد وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٧٢ وابن جریر ج ٧ ص ٢٠٠ وأبو نعیم في الحلیة ج ٤ ص ١٨٠ نحوه من حدیث ابن مسعود وقال الهیثمی في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢١: رجال أحمد رجال الصحیح غیر کردوس وهو ثقة.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ..﴾ أي: لا تبعدهم عن مجالستك بل يكونون هم جلساءك لأنهم صالحون عابدون بخلاف أهل الشرك. وقد قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ..﴾ وقوله: ﴿يدعون ربهم﴾ أي: يعبدونه ويوحدونه ويذكرونه ويسألونه، ﴿بالغداة والعشي﴾ قال بعض المفسرين: يعني يصلون الصلاة المكتوبة، ومنها: الصبح والعصر، ولا يمنع أنهم يعبدون الله بإقامة الصلاة والدعاء والذكر والتلاوة والسؤال لله تعالى، وغير ذلك من العبادات.

وقوله: ﴿يريدون وجهه﴾ أي: يطلبون بعبادتهم وجه الله تعالى ورضاه والمعنى أنهم يخلصون العبادة لله لا يريدون غيره.

وفي هذا الحديث فضيلة هؤلاء الصحابة وأمثالهم من المتصفين بهذه الصفات من طلب العلم وكثرة الذكر والعبادة وترك الدنيا والتقلل منها.

وفي هذه الآية: أن ميزان الإسلام هو: التقوى والإيمان والعمل الصالح، فالإسلام لا يلتفت إلى جاه الرجل وسلطانه وماله إن لم يكن مؤمناً صالحاً يوجه ما لديه لخدمة هذا الدين ونفع هذه الأمة، فينبغي لكل مؤمن أن يكون ميزانه للأمر، هو: ميزان الإسلام، فلا يجب الشخص ولا يواليه ولا يعظمه إلا بقدر ما لديه من إيمان وتقوى وإخلاص والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية ١٢١.

أبو داود ج ٣ ص ٥٩: حدثنا محمد بن كثير قال: أنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾. الحديث رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٧١: وهذا إسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجه رقم ٣١٧٣، وابن جرير ج ٨ ص ١٢٦ و ١٨ وأخرجه الحاكم ج ٤ ص ١١٣ و ٢٣١ وقال في كلا الموضعين: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. وأقول الحديث من رواية سماك عن عكرمة وهي مضطربة فالحديث ضعيف.

التعليق:

وقول الشيخ رحمته الله: الحديث ضعيف.

قلت: لكن قد رواه ابن جرير عند هذه الآية، من طريق أخرى، فقال: حدثني عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري قال: حدثنا موسى بن عبد العزيز القنباري قال: حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة: لما نزلت هذه الآية تحريم الميتة قال: أوحى فارس إلى أوليائها من قريش، أن خاصموا محمداً - وكانت أوليائهم في الجاهلية - وقولوا له: أو ما ذبحت فهو حلال، وما ذبح الله - قال ابن عباس: بشمشار من ذهب - فهو حرام!! فأنزل الله هذه الآية: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم..﴾ قال: الشياطين: فارس، وأوليائهم: قريش. وهذا سند حسن ترجمة رجاله في

التهديب، وعبد الرحمن النيسابوري: وثقه ابن أبي حاتم كما في الجرح والتعديل، وهذه المتابعة تقوي طريق سهاك عن عكرمة عن ابن عباس.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ في هذه الآية أن الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها محرمة، والآية تشمل من تُرِكَت التسمية عليها عمدًا أو سهوًا على الراجح، أما التي تموت حتف أنفها فهي ميتة وهي حرام بلا خلاف، ومن الأدلة على تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه حديث أبي ثعلبة «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما لم يشاركه كلب آخر، فإن شاركه كلب آخر فلا تأكل فإنما سميت على كلبك». والحديث في الصحيح، فاشتراط التسمية والحديث في الصحيحين عن عدي بن حاتم نحوه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٣٩٤: استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أنه لا تحل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها ولو كان الذابح مسلمًا، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال فمنهم من قال: لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمدًا وسهوًا، وهو مروى عن ابن عمر ونافع مولاة وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية وبقوله في آية الصيد ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ ثم قد أكد في هذه الآية بقوله وإنه لفسق والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير الله وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل

.....
 ما أمسك عليك». وهما في الصحيحين، وحديث رافع بن خديج: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه». وهو في الصحيحين أيضًا، وحديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «للجن لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه». رواه مسلم، وحديث جندب بن سفيان البجلي قال: قال رسول الله ﷺ «من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله». أخرجاه، وعن عائشة ﴿ أن ناسا قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: «سموا عليه أنتم وكلوا» قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر. رواه البخاري، ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحدائث إسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم.

والمذهب الثاني في المسألة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فإن تركت عمدا أو نسيانا لم تضر وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمته الله وجميع أصحابه ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل. وهو رواية عن الإمام مالك ونص على ذلك أشهب ابن عبد العزيز من أصحابه وحكي عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله أعلم. وحمل الشافعي الآية الكريمة ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ على ما ذبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾. وذكر بعض الآثار لهذا المذهب.

المذهب الثالث في المسألة: إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر وإن تركها عمدا لم تحل هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحاق بن راهويه وهو محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي

مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلي وجعفر بن محمد وربيعة بن أبي عبد الرحمن. وذكر بعض أدلتهم. اهـ.

أقول: القول الأول هو الراجح لعموم الأدلة وليس فيها تفصيل.

وقد نصر هذا المذهب ابن حزم في المحلى ج ٧/٤١٢ فقال ﷺ: ولا يحل أكل ما لم يسم الله تعالى عليه بعمدٍ أو نسيان، برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ فعلم الله تعالى ولم يخص... الخ كلامه.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين ﷺ: والتسمية في الشرع شرط في الذكاة والصيد فلا تسقط على الصحيح لا عمدًا ولا جهلاً ولا سهواً، فإن ذبح أو صاد ونسي أن يسمي صار حراماً. انتهى المراد من الشرح الممتع في الطهارة في مستحبات الوضوء ج ١/١٣١.

وكان شيخنا مقبل الوداعي ﷺ تعالى يفتي بتحريم أكل الذبيحة التي لم يسم الله عليها وإن كان الذابح تركها نسياناً.

❁ تنبيه:

وهنا أمرٌ يحسن إيراده وهي: قضية اللحوم المستوردة من بلاد الكفار، فالكفار قسمان: أهل كتاب، ووثنيون، فاللحوم المستوردة من أهل الكتاب كفرنسا، وبريطانيا، والبرازيل، وغيرها من أوروبا، والأمريكان حلالٌ إن كان الذبح واقع على طريقة أهل الكتاب، وأما إذا كان الذبح حاصل بطريقة الصعق الكهربائي أو الماء الحار ونحوه من طرائق الذبح المعهودة عندهم اليوم فلا يجوز استيرادها ولا أكلها، وهو غالب على ذبائحهم اليوم، فعلى هذا لا يجوز للشخص أن يأكل لحومهم المستوردة حتى يتيقن أنها مذبوحة على طريقة أهل الإسلام أو أهل الكتاب.

وأما الدول التي أهلها أصحاب أوثان كالمجوس أو الملاحدة كالدول الاشتراكية وليسوا أهل كتاب كالصين، والهند، واليابان، والكوريتين، فلا يجوز الإستيراد منهم ولا تحمل ذبائحهم لقوله تعالى: ﴿إِلا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ ولقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. فالملاحدة ينكرون وجود الله.

ولا يكفي أن يكون على غلاف الذبيحة: ذبحت على الطريقة الإسلامية أو حلال. وللشيخ صالح الفوزان حفظه الله كتاب "حكم الذبائح" وهو مفيد، وللأخ الفاضل: يحيى الديلمي رسالة في هذا.

فائدة: قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام في "شرح بلوغ المرام": هذا الحديث يذكرنا بمسألة اللحوم التي يستوردها المسلمون من بلدان دول غير إسلامية وقد أكثر علماء العصر من الكلام عليها ونحن نورد هنا فقرتين من تلك الفتاوى.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: اللحوم التي تباع في أسواق دول غير إسلامية إن علم أنها من ذبائح أهل الكتاب فهي حل للمسلمين إذا لم يعلم أنها ذبحت على غير الوجه الشرعي، إذ الأصل حلها بالنص القرآني فلا يعدل عن ذلك إلا بأمر محقق يقتضي تحريمها

أما إذا كانت اللحوم من ذبائح بقية الكفار فهي حرام على المسلمين ولا يجوز لهم أكلها بالنص والإجماع ولا تكفي التسمية عليها عند أكلها.

وقال الشيخ عبد الله بن حميد: وأما اللحوم المستوردة فما وردت من بلاد جرت عاداتهم أو أكثرهم يذبحون بالخنق أو بالصعق الكهربائي ونحو ذلك فلا شك في حرمة أم إذا جهل الأمر هل يذبحون بالطريق الشرعية أم بغيرها فلا شك في حرمتها تغليباً لجانب الحظر كما قرره أهل العلم

منهم النووي وشيخ الإسلام وابن القيم وابن رجب وابن حجر وغيرهم.

القاعدة الشرعية أنه متى وجد مبيح وحاضر غلب جانب الحظر لحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وحديث: «إذا أرسلت كلبك المعلم ووجدت معه كلبًا آخر فلا تأكل فإنها سميت على كلبك ولم تسم على غيره». متفق عليه.

قال ابن رجب: ما أصله الحظر كالأبضاع ولحم الحيوان فلا تحل إلا بيقين حله من التذكية والعقر فإن تردد في شيء من ذلك لسبب آخر رجع إلى الأصل فبنى عليه فما أصله التحريم بقي على حرمة.

ولو فرضنا أنه يوجد في تلك البلدان من يذبح ذبحًا شرعيًا ويوجد من يذبح ذبحًا آخر كالخنق والوقد فلا تحل للإشتباه كما هي القاعدة الشرعية. اهـ.

قلت: وهذا القول والتفصيل هو الذي نذهب إليه والحمد لله.

سورة الأعراف

قوله تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الآية ٣١.

مسلم ج ١٨ ص ١٦٢: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر ح. و حدثني أبو بكر بن نافع واللفظ له حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرني تطوفاً تجعله على فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله.. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾.

الحديث عزاه الحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٢١٠ إلى النسائي وابن جرير وهو في ابن جرير ج ٨ ص ١٦٠ وأخرجه الواحدي في أسباب النزول.

وأخرجه الحاكم ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠: من طريق شعبة وفيه نزلت هذه الآية.

﴿ قل من حرم زينة الله ﴾ ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي فلعل الآيتين نزلتا معاً لهذا السبب والله أعلم.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ... ﴾ يعني بالزينة في الآية هي: اللباس التي يلبسها الشخص، وفي هذه الآية وجوب تغطية العورة في الصلاة، وفيه: استحباب التجميل لأنه من الزينة، والله جميل يحب الجمال وخاصة يوم الجمعة والعيدين، وفي مجامع الناس، والتطيب والسواك ونحو ذلك من الزينة، وقد كان الصحابة ﴿ يلبسون ثيابهم، وإذا لم يجد أحدهم ما يغطي به عورته

يستعير من غيره.

وتغطية العورة واجب أيضًا خارج الصلاة، ولا يحل كشفها إلا أمام الزوج والأمة وإلا عند الضرورة مثل: الأرش، والعلاج الضروري، وإلا فالواجب حفظها، وقد كان في الجاهلية ربا يمشي أحدهم عريانا أمام الناس ولا يبالي، فنهى النبي ﷺ عن ذلك. فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: أقبلت بحجر أحمله ثقيل، وعليّ إزار ي خفيف قال: فأنحل إزاري ومعني الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه فقال رسول الله ﷺ: «ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة». رواه مسلم [٣٤١].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة». رواه مسلم [٣٣٨].

وأما إذا كان الإنسان في خلوة ولا أحد يراه فلا بأس بكشف العورة، كأن يغتسل أو يقضي حاجته والله أعلم.

واليوم تجد بعض النساء يكشفن عن عوراتهن أمام الناس في الأسواق والمستشفيات والتلفاز والإنترنت، وغيرها من المجالات، ويسمون هذا تطورا، وهذه هي أفعال الجاهلية الأولى مع أن المرأة كلها عورة، فلا يحل لها أن تكشف عن شعرها ولا نحرها ولا ذراعها ولا عن فخذيها، بل الواجب على المسلمة أن تغطي جميع بدننها حتى الوجه والكفين إذا كانت عند رجال أجنب، هذا هو اللازم، والأدلة على ذلك كثيرة، مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا

تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴿ الْأحزاب.

واليوم إذا أردت أن تعرف تبرج الجاهلية الأولى فهي تتمثل أشد التمثل في النساء النصرانيات من الأمريكيات والبريطانيات، وغيرهن من العاريات، فهذه هي: الجاهلية الأولى وإن سموها اليوم تقدماً وتطوراً وحرية، ونعوذ بالله من الفتن.

ونأسف أن بعض المسلمين اليوم يدعون إلى ذلك في وسائل الإعلام وفي الصحف والمجلات بدون خجل من الله، وبعضهم يرسل بناته إلى دول الكفر يتعلمن الطب وغيره في زعمه، فلا تأتي إلا وهي تشبه النصرانيات في لباسها وأخلاقها وقد مسخت، إلا من رحم الله، وعلى وليها إثم كبير، وهو السبب في ضياعها، وقد قال النبي ﷺ: «ما من راعي يسترعيه الله رعية ثم لم يحطهم بنصحه إلا لم يرح رائحة الجنة». متفق عليه.

سورة الأنفال

قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية ١.

الترمذي ج ٤ ص ١١٠: حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا، هب لي السيف فقال: «هذا ليس لي ولا لك» فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول ﷺ فقال: «إنك سألتني وليس لي وإنه قد صار لي وهو لك» قال فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ هذا حديث حسن صحيح وقد رواه سيبك عن مصعب بن سعد أيضًا.

الحديث أخرجه مسلم مطولاً كما سيأتي في سورة العنكبوت إن شاء الله ومختصراً ج ١٢ ص ٤٣ و ٥٤ وأخرجه أبو داود ج ٣ ص ٣٠ و ٣١ والطيالسي ج ١ ص ٢٣٩ وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٢٢٢. والحاكم ج ٢ ص ١٣٢ والبيهقي ج ٦ ص ٢٢٩ وابن جرير ج ٩ ص ١٧٣ وأبو نعيم ج ٨ ص ٣١٢ وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

سبب آخر:

أخرج الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٢٤ وقال الهيثمي ج ٦ ص ٩٢: رجاله ثقات وكذا ج ٧ ص ٢٦ قال: رجال الطريقتين ثقات وابن حبان ص ٤١٠ كما في الموارد وابن جرير ج ٩ ص ١٧٢ والحاكم ج ٢ ص ١٣٥ و ١٣٦ و ٣٢٦ وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي في الموضوعين والبيهقي ج ٦ ص ٢٩٢ عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو فانطلقت

طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ فقسما رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين، الحديث هذا لفظ أحمد.

تبيين:

حديث عبادة بن الصامت من طريق مكحول عن أبي أمامة ومكحول لم يسمع من أبي أمامة، وفي بعض الطرق التصريح بالواسطة بينهما وهو أبو سلام مطور وفي بعضها ليس فيها مكحول كما عند الإمام أحمد في بعض الطرق من غير طريق مكحول، لكنها من طريق أبي سلام مطور الحبشي وهو لم يسمع^(١) من أبي أمامة. وأخرج أبو داود ج ٣ ص ٢٩ وابن حبان ص ٤٣١ كما في موارد الزمآن والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ١٣٢ و ٢٢١ و ٣٢٦ وصححه في الثلاث المواضع، وابن جرير ج ٩ ص ١٧١ والبيهقي ج ٦ ص ٢٩١، وصححه الحاكم وأقره الذهبي. وابن كثير ج ٢ ص ٢٨٤ وزاد نسبه إلى

(١) قلت هذا اعتياداً على ما في تهذيب التهذيب من قول ابن أبي حاتم عن أبيه ثم وجدت تصريحه

بالتحديث في صحيح مسلم ج ١ ص ٥٥٣ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

النسائي^(٢) وابن مردويه كل هؤلاء أخرجوا عن ابن عباس نحو حديث عبادة. قال أبو داود رحمته الله ج ٣ ص ٢٩: حدثنا وهب بن بقية قال: أنا خالد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا» قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها فلما فتح الله عليهم قالت المشيخة: كنا ردءاً لكم لو انهزمت فتمم إلينا فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى فأبى الفتيان وقالوا جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ إلى قوله: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ يقول: فكان ذلك خيراً لهم فكذلك أيضاً فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم. حدثنا زياد بن أيوب نا هشيم قال: نا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا» ثم ساق نحوه وحديث خالد أتم.

الحديث أخرجه ابن حبان كما في الموارد ص ٤٣١ والنسائي في التفسير ج ١ ص ٧٥ وابن جرير ج ٩ ص ١٧١ والبيهقي ج ٦ ص ٢٩١ والحاكم ج ٢ ص ١٧١ وصححه وسكت عليه الذهبي وزاد ابن كثير في التفسير ج ٢ ص ٢٨٤ نسبه إلى ابن مردويه. ولا تنافي بين السببين إذ لا مانع أن تكون الآية نزلت في الجميع والله أعلم.

(٢) هو: في النسائي ج ١ ص ٧٥ من التفسير.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الأنفال: الغنائم.

والأنفال هنا هي: الغنائم التي غنموها في بدر، وقد قسمها النبي ﷺ بينهم كل بما يستحق وخمسها أخماساً أربعة أخماس للجيش وخمس لله ورسوله يعطيها الفقراء ومن يستحقها، ومن قتل قتيلاً فله سلبه.

قال الإمام البخاري في التفسير: قال ابن عباس: الأنفال الغنائم، حدثني محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره: وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال: قال ابن عباس كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال لا أمرك ولا أنك ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه ﷺ إلا زاجراً أمراً محلاً ما قال القاسم: فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال فقال ابن عباس: كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه، فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك: ثم عاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب حتى سالت الدماء على عقبه أو على رجله فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينقله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل والله أعلم اهـ.

قوله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ الآية ٩.

الإمام أحمد ج ١ ص ٣٠: حدثنا أبو نوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر قال نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا». قال فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ وذكر الحديث وقد تقدم بتامه في سورة آل عمران.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٢ ص ٨٤ و ٨٥ والترمذي وقال: حسن صحيح غريب ج ٤ ص ١١١ و ١١٢ وعزاه الحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٦ لأبي داود وقال: وصححه علي بن المديني، وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٢٣٠، وابن جرير ج ٩ ص ١٨٩.

التعليق:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله في "تفسيره": "ومعنى قوله: ﴿تستغيثون ربكم﴾ تستجيرون به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم.

قلت: فالنبي صلوات الله عليه وأصحابه كانوا يدعون الله ويطلبون منه الغوث والنصر فأجابهم سبحانه فأمدهم بالملائكة الأبرار عليهم السلام، فقاتلوا معهم حتى هزم الله عدوهم.

❖ فائدة:

و الإستغاثة أقسام منها: الإستغاثة بالله سبحانه أن يخلص المستغيث من شدة وهلاك، فهذه عبادة عظيمة.

الثانية: الإستغاثة بالأموات أو الأصنام والأوثان أو شخص غائب وهذا شرك لا يجوز.

الثالثة: الإستغاثة بالحى الحاضر فيما يقدر عليه فهذا لا حرج فيه فيجوز، قال سبحانه: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ لأن الإغاثة بمعنى الإعانة، أغاثته: أعانه.

والرابعة: الإستغاثة بحى غير قادر على ذلك كأن يستغيث محترق بشخص مسجون أو مربوط أو

مشلول أو صغير عاجز فهذا لا فائدة فيه، ولكن يُمنع حتى لا يسمعه جاهل فيظن أن لهذا

الشخص قوة خفية كما يفعله بعض الصوفية حين يستغيثون ببعض مشايخهم ويقولون أن لهم سرا

وقوة خفية لا يراها الناظر، وهذا الإعتقاد باطل والعياذ بالله. والله أعلم.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ أي: متتابعين يردف بعضهم بعضًا نجدة لكم

وعونًا والله أعلم.

وقال الإمام البخاري رحمته الله في المغازي: باب قول الله تعالى ﴿إذا تستغيثون ربكم فاستجاب لكم

أني مدمكم بألف من الملائكة مردفين ﴿ إلى قوله: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾.

حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهد لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به: أتى النبي - ﷺ - وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا﴾ ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله.

وقال ﷺ: حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾^(١).

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ﴾ الآية ١٦.

أبو داود ج ٢ ص ٣٤٩: حدثنا محمد بن هشام المصري حدثنا بشر بن المفضل حدثنا داود عن أبي نظرة عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر: ﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ﴾. الحديث أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٣٢٧ وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي وابن جرير ج ٩ ص ٢٠١ وعزاه الحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٥ إلى النسائي وابن مردويه مع من ذكرنا ثم قال: وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر وإن كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجمهور والله أعلم.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ الأنفال ١٥ ﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

قوله: ﴿زحفاً﴾ أي: تقارب المسلمون والمشركون للقتال.

﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي: فلا تفروا من قتال عدوكم وتركوا إخوانكم ليهلكهم العدو.

﴿ومن يؤمِدْ يؤمِدْ دبره إلا متحرفاً لقتال﴾ أي: إذا فر المسلم ليخدع عدوه ويمكر به فهذا جائز.

﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ أي: فر إلى طائفة من المسلمين ليعينوه على القتال ويعينهم فهذا لا بأس به.

﴿فقد باء﴾ أي: فقد رجع. ﴿بغضب من الله ومأواه جهنم﴾: أي مقره.

وفي الآية تحريض للمسلمين أن يصبروا أمام المشركين ولا ينهزموا بل يشبتون ففي ثباتهم عزة للإسلام وأهله وذل للكفار.

وحرّم على المؤمنين الفرار إذا زحف الجيشان واقتربوا من القتال. والفرار من الزحف من الكبائر كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها التولي يوم الزحف». وكما ذكر ابن كثير أن الفرار من الزحف محرم على غير أهل بدر وإن كان سبب النزول فيهم وأن هذا مذهب الجمهور.

ولا يكون الشخص آثمًا إذا فرّ، إلا إذا كان المواجه له واحد أو اثنان، أما إذا كانوا أكثر وفر منهم فهذا جائز له كما ذكر القرطبي رحمته الله تعالى في تفسيره فقال: أمر الله عز وجل في هذه الآية ألا يولي المؤمنون أمام الكفار وهذا الأمر مقيد بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين فإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هي ضعف المؤمنين من المشركين فالفرض إلا يفروا أمامهم فمن فرّ من اثنين فهوا فار من الزحف ومن فر من ثلاثة فليس بفار من الزحف ولا يتوجه عليه الوعيد، والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن وإجماع الأكثر من الأئمة وقالت فرقة منهم ابن الماجشون في الواضحة: إنه يراعى الضعف والقوة والعدة فيجوز على قولهم أن يفروا مائة فارس من مائة فارس إذا علموا أن ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف ما عندهم، وأما على قول الجمهور فلا يحل فرار مائة إلا بما زاد على الضعف فمهما كان في مقابلة مسلم أكثر من اثنين فيجوز الانهزام والصبر أحسن وقد وقف جيش مؤتة وهم ثلاثة آلاف في مقابلة مائتي ألف منهم مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لحم وجُذَام. انتهى كلامه.

قوله تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الأنفال ١٧.

قال الطبراني رحمته الله ج ٣ ص ٢٢٧٦: حدثنا أحمد بن ما بهرام الأيدجي ثنا محمد بن يزيد الأسفاطي ثنا إبراهيم بن يحيى الشجري حدثني أبي ثنا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله صلوات الله عليه وآله فأخذ كفاً من الحصباء فاستقبلنا به فرمانا بها وقال: «شاهت الوجوه» فانهمنا فأنزل الله عز وجل: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

قال الهيثمي في المجمع ج ٢ ص ٨٤ سنده حسن، وأقول: لعله يقصد أنه حسن لغيره. وإليك رجال الإسناد محمد بن يزيد الأسفاطي، قال أبو حاتم: صدوق. وإبراهيم بن يحيى الشجري، قال أبو حاتم: ضعيف، ووثقه ابن حبان والحاكم، وقال أبو إسماعيل الترمذي: لم أر أعمى قلباً منه، قلت له: حدثكم إبراهيم بن سعد، فقال: حدثكم إبراهيم بن سعد فهذا جرح مفسر فهو ضعيف.

ووالده وهو يحيى بن محمد وعباد الشجري، قال أبو حاتم: ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات.

قال الحافظ في التهذيب بعد هذا قلت: وقال الساجي: في حديثه مناكير وأغاليط وكان فيها بلغني ضريراً يلقن. اهـ. تهذيب التهذيب.

وموسى بن يعقوب الزمعي مختلف فيه الراجح فيه أن يصلح في الشواهد والمتابعات. وأما عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان فمن رجال الجماعة وهو ثقة.

وأما أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة فقال: الزهري كان من علماء قريش. اهـ مختصراً من «تهذيب التهذيب» وأما شيخ الطبراني وهو أحمد بن ما بهرام وفي المعجم الصغير أحمد بن الحسين بن ما بهرام فلم أتمكن من البحث عنه.

وقلنا إن الهيثمي لعله حسن الحديث من أجل ما له من الشواهد والمتابعات، لأنه قد عقبه بقوله: وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لعلي: «ناولني كفاً من حصي» فناوله فرمى به وجه القوم فما أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الآية. ثم قال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وقد روى الحاكم ج ٢ ص ٣٢٧ عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنها نزلت لما رمى النبي - ﷺ - أبي بن خلف وقال: هذا حديث على شرط الشيخين، وأقره الذهبي. قال الحافظ ابن كثير رحمته الله ج ٢ ص ٢٢٩ بعد عزوه إلى الحاكم عن سعيد بن المسيب والزهري وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضاً جداً ولعلهما أرادا أن الآية بعمومها تناولته لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم. اهـ.

التعليق:

وقوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أي: يا محمد حين أخذت كفاً من الحصباء ورميتهم لم تبلغها بقوتك ولم تصبهم بقدرتك ولكن الله هو الذي كتبهم وكسرههم وهزمهم بقدرته وإنما أنت فعلت السبب والله هو الذي بلغ الحصباء إليهم وشغلهم بها وكسرههم بها فله الحمد والمنة. وهذه علامة من علامات النبوة.

قال الإمام ابن كثير رحمته الله في قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم ولهذا قال: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعدائكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم أي بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ إلى أن قال: ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم في شأن هذه القبضة من التراب التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال: شأته الوجوه ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت. انتهى من تفسيره.

قوله تعالى:

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ الآية ١٩.

ابن جرير ج ٩ ص ٢٠٨ قال^(١): حدثنا يحيى بن آدم عن إبراهيم بن سعيد عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأجنته الغداة، فأنزل الله ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

الحديث أصله في المسند ج ٥ ص ٤٣١ وليس فيه نزول الآية وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وعزاه الحافظ ابن كثير في التفسير ج ٢ ص ٢٩٦ للنسائي في «التفسير» وأخرجه الواحدي في أسباب النزول.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ أي: إن تطلبوا من الله النصر وأن يحكم بينكم وبين عدوكم من المؤمنين فقد جاءكم ما طلبتم وأنه سيفصل بينكم وبين المؤمنين بالحق وقد فعل سبحانه وكسر شوكة الكفر وقُتِلَ أبو جهل وقومه فلله الحمد والمنة وهذا الفعل من الكفار يدل على جهلهم حيث أنهم يدعون على أنفسهم من حيث لا يعلمون.

مثل قول أبي جهل أيضاً: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

(١) الظاهر أن فاعل قال هو ابن وكيع في إسناده قبله وهو ضعيف لكن الحديث ثابت من طريق

أخرى إلى الزهري.

أو اتتنا بعذاب أليم ﴿٢٥٧﴾ .

وقال آخرون: ﴿ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب﴾ ولو أنهم دعوا الله بالهداية لكان خيرًا لهم ولكن هكذا يفعل العمى والجهل بأهله.

وعبد الله بن ثعلبة صحابي صغير، رأى النبي ﷺ ومسح النبي ﷺ وجهه ورأسه زمن الفتح ودعا له كما في ترجمته من تهذيب التهذيب فحدثه مرسل صحابي مقبول، وقد قيل إنه ولد قبل الهجرة وقيل: بعدها، فلو كان قبل الهجرة فتوفي النبي ﷺ وهو مميز، وكذلك إن كان بعد الهجرة بقريب والله اعلم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية: ٢٢.

قال البخاري رحمه الله [٤٦٤٦]: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا

يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار.

قال الحافظ وفي رواية الإسماعيلي نزلت في نفر. اهـ.

هذا سبب نزول لم يذكره الشيخ وقد ذكرناه لثبوته.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني: أن الكافر أشر من

يدب ويمشي على الأرض لأن الحيوانات كلها خاضعة لله تعالى وتسبح الله وهذا شأنها ولكن

الكافر هو مميز عنها بالعقل والتكليف فمطلوب منه العبادة وتوحيد الله، لكنه كفر وأشرك فصار

لهذا أشر منها، ولهذا من مات على الشرك فهو في النار قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

الْحِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ فجعلهم الله أضل من الأنعام لأنهم لم يعقلوا الحق

ويعوه ويستسلموا لله رب العالمين.

قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الآية ٣٣.

البخاري ج ٩ ص ٣٧٨: حدثني أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة

عن عبد الحميد صاحب الزيادي سمع أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللهم

إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

فتزلت: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ وما

لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

الحديث أعاده ص ٣٧٩ من طريق شيخه محمد بن النضر أخي شيخه أحمد في الحديث

السابق وأخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٣٩ وابن أبي حاتم ج ٣ ص ٢٤٢ والواحدي في

أسباب النزول.

سبب آخر:

قال ابن جرير رحمته الله ج ٩ ص ٢٣٥: أحمد بن منصور الرمادي قال: ثنا أبو حذيفة

قال: ثنا عكرمة عن أبي زميل عن ابن عباس أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت

يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «قد قد» فيقولون: لا شريك

لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقولون: غفرانك، غفرانك فأنزل الله: ﴿وما

كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فقال ابن عباس:

كان فيهم أمانان: نبي الله والاستغفار قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار: ﴿وما

لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا

المتقون﴾ قال: فهذا عذاب الآخرة قال: وذاك عذاب الدنيا. هذا حديث حسن

وأخرجه ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٢٤١.

ولا مانع أن تكون الآية نزلت في هذا وهذا وأنها معًا كانا سببًا لنزول الآية. والله أعلم.

التعليق:

وقوله: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة﴾ هذا أسلوب من أساليب الجحود للقرآن والنبوة، وقيل لشبهة كانت في صدورهم أن النبي ﷺ ليس على الحق، ويحتمل أن بعضهم كان عنده شبهة وآخرون كانت عندهم معرفة ولكن كابروا أو هذا كله من جهلهم وشدة عنادهم للحق وتكذيبهم للرسول ﷺ وهذا مما عيب عليهم ولو أنهم قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ووفقنا لنصرته لكان خيرًا لهم نسأل الله التوفيق والسداد.

وقوله: ﴿أو اثنتا بعذاب أليم﴾ قال بعض أهل العلم: قد جاءهم العذاب يوم بدر فقتلهم الصحابة بالسيف وأهانوهم في هذه المعركة بأذن الله وتأييده ونصره فله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ أي: وأنت مقيم بين أظهرهم يا محمد وكان هذا بمكة وهذا من رحمة الله بهم بسبب بقاء رسول الله ﷺ فيهم كما قال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فلما خرج منهم وتركهم عذبهم الله بالحرب والقتل وهذا من إكرام الله لنبية حيث أمهلهم حتى خرج وأصحابه معه وهاجروا إلى الله تعالى وهذا كان آمان لهم والأمان الثاني أنهم كانوا يستغفرون وكان أيضًا يوجد فيهم بعض المؤمنين يدعون الله ويستغفرونه سبحانه فلم ينزل الله عليهم ما سألوا من رميهم بالحجارة وإنزال العذاب عليهم، فله الحكمة البالغة.

وقيل المراد بالاستغفار هنا الإسلام ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ أي: يسلمون. قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما.

وقيل: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ أي: لولا استغفروا وتابوا من الشرك. ولهذا قال تعالى: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه...﴾ والله أعلم. قال الإمام ابن كثير رحمته الله: قوله تعالى: ﴿وما لهم إلا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام...﴾ يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم ولكن لم يوقع بهم لبركة مقام رسول الله صلوات الله عليه بين أظهرهم ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم وأسرت سراتهم. انتهى المراد.

قوله تعالى:

﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾

الآية ٦٦.

البخاري ج ٩ ص ٣٨٢: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا جرير بن حازم قال: أخبرني الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: قال لما نزلت: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾.

الحديث أخرجه ابن راهوية كما في المطالب العالية ج ٣ ص ٣٣٦ بلفظ ^(١) فأنزل الله: ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ الآية، وابن الجارود ص ٣٥٠، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٧٦، وابن جرير ج ١٠ ص ٤٠، وأبو داود ج ٢ ص ٣٤٩ وأبو بكر بن أبي شيبة ج ٥ ص ٣٢٤.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ..﴾ كان الواجب على الشخص الواحد عند ابتداء فرض الجهاد وقبل نزول هذه الآية أن يقاوم ويصارع عشرة ولا يفر منهم، ثم خفف الله عنهم، وهذا من

(١) قال المهيمني في المجمع ج ٧ ص ٢٨: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط

رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

.....

رحمة الله بالعباد حيث خفف عنهم في العدد في حالة المقاتلة أن الشخص لا يفر من اثنين أما إذا كانوا أكثر فلا يكلف بمواجهتهم ومصارعتهم، وهذا من نسخ الأشد إلى الأخف والأسر، لأن النسخ إما أن يكون من الأخف إلى الأثقل مثل فرض الصيام أولاً كان الإنسان مخيراً بين الصوم والإطعام والإفطار والصيام خير له ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه...﴾ الآية أو من الأشد إلى الأخف مثل آية العدة للمتوفى عنها زوجها ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول﴾ فكانت العدة سنة كاملة، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ وكما جاء في الحديث: إنها هي أربعة أشهر وعشراً وكانت المرأة ترمي بالبعرة على رأس الحول. وغير ذلك من الأحاديث.

وأنواع النسخ الأخرى متقاربة أو تلحق بالنوعين السابقين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: خفف الله عنهم العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. رواه أبو داود [٢٦٤٦] قال: حدثنا أبو عوانة الربيع بن نافع حدثنا ابن المبارك بإسناده الذي عند البخاري ومتنه وزاد هذه اللفظة وهي صحيحة وأبو توبة هو ثقة حجة عابد روى له الشيخان.

قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية ٦٧.

الحاكم ج ٢ ص ٣٢٩: أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا سعيد بن مسعود حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم، قال: ففداهم رسول الله صلى الله عليه و على آله وسلم فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ قال: فلقى النبي ﷺ عمر قال: «كاد أن يصيبنا بلاء في خلافتك».

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي قلت: على شرط مسلم. وقد أخرج مسلم ج ١٢ ص ٨٧. وأبو داود ج ٣ ص ٣. والإمام أحمد ج ١ ص ٣١. وابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٩. والطبري ج ١٠ ص ٤٤ من حديث عمر بن الخطاب المتقدم في سورة آل عمران، وعند قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ نحوه

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ الآية. الأسرى: جمع أسير، والأسر: الحبس، أي: ما ينبغي لنبي أن يحبس كفارًا من أجل أن يمن عليهم أو يأخذ الفداء منهم ﴿ حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: حتى يبالغ في قتل المشركين وقتل كبارهم ويقهرهم حتى يذلوا ويغلبوا ويظهر الدين ويرتفع المسلمون، وبعد ذلك إذا ظهر الدين وقوى المؤمنون فلا بأس بأخذ الفداء أو المن

بعد كما قد جاء الإذن بذلك بقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحَمْتَهُمْ فَشَدُّوا الرِّثَاقَ فَمَا مَنَا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾ سورة محمد.

وقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي: أيها المؤمنون تريدون بأسراكم من المشركين عرض الدنيا وهو: الفداء، وهذا العتاب عند كثير من المفسرين يريد به أصحاب النبي ﷺ ممن أشار على النبي ﷺ بأخذ الفداء ومن رضي به والله أعلم.

وقال الإمام القرطبي رحمته الله في تفسير هذه الآية نزلت يوم بدر عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ، والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي ﷺ أسرى قبل الإثخان ولهم هذا الإخبار بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ والنبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد قط عرض الدنيا وإنما فعله جمهور مبشري الحرب فالتويخ والعتاب إنما كان متوجهاً بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية. هذا قول أكثر المفسرين وهو الذي لا يصح غيره. وجاء ذكر النبي ﷺ في الآية حين لم ينه عنه حين رآه من العريش وإذ كره سعد ابن معاذ وعمر بن الخطاب وعيد الله بن رواحة ولكنه عليه السلام شغله بغت الأمر ونزول النصر فترك النهي عن الاستبقاء ولذلك بكى هو وأبو بكر حين نزلت الآيات.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره هذه معاتبته من الله لرسوله وللمؤمنين يوم بدر إذا أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء وكان رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال قتلهم واستئصالهم. اهـ المراد.

قلت: وكلامه وجيه لظاهر الآية ولا نقص في حق النبي ﷺ أن الله يوجهه ويرشده لما فيه المنفعة الكبرى له وللمؤمنين في العاجل والآجل والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآيتان ٦٨ و ٦٩.

الطيالسي ج ٢ ص ١٩: حدثنا سلام عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ: «إن الغنيمة لا تحمل لأحد سود الرؤوس غيركم» وكان النبي ﷺ وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فأكلتها فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ إلى آخر الآيتين. الحديث أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح ج ٤ ص ١١٣، وابن الجارود ص ٣٥٨ وقال المعلق عليه: ورواه أحمد، والنسائي، وابن حبان ص ٤٠٢ من الموارد، وابن جرير ج ١٠ ص ٤٦، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٢٠، والبيهقي ج ٦ ص ٢٩٠، والطحاوي في مشكل الآثار ج ٤ ص ٢٩٢.

قال الحاكم رحمه الله ج ٢ ص ٣٢٩: حدثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق أنبأنا محمد بن شاذان الجوهري ثنا زكريا بن عدي ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن خيثمة قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر فذكروا علياً فشتموه فقال سعد: مهلاً عن أصحاب رسول الله ﷺ فإننا أصابنا دنيا مع رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فأرجوا أن تكون رحمة من عند الله سيقت لنا فقال بعضهم: فوالله إنه كان يبغضك ويسميك الأخنس فضحك سعد حتى استعلاه الضحك ثم قال: أليس قد يجد المرء على أخيه في الأمر يكون بينه وبينه ثم لا يبلغ ذلك أمانته وذكر كلمة أخرى. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الحديث أخرجه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ج ٤ ص ١٥٠.
وأخرجه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٢٠ وقد تقدم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في
سبب نزول: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ أن عمر وافق القرآن في شأن أسارى
بدر.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: لولا ما سبق من علم الله وقضائه وقدره من
إحلال الغنائم والرحمة بهذه الأمة وأنه لا يعذبها عذابا عاما ونبيها فيها ﴿لَمَسَّكُمْ فِيهَا أَهْدَأْتُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾.

وقال ابن جرير رحمته الله: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا بشر بن المفضل عن عوف عن
الحسن في قوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ الآية.

وذلك يوم بدر وأخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغنم والأسارى قبل أن يؤمروا به وكان الله تبارك
وتعالى قد كتب في أم الكتاب المغنم و الأسارى حلال لمحمد وأمه ولم يكن أحله لأمة قبلهم
وأخذوا المغنم وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك قال الله: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾
يعنى: في الكتاب الأول أن المغنم و الأسارى حلال لكم ﴿لمسكم فيها أخذتم عذاب عظيم﴾
قلت: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم إلى الحسن.

ورواه بسند آخر صحيح عن عوف عن الحسن بنحوه، وينحو هذا قال ابن جرير وغيره من المفسرين رحمهم الله.

وقال آخرون معنى ذلك ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ أي: لأهل بدر لا يعذبهم لمسههم عذاب عظيم فقد سبق أنه تعالى قال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وإن أخطئوا فإنه يوفقهم للتوبة والأعمال الصالحة.

قوله تعالى:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية ٧٥.

الطيالسي ج ٢ ص ١٩: حدثنا سليمان عن سماك^(١) عن عكرمة عن ابن عباس قال:

أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزلت: ﴿وَأُولُوا

الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب.

الحديث رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٨: رجاله رجال

الصحيح، ورواه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٢٥، ورواه الحاكم من حديث الزبير بن العوام

وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث الزبير وفيه

عيسى بن الحارث لم أجد ترجمته في تهذيب التهذيب ولا تعجيل المنفعة ولا الميزان

واللسان لكن في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٦ ص ٢٧٤ عيسى بن الحارث روى

عن.... وروى عنه أبو شيبه جد ابن أبي شيبه، أنا عبد الرحمن قال: سألت عنه أبا زرعة

فقال: لا بأس به. فلا أدري أهو هو أم لا. وهو عند ابن جرير: فنزلت: ﴿وَأُولُوا

الأرحام﴾ وعند الحاكم فينا نزلت هذه الآية.

(١) رواية سماك عن عكرمة مضطربة ولكن الحديث يشهد له حديث الزبير ويرتقي به إلى الصحة

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ .. ﴾ المراد بهم: العصبه وغيرهم من القرابة من العمات والخالات وبنات الأخ وأولاد الأخت ونحوهم لعموم الآية وبعض أهل العلم يخصها بالعصبه. قال الحافظ القرطبي رحمته الله: واختلف السلف ومن بعدهم في توريث ذوي الأرحام وهو من لا سهم له في الكتاب في قرابة الميت وليس بعصبه كأولاد البنات وأولاد الأخوات وبنات الأخ والعمه والخالة والعم أخ الأب لأم والجد أبي الأم والجدة أم الأم ومن أدلى بهم، فقال قوم: لا يرث من لا فرض له من ذوي الأرحام. وروي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وابن عمر ورواية عن علي وهو قول أهل المدينة، وروي عن مكحول والأوزاعي وبه قال الشافعي رحمته الله: وقال بتوريثهم: عمر بن الخطاب وابن مسعود ومعاذ وأبو الدرداء وعائشة وعلي في رواية عنه وهو قول الكوفيين وأحمد وإسحاق واحتجوا بالآية وقالوا: وقد اجتمع في ذوي الأرحام سببان: القرابة، والإسلام، فهم أولى ممن له سبب واحد وهو الإسلام. اهـ المراد.

قلت: وهذا التعليل قوي يقوي عموم الآية وهذا القول هو الذي رجحه الإمام ابن كثير في تفسيره رحمته الله فقال: وأما قوله تعالى: ﴿بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ أي في حكم الله، وليس المراد بقوله: ﴿وأولوا الأرحام﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا هم عصبه بل يدلون بوارث كالخالة والخال والعمه وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ويعتقد ذلك صريحا في المسألة بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد على أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بها أولا وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم

.....
 الخصاص ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث قالوا فلو كان ذا حق لكان ذا فرض في كتاب الله مسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا والله أعلم. اهـ.

قلت: ومما يؤيد القول بتوريث ذوي الأرحام من غير العصبية قوله ﷺ: « الخال وارث من لا وارث له ». وهو من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. رواه الترمذي [٢١٠٣] وابن ماجه [٢٧٣٧] والإمام أحمد في المسند ج ٢٨/١ وإسناده قابل للتحسين فيه عبد الرحمن بن الحارث بن عباس بن أبي ربيعة مختلف فيه وقد حسن الترمذي هذا الحديث بقوله حسن صحيح والحافظ قال فيه صدوق له أوهام فهو عندي حسن وله شواهد، وقال الشيخ الألباني: صحيح كما في الإرواء [١٧٠٠] وذكر له شواهد والله أعلم.

سورة التوبة

قوله تعالى:

﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ الآية ١٩ .

مسلم ج ١٣ ص ٢٥: حدثني حسن بن علي الحلواني حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام قال: حدثني النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمار المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الآية إلى آخرها. وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا يحيى بن حسان حدثنا معاوية أخبرني زيد أنه سمع أبا سلام قال: حدثني النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي توبة. الحديث أخرجه أحمد ج ٤ ص ٢٦٩ وقال الحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٢ قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه به وأخرجه ابن جرير ج ١٠ ص ٩٥ من الطريقين إلى النعمان وأخرجه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٣٥.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ وهذا الحديث بين أن الاختلاف في التفاضل في الأعمال كان بين المسلمين، فبعضهم كان يرى أن سقاية الحجاج وإعطائهم الماء، وعمارة المسجد الحرام أفضل من الجهاد في سبيل الله فأخبرهم الله أن الإيمان بالله والجهاد في سبيله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وإن كانت هذه الأعمال كلها فاضلة لكن الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله أفضل لأن في الجهاد دفاعاً عن الدين وإذلاً للمشركين ونشراً للإسلام بين الناس في أقطار الأرض فكان أفضل، ولهذا الصحابة  لم يبقوا في المسجد النبوي والمسجد الحرام يصلون ويعتكفون ويسقون الحجيج بل كثير منهم فتحوا بلاد الروم وبلاد فارس ووصلوا إلى بلاد بعيدة حين عرفوا أن الجهاد ذروة سنام الإسلام وينبغي للشخص أيضاً أن يعمل ما تيسر له فإن كان يقدر على الجهاد فهو حسن وأجره كبير وإن كان يقدر على سقاية الحجيج فليعمل وغيرهما من الأعمال وجاء عن بعض السلف أن التفاخر كان من المشركين على بعض المسلمين فرد الله عليهم بالآية ولهذا قال في آخرها ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

ولهذا قال القرطبي رحمته الله: وظاهر هذه الآية مبطله قول من افتخر من المشركين بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. انتهى المراد.

لكن ظاهر حديث الباب يثبت أن التفاخر كان بين المسلمين، ولهذا زجرهم عمر ، ولا يمنع أيضاً أن المفاخرة وقعت من بعض المشركين بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فتكون الآية نزلت بسبب الأمرين والسببين والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

الآية ٣٤.

البخاري ج ٤ ص ١٥: حدثنا على سمع هشام أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها فكثر على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت.

الحديث أعاده البخاري في كتاب التفسير ج ٩ ص ٣٩٣، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول والطبري ج ١٠ ص ١٢٢ وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٤٥.

التعليق:

وقوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الكنز هو اسم للمال وقيل: الكنز هو المال المدفون يدخره صاحبه للدهر هذا هو الأصل ثم تجاوزوا في ذلك فأطلق على المال المدخر ولو على وجه الأرض، ومنه حديث « ورأيت أني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ».

والحديث في الصحيح والكنز الأحمر هو: الذهب، والأبيض هو: الفضة، ولكن إذا أدى المسلم

زكاته لم يذم ولا يكون كنزًا يستحق صاحبه العقوبة، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كل مال

أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا وكل مال لم تؤدَّ زكاته فهو كنز الذي ذكره الله في القرآن

يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفونًا. رواه ابن جرير في تفسيره وهو صحيح على شرط الشيخين

وله طرق أخرى وجاء عن غيره من المفسرين بنحوه كما عند ابن جرير ورجح ابن جرير رحمته الله

قول ابن عمر.

وقول معاوية رضي الله عنه: إنها نزلت في أهل الكتاب خاصة. وخالفه أبو ذر رضي الله عنه وقال: إنها

نزلت في المسلمين وأهل الكتاب، وهذا هو الصحيح لأنه قال: ﴿والذين يكتزون الذهب

والفضة..﴾ فالذين: مرفوع على الابتداء، وأيضًا جاءت أحاديث تبين أن الوعيد شامل لكل كانز،

وهو خطاب للمؤمنين، منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من آتاه الله مالًا فلم

يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني -

شذقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك»، ثم تلا (آل عمران): ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الآية.

أخرجه الإمام البخاري [١٤٠٣] في الزكاة وأخرجه في مواضع أخرى.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر زكاة الإبل والبقر.. ثم قال: «ولا

صاحب كنز لا يفعل فيه بحقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه فإذا فر منه

فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده فيه فيقضمها قضم

الفحل». رواه مسلم في الزكاة ج ٧ ص ٧٠ قال النووي في شرح مسلم الشجاع الحية الذكر،

والأقرع الذي تمعّط شعره لكثرة سمه وقيل الشجاع الذي يواثب الراجل والفارس ويقوم على

ذنبه وربما بلغ رأس الفارس ويكون في الصحاري. اهـ. فهذان الحديثان يؤيدان قول أبي ذر رضي الله عنه والآية وإن كانت تخبر عن بني إسرائيل ففيها التحذير لنا معشر المسلمين أن لا نقع فيما وقعوا. لكن قول معاوية رضي الله عنه صواب من جهة أنه يجوز للمسلم أن يدخر المال إذا أدى زكاته، وأقول: كم من أموال اليوم في البنوك ومخازن الناس لا يؤدون زكاتها وهي كثيرة جداً بل بعضها مودعة في بلاد الكفر وفي الأخير كثير منهم لا يحصل عليها يأخذها المشركون عليه والله المستعان، والجزاء من جنس العمل ونستغفر الله العظيم من كل ذنب.

قوله تعالى:

﴿ وَمَنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ الآية ٥٨.

البخاري ج ١٥ ص ٣٢٠: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال، «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل». قال عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه، قال: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آبتهم رجل إحدى يديه أو قال: ثديه مثل ثدي المرأة أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد أشهد سمعت من النبي ﷺ وأشهد أن عليًا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته رسول الله ﷺ قال: فنزلت فيهم ﴿ وَمَنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾.

الحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف ج ١٠ ص ١٤٧ وابن جرير ج ١٠ ص ١٥٧ والواحدي في أسباب النزول وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٥٧.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ أي: ومن المنافقين من يلزمك يا محمد، وهذه من صفاتهم الذميمة المقيتة، ومعنى: ﴿ يلزمك ﴾ يعيبك ويطعن عليك بأنك لم تعطه يقال فلان لزم فلانا أي عابه وقال بعضهم: اللزم أصله الإشارة بالعين ونحوها، والهمز مثل اللزم، فبعض الناس لا يرضى عنك إلا إذا أعطيته وإن لم يستحق العطاء، وهذا من شر الناس كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو غير ذلك ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلاً لدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعطه منها لم يف. » متفق عليه ولفظه لمسلم برقم [١٠٨].

فالمؤمن الصادق يترفع عن مثل هذه الصفات الذميمة والمحرمة، وتجد بعض المسلمين اليوم يتشبهون بالمنافقين في ذم من لم يعطهم وإن كان منعه لهم بحق، فإن أعطاهم مدحوه ورفعوه فوق منزلته. والله المستعان.

قوله تعالى:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ الآية ٦٥.

ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٦٣: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبين عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه ج ١٠ ص ١٧٢ وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٦٤ من حديث كعب بن مالك.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: يا محمد لئن سألت هؤلاء المنافقين لما قلتهم هذا وتفوهتم به؟ لقالوا لك: إنما كنا نخوض ونلعب أي ليس من جد وإنما هو هزل فرد الله عليهم، قد كفرتم، على كل حال سواء كنتم تستهزئون جادين أو هازلين ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ فإن الاستهزاء بالدين وبآيات الله ورسوله كفر وإن كان القائل مازحاً والعياذ بالله.

قال الحافظ القرطبي في تفسيره: قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يخلوا أن يكون ما قالوه من ذلك جدًّا أو هزلًا وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل، والجهل قال علماءنا انظر إلى قوله ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزْوًا﴾ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴿البقرة ٦٧.

قلت: أما اليوم فبعض الناس صار يسب الله جهرة ويسب الدين وأهله وهذا كفر بلا شك وإن عوتب قال أنا أضحك، وهذا لا ضحك فيه ولا هزل بل الأمر جد والله المستعان. ويجب على ولاية أمر المسلمين أن يؤدبوا مثل هؤلاء يأخذوا على أيديهم.

❦ تنبيه : سبب زائد لم يذكره المصنف:

قوله تعالى:

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ الآية ٧٤.

وهذه الآية لم يذكر لها شيخنا رحمته الله سبب نزول، وقد ثبت ذلك.

قال الحافظ ابن أبي حاتم رحمته الله في تفسيره [١٨٤٣ / ٦]: حدثنا أبي ثنا الحسن بن الربيع ثنا عبدالله بن إدريس قال ابن إسحاق: فحدثني الزهري عن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده كعب قال: لما نزل القرآن فيه ذكر المنافقين وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس: والله لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن أشر من الحمير قال: فسمعها عمير بن سعد فقال: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ وأحسنهم عندي أثرًا أو أعزهم عليّ أن يدخل عليه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن ذكرت ما لتفضحنك ولئن سكت عنها لتهلكني ولأحدهما أشر عليّ من الأخرى فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال الجلاس فحلف بالله ما قال عمير ولقد كذب

.....
 عليّ فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾. وهذا إسناد حسن.

وأبو حاتم هو: محمد بن إدريس إمام كبير، والحسن بن الربيع هو: البجلي القسري، قال أبو حاتم: كان أوثق أصحاب ابن إدريس ووثقه ابن خراش وغيره وروى عنه البخاري ومسلم كما في تهذيب التهذيب، وعبدالله بن إدريس هو: الأودي الزعفراني من رجال الجماعة ثقة، وابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق صاحب السيرة، حسن الحديث ويدلس، ولكنه هنا صرح بالتحديث، والباقون ثقات من رجال الشيخين.

والجلاس هو: ابن سويد بن الصامت، قال الحافظ: إنه تاب وحسنت توبته كما في الإصابة. ومعنى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ قال النقاش: تكذيبهم بما وعد الله من الفتح وقيل: كلمة الكفر، قول الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشر من الحمير، وقال القشيري: كلمة الكفر سب النبي ﷺ والطعن في الإسلام. اه المراد من تفسير القرطبي مع التصرف ١٣١ / ٨٩.

قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية ٧٩.

البخاري ج ٤ ص ٢٥: حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان هو الحكم بن عبد الله البصري حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مرأني وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ الآية.

الحديث أعاده في كتاب التفسير ج ٩ ص ٤٠٠، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة ج ٧ ص ١٠٥، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٧٣، وابن جرير ج ١٠ ص ١٩٦، والطيالسي ج ٢ ص ١٩، وابن حبان كما في الموارد ص ٤١١ والواحدي في أسباب النزول.

التعليق:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذه من صفات المنافقين الذين يلمزون المتطوعين في الصدقات على كل حال فإن تصدقوا بالكثير قالوا مرأين، وإن تصدقوا بشيء قليل بقدر حالهم وطاقتهم قالوا الله غني عن هذا فهم ينفرون عن الخير على كل حال والمطوعون هم الذين كانوا ينفقون على الفقراء والمساكين وذوي الحاجة ولم يكن عليهم واجباً مثل الزكاة وإنما كانوا يتصدقون تبرعاً وكرماً، واللمز هو الطعن عليهم والعيب.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيكَ بِهِ الْآيَةُ ۗ﴾ الآية ٨٤.

البخاري ج ٣ ص ٣٨١: حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أبيي لما توفي جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له. فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه، فقال: آذني أصلي عليه، فأذنه فلما أراد أن يصلي عليه جذبته عمر رضي الله عنهما فقال: أليس الله قد نهاك ^(١) أن تصلي على المنافقين، فقال: «أنا بين خيرتين» قال الله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فصلي عليه فنزلت: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾.

الحديث ذكره البخاري في مواضع من صحيحه منها ٤٠٣ من الجزء التاسع وص ٤٠٩ وج ١٢ ص ٣٨٠، ومسلم ج ١٥ ص ١٦٧ وج ١٧ ص ١٢١ والترمذي ج ٤ ص ١١٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي ج ٤ ص ١٣، وابن ماجه رقم ١٥٢٣، والإمام أحمد ج ٢ ص ١٨، وابن جرير ج ١٠ ص ٢٠٥، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٧٦. وأخرجه البخاري ج ٣ ص ٤٧١ وج ٩ ص ٤٠٧، والترمذي ج ٤ ص ١١٨، والإمام أحمد ج ١ ص ١٦، وابن جرير ج ١٠ ص ٢٠٥، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٧٧، وابن

(١) محصل الجواب أن عمر فهم من قوله: ﴿فلن يغفر الله﴾ منع الصلاة عليهم فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ألا يمنع وأن الرجاء لن ينقطع. اهـ. فتح أي محصل جواب الإشكال حيث قال: أليس الله قد نهاك.

إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٥٢ من حديث عمر نحوه.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ هذا نهي من الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ أن لا يصلي على أحد من المنافقين الذين علم نفاقهم إما بتخلفهم عن الخروج معه، أو بالسخرية بالمؤمنين وغير ذلك من صفاتهم الذميمة.

وفي الآية تحريم الصلاة على الكافر إذا مات والمنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر إذا علم ذلك منه لأن الصلاة استغفارًا ودعاء وهم لا يستحقون المغفرة، والله يقول أيضًا ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ كما يأتي.

ومما يتعلق بقصة ابن سلول ما ذكره البخاري فقال: باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين.

[١٣٦٦] حدثنا يحيى بن بكير حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وَتَبَّتْ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أَبِي وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا أَعَدَدَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «أَخْرَعَنِي يَا عُمَرُ» فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ قَالَ: «إِنِّي خَيْرٌ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يَغْفِرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَاتَانِ مِنْ بَرَاءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدَ مِنْ جَرَأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهِ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ. وَأَخْرَجَهُ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْمِ [٤٦٧١].

عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبر عبد الله بن أبي فأخرجه من قبره فوضعه على ركبته ونفت عليه من ريقه وألبسه قميصه فالله أعلم. رواه مسلم في كتاب صفة المنافقين برقم [٢٧٧٣].

وقال الحافظ في الفتح: ٨ / ٣٤٠ تحت باب ١٣ من التفسير قال: وفيه جواز الشهادة على المرء بما كان عليه حياً وميتاً لقول عمر إن عبد الله منافق. ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله ويؤخذ أن المنهي عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم لا التعريف وأن المنافق تجرى عليه أحكام الإسلام الظاهرة وأن الإعلام بوفاة الميت مجرداً لا يدخل في النعي المنهي عنه وفيه جواز سؤال الموسر من المال من ترجي بركته شيئاً من ماله لضرورة دينية، وفيه رعاية الحي المطيع بالإحسان إلى الميت العاصي، وفيه التكفين بالمخيط وجواز تأخير البيان عن وقت النزول إلى وقت الحاجة والعمل بالظاهر إذا كان النص محتملاً، وفيه: جواز تنبيه المفضول للفاضل على ما يظن أنه سها عنه وتنبيه الفاضل للمفضول على ما يشكل عليه وجواز استفسار السائل المستول وعكسه عما يحتمل ما دار بينهما، وفيه جواز التبسم في حضور الجنائز عند وجود ما يقتضيه، وقد استحب أهل العلم عدم التبسم من أجل تمام الخشوع فيستثنى منه ما تدعو إليه الحاجة وبالله التوفيق. اهـ.

قوله تعالى:

﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُتْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الآيتان ٩٥ و ٩٦.

ابن جرير ج ١١ ص ٣: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يقول لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علا نيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، وَصَدَقْتُهُ حَدِيثِي فقال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا؟ حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد: ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُتْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

الحديث رجاله رجال الصحيح ويونس شيخ الطبري هو ابن عبد الأعلى ويونس شيخ ابن وهب وهو ابن يزيد الأيلي. قال شيخنا حفظه الله: ونحوه في صحيح البخاري في ختام حديث كعب بن مالك في كتاب المغازي باب غزوة تبوك.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أي: المنافقون الذين تخلفوا عن غزوة تبوك أنهم ما تخلفوا إلا لعذر ولحاجة وهذه الأبيان كانت بعد الاعتذار ليقبل منهم.

﴿إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إذا رجعتم إليهم في المدينة من غزوكم. ﴿لِتُعْرَضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تعاتبوهم ولا تعيروهم. ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: فلا تؤنبوهم ولا تعاتبوهم فهم اختاروا لأنفسهم الكفر والضلال فخلوهم. ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قال ابن جرير: أي: إنهم نجس. وقال القرطبي: أي: عملهم رجس، والتقدير: إنهم ذوو رجس أي: عملهم قبيح.

قلت: فاعتقادهم رجس وعملهم رجس كما قال الله عن المشركين: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وقال في الخمر والأنصاب: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي بسبب عملهم القبيح مقرهم في جهنم، لهذا قال:

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي يعملون ويقترفون، و (ما) يحتمل أنها مصدرية أي: بكسبهم ويحتمل أنها بمعنى الذي، أي بالذي كانوا يكسبونه.

قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية ١١٣ .

البخاري ج ٣ ص ٤٦٥: حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن صالح عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنَّه عنك» فأنزل الله تعالى فيه الآية. الحديث أخرجه في مواضع من صحيحه منها ج ٨ ص ١٩٤ وفيه فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ وج ٩ ص ٤١١ وج ١٠ ص ١٢٤، وأخرجه مسلم ج ١ ص ٢١٤، والنسائي ج ٤ ص ٧٤، وأحمد ج ٥ ص ٤٣٣ وابن جرير ج ١١ ص ٤١، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٧٩ و ٩٨، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٠٢ وفيه نزول: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية وليس فيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ما ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، لأنهم ليسوا أهلاً للمغفرة فالله عز وجل قد حرم على المشركين الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾. وقال الإمام مسلم رحمه الله [٩٧٦]:

حدثنا يحيى بن أيوب ومحمد بن عباد واللفظ ليحيى قالوا: حدثنا مروان بن معاوية عن يزيد يعني ابن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

وهذه الآية نزلت في أبي طالب وأنه مات كافراً وعليه جماهير المفسرين والعلماء. وهذا دليل واضح في منع الاستغفار لمن مات مشركاً ولو كان من الأقربين.

وقال الإمام الشوكاني: وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاتة للكفار وتحريم الاستغفار لهم والدعاء بها لا يجوز لمن كان كافراً. اهـ. من تفسيره.

وقال الإمام النووي وأما الصلاة على الكافر والدعاء له بالمغفرة فحرام بنص القرآن والإجماع. اهـ. من المجموع كتاب الجنائز ج ٥ ص ١٢٠.

ونأسف لما نسمع من بعض الإعلاميين من المسلمين يستغفرون لبعض المشركين حين الموت من رؤساء وعلماة نصارى ورهبان.

بل بعض من يدعوا إلى الإسلام بزعمه يترحم على بعض دعاة النصرانية ويستغفر له

.....

وهذا من الضلال المبين، فالواجب على مثل هؤلاء الدعاة أن يتعلموا عند علماء السنة ولا يتصدون
 للدعوة وهم لا يعلمون سنة النبي ﷺ، ولا تكفي الشهرة فقد تضل أمم بسببها فلا بد من الجأء
 من المشركين أحياء وأمواتا، والله المستعان.

قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ الآيات ١١٧-١١٩.

البخاري ج ٩ ص ١٧٦: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي

أنا قادر عليه فلم يزل يتهادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز. فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدرتهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم وأحزنتني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بش ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ. قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرتني همي، فطفت أنذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علا نيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله فحجته فلما سلمت عليه تَبَسَّمَ تَبَسَّمَ المَغْضَبِ ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك» فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، والله لقد أعطيت جدلاً

ولكنني و... علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن
يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله
ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول
الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك» فقمتم وثار رجال من بني
سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا
تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك
استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب
نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقليل لهما
مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي
فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيها أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى
رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس
وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين
ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتها يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم
وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني
أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل
حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على
صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس
مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت
عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله

ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرت به بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعترها ولا تقر بها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع صاح بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا

وعرفت أنه قد جاء فرج وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزع ثوبي فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيلتقاني الناس فوجًا فوجًا يهنوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت يا رسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله قال رسول الله ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فإني أمسك سهمي الذي بخير فقلت يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد

أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبه فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾ إلى قوله: ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وليس الذي ذكر الله سبحانه وتعالى حينما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

الحديث ذكره أيضًا في كتاب التفسير مختصرًا ص ٤١٢ من هذا الجزء، وأخرجه مسلم ج ١٧ ص ٨٧، والترمذي ج ٤ ص ١٢١ مختصرًا، والإمام أحمد ج ٣ ص ٤٥٧، وعبد الرزاق في المصنف ج ٥ ص ٣٩٧، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٣١، وابن جرير ج ١١ ص ٥٨، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٠٥.

هذا وقد ذكرت هذا الحديث بتمامه لما فيه من الفوائد والعبر ولأنه كما يقول الحافظ ابن كثير قد تضمن تفسير هذه الآية بأحسن الوجوه وأبسطها.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ في هذه الآية فضيلة عظيمة للمهاجرين والأنصار وتقديم المهاجرين على الأنصار يدل على أنهم أفضل من الأنصار وهناك أدلة أخرى وقال الحافظ ابن جرير: يقول تعالى ذكره: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته، نبيه

محمد ﷺ والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام وأنصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء. اهـ.

وقوله ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي من بعد ما كاد يميل عن الحق ويشك في الدين لما حصل له من الشدة والمشقة والصعوبة. ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي أهمهم الحق والرجوع إليه ووقفهم ورزقهم الهدى والثبات على الحق، وهذا من فضل الله تعالى عليهم، أما المنافقون فلم يرزقوا التوبة بل حُذِلُوا ولم يوقفهم الله للتوبة نسأل الله العافية.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ أي في وقت العسرة وهي غزوة تبوك فكان فيها شدة وصعوبة على الناس من النفقة والمركوب والحر الشديد والخوف وغير ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ أي تخلفوا عن المنافقين فلم يعتذروا بالباطل بل صدقوا، والثلاثة هم، كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله عنه، وفي قصتهم فضل الصدق والثبات على الحق وفيه جواز هجر أهل المعاصي إذا كان هناك مصلحة دينية ولم يترتب على ذلك شر أكبر ولو كان الهجر أكثر من ثلاثة أيام وإنما نهى النبي ﷺ أن يهجر الرجل أخاه فوق ثلاث، إذا كان على أمر دنيوي وحضوض نفسية، وهذا الحديث يدل على جواز هجر أهل البدع، وقد جعله بعض أهل العلم أصلاً في هذا الباب وهو كما قال. والحمد لله.

سورة هود

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْفُونَ نُبَاتِبُهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الآية ٥.

البخاري ج ٩ ص ٤٢٠: حدثنا الحسن بن محمد بن صباح حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورَهُمْ﴾ قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم.

حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج وأخبرني محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورَهُمْ﴾ قلت: يا أبا العباس ما تنتوني صدورهم؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحي، أو يتخلى فيستحي، فنزل ذلك فيهم.

الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٥٠ بنحوه وأخرجه ابن جريج ج ١١ ص ١٨٥ وليس عنده ذكر نزول الآية.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يخنون صدورهم يكتمونها.

وقوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْفُونَ نُبَاتِبُهُمْ﴾ أي: يغطون أنفسهم أو رؤوسهم بنياتبهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وفي الآية سعة علم الله تعالى وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وإن دقت، فينبغي للمسلم أن يراقب الله في السر والعلانية.

.....

والمصنف رحمه الله ذكر حديث ابن عباس في سبب نزول الآية وهو التفسير الذي ينبغي أن يتبع وإن كان هناك أقوال أخرى لبعض أهل العلم في التفسير، ولكن ليست مرفوعة صحيحة فيما أعلم، فيقدم تفسير ابن عباس رضي الله عنه، فهو مرفوع لأنه ذكر سبب النزول، وأيضاً لقب بترجمان القرآن لدعاء النبي صلوات الله عليه له «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل».

وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال: «تثنوني صدورهم» الشك في الله وعمل السيئات، يستكبر أو يستكن من الله والله يراه «يعلم ما يسرون وما يعلنون» رواه ابن جرير وفيه رجل مبهم. وروى عن غير واحد من المفسرين، والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ الآية ١١٤.

البخاري ج ٢ ص ١٤٨: حدثنا قتيبة قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. فقال الرجل يا رسول الله: ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم». الحديث أعاده أيضًا في كتاب التفسير ج ٩ ص ٤٤٧ وأخرجه مسلم ج ١٧ ص ٧٩ وص ٨٠ والترمذي ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ من طريقين إلى ابن مسعود وفي كليهما يقول: حسن صحيح، وابن ماجه رقم ١٣٩٨ و ٤٢٥٤ وعزاه الحافظ ابن كثير إلى النسائي وأخرجه أحمد ج ١ ص ٤٠٦ وص ٤٣٠ وص ٤٤٥ وص ٤٤٩ وص ٤٥٢ والطيالسي ٢ ص ٢٠، وابن جرير ج ١٢ ص ١٣٥ و ١٣٤ والواحدي في أسباب النزول والخطيب في موضع أوهام الجمع والتفريق.

قال الإمام الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ١٢٨: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا يزيد بن هارون أنا قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلت: إن في البيت تمرًا أطيب منه فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدًا فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدًا فلم أصبر فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «أخلفت

غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟» حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار قال: وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحى الله إليه: ﴿واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾.

قال أبو اليسر: فأتيته فقرأها على رسول الله ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة.

هذا حديث حسن صحيح غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع وفي الباب عن أبي أمامة وائلة بن الأسقع وأنس بن مالك وأبو اليسر اسمه كعب بن عمرو.

الحديث حسن لغيره لأن قيس بن الربيع قد توبع كما سيأتي إن شاء الله.

والحديث أخرجه ابن جرير ج ١٢ ص ١٣٧ والبخاري في التاريخ ج ٧ ص ٢٢١ من طريق شريك عن عثمان بن موهب به. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول من طريق شريك به. وقد تصحف عند الواحدي إلى سويد والصواب ما أثبتناه والحمد لله.

قال البزار كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٥٢: حدثنا يوسف بن موسى ومحمد بن عثمان

بن كرامة ثنا عبيد الله بن موسى ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله بن

عبدالله عن ابن عباس أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان يحب امرأة فاستأذن النبي

ﷺ في حاجة فأذن له فانطلق في يوم مطير فإذا هو بالمرأة على غدِير ماء تغتسل فلما

جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرك ذكره فإذا هو به هدبة فقام فأتى النبي

ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «صل أربع ركعات» فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ الآية. قال البزار: لا نعلم بهذا اللفظ إلا عن ابن عباس ولا نعلم رواه عن ابن عيينة إلا عبيد الله بن موسى.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ﴾ أي: بالغداة والعشي، ويعني بالغداة صلاة الفجر وهذا قول جمع كبير من المفسرين وصلاة العشي قيل: صلاة الظهر والعصر.

فمن مجاهد في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ﴾ قال: الفجر وصلاتي العشي يعني الظهر والعصر. رواه ابن جرير وسنده صحيح إليه وروى عن محمد بن كعب مثله.

وقيل في صلاتي العشي: هي المغرب والعشاء، وقيل: هي العصر وحدها.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: لم يختلف أحد من أهل التأويل في أن الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة وخصها بالذكر لأنها ثمانية الإيمان وإليها يفرع في النوائب وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فرع إلى الصلاة. اهـ.

﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: في زلفات من الليل والزلف هي ساعات الليل قريبة بعضها من بعض،

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ صلاة العتمة. رواه ابن جرير وفي سنده

ضعف. وقال عبيد الله بن أبي يزيد كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ويقرأ ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾

رواه ابن جرير وسنده صحيح إلى عبيد الله. وصح عن الحسن البصري أيضًا أنها العتمة. وجاء عن

مجاهد مثله. رواهما ابن جرير أيضًا.

وقد جاء عن مجاهد والحسن أيضًا ﴿زُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: المغرب والعشاء، وكذلك قتادة.

.....

وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً قَبَّلَ امرأة ولم يسمه، فالرواية الثانية تبين أنه أبو اليسر. وأما قوله في حديث أبي اليسر: أنه أخذها إلى بيته. وفي حديث ابن عباس أنه وجدها على الماء تغتسل، فيحتمل أنها حادثان وقعت، فنزلت الآية بسببها، ويحتمل أن الآية نزلت مرتين. والله أعلم.

وفي هذه القصة فضل الصلاة وأنها من أعظم مكفرات الذنوب، فينبغي المحافظة عليها والإكثار من النوافل، وفعل الخيرات يكفر الذنوب والسيئات ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾.

سورة يوسف

قوله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية ٣.

ابن راهوية كما في المطالب العالية ص ٤٤٠: حدثنا عمرو بن محمد حدثنا خلاد الصفار عن عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد في قول الله عز وجل: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ الآية. قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ إلى قوله: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ الآية. فتلاها رسول الله ﷺ زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها﴾ الآية (١).

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا خلاداً الصفار وهو ثقة وقد تركت بقية الحديث لأنه ليس متصلًا، والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الزوائد ص ٤٣٢، وابن جرير ج ١٢ ص ١٥٠، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٣٤٥ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

(١) في المطالب العالية المطبوع ج ٣ ص ٣٤٣ قال: كل ذلك يؤثرون بالقرآن، وفي المستدرک كل ذلك

يؤمر بالقرآن، وفي موارد الظمان كل ذلك يؤمرون بالقرآن.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ أي: يا محمد نحن نخبرك ونقص عليك من أنباء وأحوال من قد مضى من القرون أحسن القصص وأطيب الحكايات، ففي هذه القصص: العبر والمواعظ وأن العاقبة للتقوى، فهي أخبار صدق وعدل، والقصص في القرآن لا يوجد مثلها في كتب أخرى في حسن السياق والصدق والعبر، فلا يحتاج إلى القصص الإسرائيلية التي لا أسانيد لها.

قال الإمام القرطبي رحمته الله: وأصل القصص تتبع الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أي تتبعي أثره، (القصص) فالقاص يتبع الآثار فيخبر بها، والحسن يعود إلى القصص لا إلى القصة، يقال: فلان حسن الاقتصاص للحديث، أي جيد السياقة له.

قلت: فقصه يوسف مع أبيه وإخوانه عليهم السلام في سياقتها من الحسن والبلاغة ما لا يستطيع وصفه، والقصة أيضاً حسنة وعجيبة وفيها من العبر والحكم شيء كثير، مثل: أن العاقبة للمتقين، وأن الصبر محمود عواقبه، وأن الحيلة لا تجدي صاحبها شيئاً، وأن الله إذا أراد أمراً أتته، وأن الأنبياء معصومون من الكبائر، وأن العفة غبها رفعة في الدنيا والآخرة، وأن الكيد من النساء عظيم.

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَنْ الْعَافِلِينَ ﴾ أي لم يكن يخطر هذا ببالك ولم يكن في ذهنك ولا تعلم شيئاً منه.

سورة الرعد

قوله تعالى:

﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾

الآية ١٣.

قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو الشهير بالبخاري كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٥٤: حدثنا عبدة بن عبدالله أنبا يزيد بن هارون أنبا ديلم بن غزوان ثنا ثابت عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى فقال: أيش ربك الذي تدعوني إليه من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاده النبي ﷺ الثانية فقال مثل ذلك فأرسله إليه الثالثة فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ «إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته» فنزلت هذه الآية: ﴿ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

قال البخاري: ديلم بصري صالح.

الحديث أخرجه ابن أبي عصام^(١) في كتاب السنة ج ١ ص ٣٠٤ فقال: حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا ديلم بن غزوان به.

وأخرجه الإمام أحمد بن علي بن المشني أبو يعلى رحمته الله ج ٦ ص ٨٧ فقال: حدثنا محمد

بن أبي بكر وغيره قالوا: حدثنا ديلم بن غزوان به.

وقال الإمام البيهقي رحمه في كتاب الأسماء والصفات ص ٢٧٨: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو نا أبو العباس الأصم نا يحيى بن أبي طالب أنا يزيد بن هارون أنا ديلم بن غزوان به.

وقال الهيثمي رحمته الله في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٤٢: رواه أبو يعلى والبزار بنحوه إلا أنه قال إلى رجل من فراعنة العرب وقال الصحابي فيه: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك. وقال: سحابة فرجع إليه الثالثة فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعث الله سحابة جبال فرعدت وأبرقت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه. وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط وقال: فرعدت وأبرقت. ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف. اهـ.

قال أبو عبد الرحمن أبو يعلى رواه من طريقين من الطريق التي ليس فيها علي بن أبي سارة وقد أشرت إليها ومن طريق علي بن أبي سارة ج ٦ ص ١٨٣. وأخرجه النسائي في التفسير ج ١ ص ٩٩ وعلي بن أبي سارة شديد الضعف قال الحافظ الذهبي في الميزان: قال أبو داود: تركوا حديثه وقال البخاري: فيه نظر وقال أبو حاتم:

ضعيف ثم ذكر الحافظ الذهبي رحمته الله أن هذا الحديث مما أنكر عليه.

فعلى هذا فالاعتماد على الطريق الأولى وهي ترتقي إلى الحجية والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَرُسُلُ الصَّوَاعِقِ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ ذكر المصنف رحمته الله هذا السبب وهو الصحيح، وقيل: نزلت في أربد بن ربيعة أخي لبيد بن ربيعة لأنه قدم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك على النبي صلوات الله يريدان شراً برسول الله صلوات الله فكفاه الله شرهما ثم أرسل الله صاعقة على أربد. رواه ابن جرير بسند معضل فهو ضعيف.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير ١٠ ص ٣٨٩-٣٨١ [١٠٧٦٠] وفي سنده عبد العزيز بن عمران الزهري المدني قال البخاري: لا يكتب حديثه وقال النسائي وغيره: متروك كما في الميزان للذهبي. و(الصواعق) جمع صاعقة، وهي: نار تحرق، قيل: هي إذا اشتد غضب الرعد الذي هو الملك طار النار من فيه وهي الصواعق. وقيل: هي قطعة من نار تسقط من السماء تحرق ما وقعت عليه بإذن الله تعالى. وقال بعضهم: الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد.

قلت: وهذه الأقوال متقاربة وهو مشاهد كيف تحرق الصواعق الأشياء التي تقع عليها وتقتل، وهي عقوبة من الله تعالى يصيب بها من يشاء ونعوذ بالله من ذلك، وغالباً تأتي مع الأمطار وتراكم السحب أو قبل سقوط المطر.

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ أي: شديد القوة والعقاب وقيل: شديد المكر وقيل: أي شديد الكيد. والآية تشمل جميع هذه المعاني والله أعلم.

سورة إبراهيم

قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الآية ٢٧.

قال النسائي رحمته الله ج ٤ ص ١٠: حدثنا إسحق بن منصور قال: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبيه عن خيشمة عن البراء قال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ قال: نزلت في عذاب القبر.

أخبرنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد قال: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي صلوات الله عليه قال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ قال: نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله وديني دين محمد صلوات الله عليه فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾. ٤٠.

ورواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٢٧ بالسند الأخير.

ورواه البخاري ج ٩ ص ٤٧٥ و ٤٧٦.

التعليق:

وقوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يسددهم ويلهمهم العمل الصالح ويعينهم على الثبات على القول الثابت، وهو لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فيحيون عليها حتى الممات وفي قبورهم أيضًا يوقفهم للإجابة بها حين يُسألون عنها، فيقول الملك: للميت من ربك؟ فيقول: ربي الله، وما دينك؟ فيقول: الإسلام، ومن الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: محمد صلوات الله عليه. وهذا من

فضل الله على المؤمن أن الله يشته على الحق في الدنيا والآخرة وهذا من الجزاء الحسن.

وقال الإمام النسائي رحمه الله ج ٤ ص ٨ أخبرنا عبيد الله بن سعيد قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بِيضَاءٍ فَيَقُولُونَ: أَخْرِجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رُوحِ اللَّهِ وَرِيحَانِ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمَسْكَ حَتَّى أَتَهُ لِيَنَاطِلَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بِبَابِ السَّاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ فَيَقُولُونَ: دَعَاهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ قَالُوا: ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاطِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتَضَرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمَسْحٍ فَيَقُولُونَ: أَخْرِجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فَتَخْرُجُ كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بِبَابِ الْأَرْضِ فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ». وهذا حديث صحيح وله شواهد تزيده قوة.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّيْبِ فَإِنَّهُ الْآنَ يَسْأَلُ». رواه أبو داود في الجنائز [٣٢٢١] وهو حديث صحيح.

وفي الحديث استحباب الاستغفار للميت والدعاء له بالتثبيت بعد الدفن، والأحاديث على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة وإنما هذا مختصر.

تنبيه في سورة الحجر ورد سبب نزول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِرِينَ﴾ الآية ٢٤.

فأخرج الإمام الترمذي [٣١٢٢] والنسائي في تفسيره [٢٩٣] والسنن [٨٧٠] وابن ماجه [١٠٤٦] وأبو داود الطيالسي [٢٧١٢] وأحمد ج ١ ص ٣٠٥ وابن جرير في تفسيره ج ٧/٥١٠ والحاكم

ج ٢/٣٥٣، كلهم من طرق عن نوح بن قيس عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لثلاث يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ هذا لفظ الترمذي، وقال: وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه، ولم يذكر فيه ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح. اهـ.
وأما الحاكم فقال: صحيح الإسناد.

قلت: كيف يكون صحيحًا وفيه عمرو بن مالك النكري روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر، إلا ابن حبان ذكره في الثقات ج ٨/٤٨٧ وقال: يغرب ويخطئ، وترجمته في تهذيب التهذيب، فمثله لا يحسن حديثه لوحده.

وقد ذكر الحاكم طريقًا أخرى لكن في سنده رجل مبهم.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: حديث غريب جدًا وفيه نكارة شديدة.

فأنت ترى أن الترمذي أعله بالإرسال ورجحه وكذا ابن كثير، وسنده فيه جهالة، وأما الشيخ الألباني رحمته الله فصحه في الصحيحة ووجه غرابته ونكارتة.

قلت: لكن هذا إذا كان صحيحًا، والراجح عندي أن الحديث ضعيف والله أعلم، وأنا ذكرته حتى لا يقول قائل: لماذا ما ذكره الشيخ مقبل في أسباب النزول وقد صححه الألباني، فليعلم هذا والحمد لله.

سورة النحل

قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآيةان ٧٥ و٧٦.

ابن جرير ج ١٤ ص ١٥١: حدثنا ابن الصباح البزار قال: حدثني يحيى بن إسحاق السيلحيني قال: حدثنا حماد عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن إبراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله: ﴿مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾ إلى قوله: ﴿وهو على صراط مستقيم﴾. قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأتي بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه وكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما.

الحديث رجاله رجال الصحيح.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن، فالكافر الذي عبد غير الله مثل العبد المملوك الذي لا يستطيع أن يصنع شيئاً لسيدته، والمؤمن هو مثل العبد المرزوق رزقاً حسناً الذي ينفق منه ويتصدق بالليل والنهار سراً وعلانية ويطيع الله، وبنحو هذا قال قتادة: وهو الذي ذكره ابن جرير واختاره وذكره ابن كثير وقال: قال ابن أبي نجيع: عن مجاهد هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً بيناً لا يجهله إلا غبي، قال الله تعالى: ﴿الحمد لله بل

أكثرهم لا يعلمون ﴿. اهـ.

والمثل الثاني وهو قوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هذا المثل ضربه الله تعالى لنفسه الكريمة مع الأوثان والآلهة التي تعبد من دون الله، فالأبكم هو الصنم، والله عز وجل هو الذي ينعم على الخلق ويأمر بالعدل والقسط ولا يعجزه شيء، وأما الأصنام فإنها لا تنفع عابديها ولا تضرهم ولا تسمع ولا تعقل، فالصنم مثل رجل مملوك لا يستطيع أن ينفع سيده بشيء بل هو عالة على سيده ومولاه وكلفه أينما يوجهه أي يبعثه لا يأتي بخير، وأما الله فهو النافع الضار. وقيل: هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والأول هو الحق والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية ١٠٣.

ابن جرير ج ١٤ ص ١٧٨: حدثني المثنى قال: حدثنا عمرو بن عون قال: أخبرنا هشيم عن حصين هو ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل غير اليمن وكانا طفلين وكانا يقال لأحدهما يسار والآخر جبر فكانا يقرآن التوراة وكان النبي ﷺ ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.

الحديث^(١) رجاله رجال الصحيح إلا المثنى وهو ابن إبراهيم الأملي، فإني لم أجد من ترجم له، لكنه قد تابعه سفيان بن وكيع وفيه كلام.

أما هشيم فهو ابن بشير وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث لكنه قد تابعه خالد بن عبدالله وهو الطحان ومحمد بن فضيل، ومن ثم قال الحافظ في الإصابة بعد ذكره هذا الحديث: وحديثاً بعده بسند هذا الحديث وسنده صحيح ج ٢ ص ٤٣٩.

❁ تنبيه:

صحابي الحديث مختلف في اسمه فعند ابن جرير عبدالله بن مسلم وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم عبيد الله بن مسلم ج ٥ ص ٣٣٢ وفي التهذيب كالجرح والتعديل قال:

(١) وأخرجه البيهقي في الشعب ج ١ ص ٩٥.

ويقال عبدالله، وقد أشار الحافظ إلى هذا الاختلاف في الإصابة ج ٢ ص ٤٣٩.
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الحاكم رحمته الله ج ٢ ص ٣٥٧: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمدان ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا آدم بن أبي إياس ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ قالوا: إنما يعلم محمدًا عبد ابن الحضرمي وهو صاحب الكتب فقال الله: ﴿لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ... إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.
هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أُمَّهَاتَهُمْ يَقُولُنَّ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ يخبر الله تعالى عن كذب المشركين ودعواهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه رجل من العجم وهذا كذب وافتراء، وقالوا: إن الذي يتلوه من القرآن ليس من عند الله بل من تعليم غلام أعجمي عنده علم من الكتب الأولى وكان بمكة بين أظهرهم، فرد الله عليهم: ﴿لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أي اللسان الذي يميلون إليه ويدعون أنه يعلم النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة ونحوها، أعجمي وهذا لا يتلاءم مع القرآن، فالقرآن عربي ولا يستطيع يعلمه رجل أعجمي لا يستطيع يقرأه ولا يفهمه فضلًا عن أن يصير معلمًا له وإنما هذا الغلام ممكن يعرف بعض الكلمات العربية التي يتعامل مع القوم بها ويرد عليهم والحمد لله، لم يفلح من كذب هذه الكذبة ولم تنفذ دعواه بل هي ساقطة ورفع الله كتابه وأظهر دينه على جميع الأديان والله أعلم.

قلت: لم يقتصر هذا الادعاء الزائف على كفار قريش، بل نبغت نوابغ في عصور مختلفة من الزنادقة والملحدين وأذئابهم، والمستشرقين فقالوا نفس المقولة الأولى، إن هذا القرآن ليس وحياً من عند الله، وإنما هو اقتباسات اقتبسها النبي ﷺ من التوراة والإنجيل وقوانين أهل الروم، ولكن الله خيب سعيهم وأبطل دعواهم وقبض لهم علماء أفذاذ فطالحة ردوا هذه المقولات وفندوها حرفاً حرفاً، فظهر بطلانها وبيان عوارها والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية ١١٠.

ابن جريج ١٤ ص ١٨٤: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم وقتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية. قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم قال: فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. فكتب المسلمون إليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فكتبوا إليهم بذلك إن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل. الحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ أي إن ربك يا محمد للذين هاجروا وتركوا بلادهم وأموالهم وأهلهم وهاجروا إلى رسول الله ﷺ ابتغاء الأجر من الله تعالى وثبتوا

على الحق وصبروا عليه مع إيذاء المشركين لهم حتى إن بعضهم افتتن ورجع عن دينه ثم إنه ندم وعلم أن الله قبل توبة التائبين فرجع إلى الدين وهاجر وهذا من لطف الله بهم ورحمته فسددهم وأعانهم على الهجرة وحفظهم من كيد الكافرين ثم غفر لهم ذنوبهم ورحمهم وهذا الخير ينال بسبب الأعمال الخيرية العظيمة مثل هذا، والله يختص برحمته من يشاء. وفضل الهجرة إلى الله عظيم وقد قال النبي ﷺ لعمر بن العاص: أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها. رواه مسلم في الإيمان من صحيحه.

وكذلك فضل الجهاد عظيم فمن جاهد الكفار بهاله ونفسه ابتغاء رضوان الله فله أجر عظيم، وكذلك الجهاد بالكلمة والدفاع عن السنة والرد على أهل البدع والأهواء والنصح للمسلمين فهو من الجهاد في سبيل الله، وكذلك الرد على المنافقين ودعاة التَّحرر من الدين ودعاة تحرير المرأة من الفضائل ودعوتها إلى ترك الحجاب، فالرد عليهم من الجهاد في سبيل الله تعالى، ونرجوا من الله التوفيق والسداد. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ الآية

.١٢٦

الترمذي ج ٤ ص ١٣٣: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: حدثني أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنتربن عليهم، قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ فقال رجل: لا قریش بعد اليوم فقال رسول الله ﷺ: «كفوا عن القوم إلا أربعة». قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي بن كعب. الحديث في مسند أحمد من زوائد عبدالله ج ٥ ص ١٣٥، وابن حبان كما في الموارد ص ٤١١، والطبراني في الكبير ج ٣ ص ١٥٧، والحاكم ج ٢ ص ٣٥٩ و ٤٤٦، وقال في الموضوعين صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ الآية. قال ابن عطية في تفسيره أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها نزلت في مكة. اهـ المراد وكذلك قال القرطبي في تفسيره: أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد.

قلت: وما قاله الجمهور: هو الراجح لصحة الحديث في ذلك والحمد لله. وسياق قصة مقتل حمزة

بن عبد المطلب رضي الله عنه.

قال البخاري رحمته الله [٤٠٧٢] حدثني أبو جعفر محمد بن عبد الله حدثنا حُجَين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة قلت: نعم، وكان وحشي يسكن حمص فسألنا عنه فقيل لنا هو ذلك في ظل قصره كأنه حميت قال: فجبنا حتى وقفنا عليه يبسير فسلمنا فرد السلام قال وعبيد الله معتجر بعمامة ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص فولدت له غلاما بمكة فكنت أسترضع له فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فلكأني نظرت إلى قدميك قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا نخبرنا بقتل حمزة قال: نعم إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار بيد ف قال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر قال: فلما أن خرج الناس عام عينين وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد خرجت مع الناس إلى القتال فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنهار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله ﷺ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحرتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه قال: فكان ذلك العهد به فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً فقيل لي: إنه لا يبيح الرسل قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأني قال: «أنت وحشي» قلت: نعم قال: «أنت قتلت حمزة» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني»

قال: فخرجت فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي
أقتله فأكافئ به حمزة قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال: فإذا رجل قائم في ثلثة
جدار كأنه جبل أورق نائر الرأس قال: فرمته بحررتي فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين
كتفيه قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

وسقت قصة مقتل حمزة وليس فيها ذكر التمثيل، ولكن حين عينوا ذكر قتله سقتها للبيان.
وفي هذه الآية الحض على العدل والأمر به ومشروعته في القصاص مع كل الناس وأن الشخص لا
يتعدى على ما نيل منه بل ندب فيها إلى العفو وهو أفضل ولهذا قال: ﴿ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين﴾ وللآية نظائر كقوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاؤا سيئة
سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ الشورى ٤٠.

وقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ المائدة ٤٥.

فالمثلثة منهي عنها ولو بالمشركين إلا عند القصاص مثل من قتل بحديدة، أو بحجرة أو خنق، يقتل
به، وإذا مثلوا بالمسلمين فلا بأس به بدون تعدي، فالعدل واجب لهذه الآيات والعفو أفضل،
والحمد لله وهو أعلم سبحانه.

سورة الإسراء

قوله تعالى:

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٧﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴿٥٦﴾ الْآيَاتان ٥٦ و ٥٧.

مسلم ج ١٨ ص ١٦٤: حدثني أبو بكر بن نافع العبدي حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم فنزلت: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾. ثم ساقه من طريق أخرى إلى ابن مسعود وفيه: فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت.

الحديث أصله في البخاري لكن ليس فيه التصريح بالنزول وهو في البخاري في التفسير ج ١٠ ص ١٣، وأخرجه ابن جرير ج ١٥ ص ١٠٤ و ١٠٥، وأخرجه الحاكم ج ٢ ص ٣٦٢، وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. وفيه فأنزل عز وجل: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ وذكر الآيتين إلى قوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون﴾.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ ﴾ أي: قل يا محمد لكفار قريش الذين عبدوا غير الله من الجن أو من الملائكة وغيرهم أن هؤلاء الذين تعبدونهم ﴿لا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أي: لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم القحط أو الأمراض والمصائب ﴿ولا تحويلاً﴾ وأيضاً لا يستطيعون أن يحولوكم من الفقر إلى الغنى ولا من حال إلى حال أحسن منه، فالأمر كله لله

الخالق الرازق الملك المتصرف في كل شيء، أما من دعوتهم فهم فقراء إلى الله.

وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الوسيلة هي: القرية بالطاعة فهم يتقربون إلى الله بالطاعات والدعوات.

وقوله في الحديث: وأسلم النفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم أي: أن الجن أسلموا فلم يرضوا بعبادة الإنس لهم لأنهم علموا أن العبادة لا تصلح إلا لله بل هم يتقربون إلى الله بالطاعات والصالحات لعل الله أن يرحمهم وينجيهم من المصائب والشدائد والنار في الآخرة، وهكذا كانت الملائكة تعبد الله ولم تزل كذلك والمسيح بن مريم وعزيرًا وغيرهم من الأنبياء كانوا يعبدون الله ويتقربون إليه بالطاعات ولا يرضون أن يُعبدوا من دون الله، والآية هذه تتناول أيضًا من يدعو الأنبياء والصالحين اليوم ويستغيثون بهم من دون الله وهذه من عبادة غير الله، فالدعاء عبادة فلا يصرف إلا لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به﴾ وقال سبحانه: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآية ٥٩.

أحمد ج ١ ص ٢٥٨: حدثنا عثمان بن محمد قال عبد الله: وسمعتُه أنا منه حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا ف قيل له: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

الحديث عزاه الحافظ ابن كثير في البداية ج ٣ ص ٥٢ إلى النسائي (١) وقال: إن سنده جيد، وأخرجه ابن جرير ج ١٥ ص ١٠٨، والحاكم ج ٢ ص ٣٦٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

وقال الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ٥٠: رجاله رجال الصحيح.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي وما منعنا من إرسال الآيات التي سألوها من جعل الجبال ذهبًا وإزالة الجبال ليزرعوا إلا تكذيب الأولين، أي فهؤلاء سيكذبون كما كذب من كان قبلهم مثل عاد و ثمود فنهلكهم كما أهلكتنا من قبلهم ولهذا قال: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ أي آية لهم ودليلاً على نبوة صالح وأن ما جاء به حق، ﴿مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾

(١) وهو في التفسير من الكبرى ج ١ ص ١١١- أنا زكريا بن يحيى نا إسحاق نا جرير به.

.....
أي كفروا بها ولم يصدقوا أنها من الله فعقروها فأهلكهم الله، فمن لطف الله بقريش وغيرهم من العرب أنه لم يجبههم إلى ما سألوا أن يخرج لهم مثل هذه الآيات بل فتح لهم باب التوبة والرحمة فكان خيراً، وفيه فضيلة لرسول الله ﷺ حين خيره الله فاختر الأفضل، والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية

.٨٥

البخاري ج ١ ص ٢٣٥: حدثنا قيس بن حفص قال: حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا الأعمش سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في ضَرْبِ المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه فقامت فلما انجلي عنه فقال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قال الأعمش: هي كذا في قراءتنا.

الحديث ذكره البخاري في صحيحه في مواضع منها ج ١٠ ص ١٥ وفيه لما نزل عليه الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وج ١٧ ص ٣٣ و ٢١٧ و ٢٢١، وأخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٣٧، والترمذي ج ٤ ص ١٣٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والمسند ج ١ ص ٣٨٩ وص ٤١٠ و ٤٤٥، وابن جرير ج ١٥ ص ١٥٥، والطبراني في المعجم الصغير ج ٢ ص ٨٦.

قال الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ١٣٧: حدثنا قتيبة نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقال: سلوه عن الروح؟ قال: فسألوه عن الروح؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالوا:

أوتينا علمًا كثيرًا أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كبيرًا فأنزلت: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر﴾ إلى آخر الآية.

هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الحديث أخرجه الإمام أحمد ج ١ ص ٢٥٥ وابن جرير ج ١٥ ص ١٥٥ والحاكم ج ٢ ص ٥٣١.

قال الحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٦٠: في الكلام على الحديث الأول وهذا الحديث يقتضي فيما يظهر بادئ الرأي أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية، وقد يجاب عن هذا بأنها قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي هذه الآية.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قلت: قد اختلف المفسرون في معنى الروح فقيل: هو جبريل وقيل: هو ملك له سبعون ألف وجه. وقيل: عيسى، وقيل: هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى مبهمًا.

وذهب أكثر المفسرين إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد، وقال أهل النظر منهم إنها سألوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وهذا شيء لا يعلمه إلا الله، وقيل غير ذلك.

قال الإمام الشوكاني: قد اختلف الناس في الروح المستول عنه فقيل: هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته وبهذا قال أكثر المفسرين: قال الفراء: الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله

سبحانه به أحدًا من خلقه ولم يعط علمه أحدًا من عباده فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي: إنكم لا تعلمونه وقيل: الروح المستول عنه جبريل، وقيل: عيسى، وقيل: القرآن، وقيل: ملك من الملائكة عظيم الخلق، وقيل: خلق كخلق بني آدم، وقيل: غير ذلك مما لا طائل تحته ولا فائدة في إيراده، والظاهر القول الأول وسيأتي ذكر سبب نزول هذه الآية وبيان السائلين لرسول الله ﷺ عن الروح، ثم الظاهر أن السؤال عن حقيقة الروح لأن معرفة حقيقة الشيء أهم وأقدم من معرفة حال من أحواله، ثم أمره سبحانه أن يجيب على السائلين له عن الروح فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ من بيانية، والأمر الشأن والإضافة للاختصاص، أي: هو من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأشياء التي لم يُعلم بها عبادة، وقيل معنى: ﴿من أمر ربي﴾ من وحيه وكلامه لا من كلام البشر، وفي هذه الآية ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ما هيئته وإيضاح حقيقته أبلغ زجر ويردعهم أعظم ردع وقد أطالوا المقال في هذا البحث بما لا يتم له المقام وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا، وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر مائة قول فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يُعلمه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلًا عن أمهم المقتدين بهم فيا لله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم يبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه. اهـ المراد من فتح القدير. ^(١) قلت: كلام الشوكاني رحمته الله في غاية من الحسن، فالروح الذي يحيا به الجسد لا يعلمه إلا الله في كفيته وماهيته ومسلكه، فعلينا أن نؤمن بذلك ولا يضرنا جهله، وعلى المسلم أن يجتنب البحث عن شيء لا ينفع مما استأثر الله به العلم، وكذلك لا يسأل سؤال تعنت لأهل العلم فيكون

.....

قد تشبه باليهود، ولكن يسأل عن شيء ينفع إذا جهله أو ليعلم غيره فهذا حسن والله أعلم.

وحدّث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي، وقول شيخنا مقبل رحمته الله رواه أحمد وابن جرير رحمهما الله. فأقول: أما ابن جرير فرواه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة قال: سألت أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به مرسلاً. وأما الجمع بين حديث ابن مسعود أن اليهود هم الذين سألو رسول الله مباشرة، وفي حديث ابن عباس أن قريشاً هم الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيحتمل أن الآية نزلت بسبب السؤالين أو نزلت بمكة ثم نزلت بالمدينة حين سأل اليهود مرة ثانية، أو أن الله أمره أن يجيب اليهود بهذه الآية كما ذكره ابن كثير وغيره رحمهم الله، أو تقدم رواية الصحيحين على حديث ابن عباس والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ الآية ١١٠.

البخاري ج ١٠ ص ١٩: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن

سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ

بِهَا﴾. قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخفف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته

بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمِنْ جَاءَ بِهِ. فقال الله تعالى لنبیه

صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا

تُخَافُ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

الحديث أخرجه مسلم ج ٤ ص ١٦٥، والترمذي ج ٤ ص ١٣٩ من طريقين إلى هشيم

وقال: في كل طريق هذا حديث حسن صحيح، والنسائي ج ٢ ص ١٣٨، والإمام أحمد

ج ١ ص ٢٣ و٢١٥، وابن جرير ج ١٥ ص ١٨٤ و١٨٥ و١٨٦.

وأخرج البخاري ج ١٠ ص ٢٠ ومسلم ج ٤ ص ١٦٥ وابن جرير ج ١٥ ص ١٨٣ عن

عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء، وأخرج أحمد بن منيع كما في المطالب العالية

ص ٤٤٣، والبزار وقال الهيثمي ج ٧ ص ٥١: رجاله رجال الصحيح عن ابن عباس

نحو حديث عائشة، وأخرج ابن إسحاق في السيرة ج ١ ص ٣١٤ من سيرة ابن هشام،

وابن جرير ج ١٥ ص ١٨٥ عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن

وهو يصلي تفرقوا وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول

الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلوا وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد

عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته لم

يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً فأنزل الله عليه: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾
 فيتفرقوا عنك ﴿وَلَا تَخَافُهَا﴾ فلا تسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك
 دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ وهذا لفظ
 ابن جرير ولا تنافي بين هذه الأسباب إذ يحتمل أن المشركين يسبون القرآن ومن جاء
 به، ويؤذون من رأوه يستمع للقرآن، كما أنه يحتمل أن المراد ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي
 بدعائك في الصلاة ورواية أن ذلك في التشهد كما عند ابن جرير ج ١٥ ص ١٨٧ مبينة
 لموضعه والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمعها الكفار فيسبون القرآن ومن جاء به،
 وفي هذه الآية دليل لقاعدة سد الذرائع وإن كانت هذه الآية نزلت بسبب كفار قريش فهي عامة
 فإذا كان الإنسان في بلد وقرأ القرآن فيسمعه الكفار فيسبونهم فينبغي خفض الصوت وخاصة إذا
 كان بمكبر الصوت ويكون في مسجد والمكبر خارج المسجد وبجواره فنادق فيها كفار، أو زنادقة،
 أو بلد كافرة ويخاف أن يسبوا القرآن ومن جاء به، فيقتصر على أن تكون المكبرات داخل المسجد
 وهكذا المواعظ إذا خيف أو علم أنهم يسبون الدين أو الرسول فلا تفتح المكبرات إلى خارج
 المسجد بل يحرم فتحها إلى الخارج إذا كانوا يسبون الله أو الدين وكذلك مكبرات الأصوات في
 المكتبات التي تتبع الأشرطة الدينية والقرآن، فبعض الناس يتأذى فيسب الدين وإن كان في بلاد
 مسلمة، ونحن الآن في زمن الفوضى وعدم إقامة الحدود على المجرمين في بعض البلاد، فعلى
 المسلم أن لا يتسبب في سب الله والرسول والدين، فالله يقول: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام ١٠٧.

وقول شيخنا رحمته الله: يحتمل أن الآية نزلت يعني في الكل وتعدد السبب، ويؤيد ذلك ما قاله ابن

جرير رضي الله عنه بعد أن رجح تفسير ابن عباس رضي الله عنه ثم قال: فتأويل الكلام ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ريك ومسألتك إياه وذكرك فيها فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقاً إلى أن تسمع أصحابك ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. اهـ المراد من تفسيره.

سورة مريم

قوله تعالى:

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية ٦٤.

البخاري ج ١٠ ص ٤٣: حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي عن سعيد

بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت: ﴿وما ننتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾.

الحديث أعاده في كتاب التوحيد ج ١٧ ص ٢١٧، وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٤٥،

وقال: هذا حديث حسن غريب وأحمد ج ١ ص ٢٣١ وص ٣٥٧، وابن جرير ج ١٦

ص ١٠٣، والحاكم ج ٢ ص ٦١١، وقال: صحيح على شرطها ولم يخرجاه وأقره

الذهبي وهذا من أوهامها^(١) فقد أخرجه البخاري بهذا السند الذي أخرجه به.التعليق:

وقوله سبحانه عن جبريل عليه السلام: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ دليل على أن الأمر كله لله

تعالى، وقول النبي صلى الله عليه وسلم «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا». فيه طلب الازدياد من زيارة أهل

الخير ومجالستهم ومذاكرتهم في العلم والدين.

(١) الأولى أن يقال وهذا من أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي ولا يقال أقره؛ لأن الذهبي لم

يلتزم أن ينبه على كل خطأ أخطأ فيه الحاكم كما يعلم من مقدمة تلخيص الذهبي وقد جمعت بحمد الله من

الأوهام التي حصلت للحاكم وسكت عليها الذهبي ما يزيد على ألف وخمسةائة وعند إكمالها إن شاء الله

تنشر يسر الله ذلك.

وقوله: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ قيل: المراد أي: من أمر الدنيا ﴿وما خلفنا﴾ أي: من أمر الآخرة، قاله جمع من المفسرين. وقيل: ﴿له ما بين أيدينا﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا، قاله جمع من المفسرين أيضًا، ورجح هذا الحافظ الطبري فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه ﴿له ما بين أيدينا﴾ من أمر الآخرة لأن ذلك لم يجيء وهو جاء فهو بين أيديهم فإن الأغلب في الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك أنهم يعنون به ما لم يجيء وأنه جاء، فلذلك قلنا ذلك أولى بالصواب ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم إياه. اهـ المراد من التفسير. وقال الشوكاني في تفسيره: أي من الجهات والأماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلية وما بينهما من الزمان أو المكان الذي نحن فيه فلا نقدر على أن نتقل من جهة إلى جهة أو من زمان إلى زمان إلا بأمر ربك ومشيتته.. إلخ كلامه ﷺ.

وهذا كلام عام حسن ولا ينافي ما قاله ابن جرير وغيره بل يوافقه في الجملة والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قيل: ما بين النفتين، أو ما بين الدنيا والآخرة والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي: أنه سبحانه لم ينسى شيئًا فهو بكل شيء عليم وهو سبحانه لم ينسك ولم يترك، ولكنه سبحانه ينزل كل شيء بقدر والحكمة بالغة وهو المحيط بكل شيء لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء فهو المتصرف في خلقه.

قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الآيات ٧٧ و٧٨ و٧٩ و٨٠.

البخاري ج ٥ ص ٢٢١: حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال: كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك. فنزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا.

الحديث أخرجه في مواضع منها ص ٣٥٩ من هذا الجزء وج ١٠ ص ٤٤ و ٤٥ و ٤٦، ومسلم ج ١٧ ص ١٣٨، والترمذي ج ٤ ص ١٤٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد ج ٥ ص ١١١، والطيالسي ج ٢ ص ٢١، وابن سعد ج ٣ ق ١ ص ١١٦، وابن جرير ج ١٦ ص ١٢١، والطبراني من الكبير ج ٤ ص ٧٧.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أي يا محمد ﴿الذي كفر بآياتنا﴾ أي أنكر وكفر بحججنا فلم يصدق بها ويحذر من وعيدنا بالكفار فانظر إلى هذا المعاند ما أكفره. وقوله: ﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أي: في الآخرة، هذا من باب الترفع والاستبعاد للبعث والنشور، فكفار قريش كانوا ينكرون البعث والحساب في الآخرة، وكان هذا جوابا لحجاب ﷺ حين خاطبه بالدين الذي عنده أن يقضيه.

وقوله: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أم اتخذ عند الرحمن عهدا. أي: ما يقول هذه المقالة بأنه سيؤتى مالا في

.....

الآخرة ويعطى ولدًا إلا لأحد أمرين إما أنه أطلع الغيب وعنده علم بذلك أو أعطاه الله وعدًا وهو من أهل الإيمان والإسلام فسيلقى ذلك ولكن هذا الكافر ليس له ذلك، لا عنده علم بذلك ولا له عهد عند الله بذلك فهو كذاب ودعواه فارغة بل له العذاب والوبال، ولهذا قال الله: ﴿كَلَّا أَي لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ﴾ ﴿سَنُكْتَبُ مَا يَقُولُ﴾ أي مقالته مكتوبة عليه وسيجازى بها في الآخرة ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي سنزيده من العذاب والوبال بما قدمت يداه ويكفره وعناده وطغيانه وبما جحد من الدين الذي عليه فنزيده عذابًا بذلك الكذب وجحد المال الذي عليه على كفره والله أعلم.

سورة الأنبياء

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الآيتان ١٠١ و ١٠٢.

قال الإمام الطحاوي في مشكل الآثار ج ١ ص ٤٣١: حدثنا عبيد بن رجال حدثنا

الحسن بن علي حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش ثنا عاصم عن أبي رزين

عن أبي يحيى عن ابن عباس قال: آية في كتاب الله عز وجل لا يسألني الناس عنها ولا

أدري أعرفوا ولا يسألوني عنها فستل ما هي قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ شق ذلك على أهل مكة، وقالوا: شتم محمد

آلهتنا، فجاءهم ابن الزبيري فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا. قال: وما قال؟

قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ قال:

ادعوه لي، فدعا محمداً عليه السلام فقال ابن الزبيري: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل

ما عبد من دون الله؟ قال: «بل لكل ما عبد من دون الله عز وجل». قال: فقال خصمناه

ورب هذه البنية يا محمد ألسنت تزعم أن عيسى عبد صالح وعزيراً عبد صالح

والملائكة عباد صالحون؟ قال: «بلى». قال: فهذه النصارى تعبد عيسى وهذه اليهود

تعبد عزيراً وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قال: ونزلت ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا

إِذَا قَوْمٌ مِّنْهُ يَصْطَلِحُونَ﴾ وهو الضجيج.

بعض رجال السند:

أبو يحيى هو مصدع قال عمار الدهني: كان مصدع عالماً بابن عباس. وقال ابن حبان

في الضعفاء: كان يخالف الأثبات في الروايات وينفرد بالمناكير. اهـ. مختصراً من تهذيب التهذيب وهو من رجال مسلم فالظاهر أن حديثه ينزل عن الحسن ويصلح في الشواهد والمتابعات.

وأبو رزين هو مسعود بن مالك وثقه أبو زرعة كما في تهذيب التهذيب.

عبيد بن رجال ترجمه محمد بن أيوب المظاهري في تراجم شرح معاني الآثار فلم يكذبين لكن في الإكمال ج ٤ ص ٣٣ عبيد بن محمد بن موسى البزار المؤذن يعرف بعبيد بن رجال يروي عن يحيى بن بكير وأحمد بن صالح وغيرهما روى عنه أبو طالب الحافظ والمصري وغيرهما.

زاد المعلق وقال ابن يونس: عبيد بن محمد بن موسى البزار المؤذن يكنى أبا القاسم يعرف بعبيد بن رجال إلى آخر ما ذكره.

وفي تبصير المنتبه وعبيد بن رجال شيخ الطبراني سمع يحيى بن بكير.

قلت: اسمه محمد بن محمد بن موسى البزار المؤذن وعبيد لقبه. اهـ. فالظاهر أنه مستور الحال حيث إنه لم يوثق وقد روى عنه جماعة ولكن الحديث قد جاء من غير طريقه كما سيأتي في سورة الزخرف إن شاء الله.

وكما عند الطبراني في الكبير ج ١٢ ص ١٥٣ قال رحمته الله: حدثنا معاذ بن المثني ثنا علي بن المدني ثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس فذكره ولكنه أسقط منه أبا يحيى فهي تعتبر علة للحديث المتقدم ولكنها غير قاذحة لكثرة من زاد أبا يحيى.

طريق ثانية للحديث: قال الإمام الطحاوي رحمته الله ج ١ ص ٤٣٢: ثنا أحمد بن داود ثنا

إبراهيم بن محمد بن عرعة ثنا يزيد بن أبي حكيم ثنا حكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فذكره نحوه.

بعض رجال السند أحمد بن داود بن موسى وثقه ابن يونس وابن الجوزي كما في تراجم الأخبار وبقية الرجال من رجال التهذيب أنزلهم رتبة يحسن حديثه فالحديث مع الطريق الأولى صحيح لغيره والله أعلم.

طريق ثالثة إلى ابن عباس رضي الله عنه:

قال الإمام الطحاوي رحمته الله في مشكل الآثار ج ١ ص ٤٣١: حدثنا أبو أمية ثنا محمد بن الصلت ثنا أبو كدينة^(١) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن عباس فذكر نحوه.

الحديث ذكره الخطيب في الفقه والمتفقه ص ٧٠ عن شيخه أبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسي فذكره بعض رجال السند الذين يحتاجون إلى كلام. أبو أمية هو: محمد بن إبراهيم الطرسوسي الحافظ قال حبان: دخل مصر فحدثهم من حفظه من غير كتاب أخطأ فيها فلا يعجبني الاحتجاج بخبره إلا بما حدث من كتابه. اهـ. المراد من تهذيب التهذيب.

وعطاء بن السائب مختلط وليس أبو كدينة ممن روى عنه قبل الاختلاط ولكنه متابع كما ترى فهو ومحمد بن إبراهيم إذا لم يحدث من كتابه يصلحان في الشواهد والمتابعات.

(١) في الأصل أبو كريب والصواب ما أثبتناه كما في تهذيب التهذيب.

طريق رابعة إلى ابن عباس:

قال الإمام أبو عبد الله الحاكم رحمه الله ج ٢ ص ٣٨٤: حدثنا أبو العباس قاسم بن القاسم السيارى ثنا محمد بن موسى بن حاتم ثنا علي بن الحسن بن شقيق ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس فذكر نحوه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. محمد بن موسى بن حاتم هو القاشاني في لسان الميزان أن الراوي عنه القاسم السيارى قال: أنا بريء من عهدته وقال ابن أبي سعدان: كان محمد بن علي الحافظ سيء الرأي فيه. اهـ.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حَصَبُ أَي حطَب جهنم والمعنى أن العابد والمعبود من دون الله في نار جهنم وقوله: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي: داخلون فيها والخطاب للمشركين، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ أي: لو كانت هذه الأصنام والأنداد آلهة حقًا وتستحق العبادة ما دخلت هي وعابدها جهنم فهي لا تضر ولا تنفع، وإدخال الله تعالى هذه الأصنام والجمادات من الأوثان جهنم مع أنها لا تحس العذاب إنما هو توبيخ لعابديها وزيادة لهم في الحسرة والندامة ويعلمون أن ما كان يقول لهم الأنبياء هو الحق بأن يعبدوا الله وأن يتركوا ما سواه. وأما الملائكة وعيسى وغيرهم من عباد الله الصالحين الذين عبدوا فهم لا يعلمون ولا يرضون بهذه العبادة التي صُرفت لهم من دون الله فهم بعيدون عن النار وليسوا مع المشركين في جهنم وهذا من فضل الله وعدله سبحانه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي لا يخرجون من النار أبدا العابد والمعبود.

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ الزفير هو خروج النفس منهم بشدة لما وقع لهم من العذاب الأليم،

والشهيق هو إدخال النفس بشدة كما في الآية الأخرى ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ نسأل الله العافية منها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي: سبقت لهم الرحمة والجنة في علم الله السابق فرزقهم الإيمان وماتوا على ذلك مثل الملائكة وعُزير وعيسى وغيرهم من الصالحين، ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن النار وعذابها، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: حركة النار ولا صوت لها، فأهل الجنة إذا دخلوها لا يسمعون حسيس النار ولا يشعرون به وهذا من تمام نعمة الله عليهم.

سورة الحج

قوله تعالى:

﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ الآية ١٩ .

البخاري ج ٨ ص ٢٩٨: حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن

قيس بن عباد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: نزلت ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ في ستة من قريش علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

الحديث أيضًا ذكره في التفسير ج ١٠ ص ٥٩، وأخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٦٦، وابن ماجة رقم ٢٨٣٥، والطيالسي ج ٢ ص ٢١، وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٠، وابن جرير ج ١٧ ص ١٣١، والطبراني في الكبير ج ٣ ص ١٦٤.

قال البخاري رحمته الله ج ٨ ص ٢٩٩: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف حدثنا يوسف بن يعقوب كان ينزل في بني ضبيعة وهو مولى لبني سدوس حدثنا سليمان التيمي عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: قال علي رضي الله عنه: فينا نزلت هذه الآية: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾.

الحديث أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ وقال الحاكم: قد صح الحديث بهذه الزيادة عن علي كما صح عن أبي ذر الغفاري وإن لم يخرجاه. كذا قال: وأنت ترى أن البخاري قد أخرج حديث علي.

❖ تنبيه:

حديث أبي ذر من الأحاديث التي انتقدها الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني

ﷺ لأن أبا مجلز تارة يحدث به عن أبي ذر وتارة يحدث به من قوله قال: فاضطرب الحديث.

قال النووي ﷺ ج ١٨ ص ١٦٦: وهذا الحديث مما استدركه الدارقطني فقال:

أخرجه البخاري عن أبي مجلز عن قيس عن علي رضي الله عنه: أنا أول من يجثو للخصومة قال قيس: وفيهم نزلت الآية ولم يجاوز به قيسًا، ثم قال البخاري: وقال عثمان عن جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز قوله قال الدارقطني: فاضطرب الحديث قال النووي قلت: فلا يلزم من هذا ضعف الحديث واضطرابه لأن قيسًا سمعه من أبي ذر كما رواه مسلم هنا فرواه عنه وسمع من علي بعضه وأضاف إليه قيس ما سمعه من أبي ذر وأفتى به أبو مجلز تارة ولم يقل إنه من كلام نفسه ورأيه وقد عملت الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم بمثل هذا، فيفتى الإنسان منهم بمعنى الحديث عند الحاجة إلى الفتوى دون الرواية ولا يرفعه فإذا كان وقت آخر وقصد الرواية رفعه وذكر لفظه وليس في هذا اضطراب. والله أعلم. اهـ. كلام النووي ﷺ.

وإن كنت تريد المزيد فعليك بمقدمة الفتح ج ٢ ص ١٣٢، وبالفتح ج ١٠ ص ٥٩ و ٦٠ والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ هَذَانِ حَضَانٍ ﴾ أي فريقان، فريق الإيمان وفريق الكفر.

﴿ اخْتَصَمُوا ﴾ هذا جمع لأن كل فريق فيه عدة رجال، فلهذا ذكر الفعل بصيغة الجمع لأنهم جماعة

وهذا وقع في يوم بدر كما في قصة سبب النزول فهي تبين ذلك. والحمد لله. والآية بعدها أيضًا تبين

ذلك حيث قال الله: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾

إلخ الآية.

وقوله سبحانه: ﴿ فِي رَبِّهِمْ ﴾ أي في دين ربهم وعبادته سبحانه ومن أجله وفي سبيله عز وجل.

قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الآية ٣٩.

قال الإمام أحمد رحمته الله ج ١ ص ٢١٦: حدثنا إسحاق^(١) ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما خرج النبي صلوات الله عليه من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن فتزلت: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ قال: فعرف أنه سيكون قتال. قال ابن عباس هي أول آية نزلت في القتال.

الحديث رجاله رجال الصحيح وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٥١ وحسنه، والنسائي ج ٦ ص ٣، وابن جرير ج ٧ ص ١٧٢، والطبراني في المعجم والأوائل، وابن حبان كما في موارد الظمآن، وعزاه الحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٥ لابن أبي حاتم، وأخرجه الحاكم ج ٢ ص ٦٦ و ٢٤٦ و ٣٩٠ وج ٣ ص ٧ وقال في الجميع: على شرط الشيخين وسكت عليه الذهبي.

ثم ظهر أن الراجح إرساله فقد قال الترمذي ج ٥ ص ٣٢٥: بتحقيق إبراهيم عطوة وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي وغيره عن سفيان مرسلًا وذكر من طريق ابن أحمد^(٢) الزبيري عن سفيان مرسلًا. اهـ.

(١) هو: ابن يوسف الأزرق.

(٢) كذا في الأصل وصوابه: أبي أحمد، اسمه: محمد بن عبدالله بن الزبير، ثقة ثبت إلا أنه قد يخطئ في

وقد جاء وصله عند ابن جرير ج ١٧ ص ١٧٢ من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش ولكن قيسًا ضعيف.

وقد رواه الحاكم ج ٣ ص ٧ من طريق شعبه متابعًا لسفيان ولكن لا تطمئن النفس إلى تفردات الحاكم لكثرة أوهامه.

ثم وجدت الحافظ الدارقطني قد ذكره في العلل ج ١ ص ٢١٤ فقال: هو حديث يرويه الثوري عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

واختلف عنه فوصله إسحاق الأزرق ووكيع من رواية ابنه سفيان عنه والأشجعي عن الثوري.

وأرسله غيرهم فلم يذكر ابن عباس ورواه الفريابي عن قيس بن الربيع عن الأعمش متصلًا. وقيل عن الفريابي عن الثوري ولا يصح والمحفوظ عنه عن قيس.

وبهذا تعلم رجحان الإرسال. والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ هذا الإذن كان قبله منع من القتال وكانوا مأمورين بالعفو والصبر على الأذى، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ سورة النساء آية ٧٧.

وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف ١٩٩، فهذه الآيات فيها الأمر بالصبر والعفو، فلما قوى المسلمون بعد الهجرة وصار لهم أرض ودولة مستقلة أذن الله لهم بالدفاع عن أنفسهم ثم بعد ذلك أمرهم بالجهاد كما في سورة براءة وغيرها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ

مَرَّصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿التوبة ٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التوبة ٢٩، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة ١٢٣، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمُصِيرِينَ﴾ المتحرير ٩.

وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالجهاد، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وغير ذلك من الأحاديث في الباب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ أي هو قادر على أن ينصر عباده المؤمنين بجند من عنده من الملائكة وغيرهم وقد ينتصر لهم بدون قتال كما قال: ﴿ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾ فله الحكمة البالغة، فشرع الجهاد ليبتلئ المؤمنين ويمحصهم، وكذلك يتخذ منهم شهداء ويرفع درجاتهم في الجنة ويأجر المنفقين في سبيله. وقوله: ﴿بأنهم ظلموا﴾ هم المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم من مكة إلى المدينة والحبشة وغيرهما.

❖ تنبيه:

ذكر الشيخ أن سبب النزول الراجح فيه: الإرسال وهو كما قال ولكن قد جاء عن مجاهد وقتادة أنها أول آية نزلت في الإذن بالقتال للمؤمنين كما عند ابن جرير، وهي تقوي وتعضد معنى سبب النزول والله أعلم.

سورة المؤمنون

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ الآية ٧٦.

ابن جرير ج ١٨ ص ٤٥: حدثناه ابن حميد قال: حدثنا أبو تميلة هو يحيى بن واضح عن الحسين^(ع) عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز (يعني الوبر والدم)، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

الحديث رجاله ثقات إلا شيخ الطبري محمد بن حميد الرازي فإنه ضعيف لكن الحديث قد جاء من طرق غير هذا الطريق التي هو فيها، فقد رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٥١، والنسائي كما في ابن كثير، وابن حبان^(٣) ص ٤٣٤ وفيه عندهم علي بن الحسين بن واقد وقد ضعف، ورواه الحاكم ج ٢ ص ٣٩٤، والواحدي في الأسباب وفيه عندهما محمد بن موسى بن حاتم وقد قال تلميذه القاسم السيارى: أنا أبرأ من عهدته، وقال ابن أبي سعدان: كان محمد بن علي الحافظ سيء الرأي فيه، كما في لسان الميزان أما الحاكم فقد صححه وأقره الذهبي. وهو بمجموع طرقه إلى الحسين بن واقد صحيح لغيره. والله أعلم.

(١) في الأصل الحسن وهو غلط مطبعي.

(٢) من موارد الظمان وفي ترتيب الصحيح ج ٢ ص ٢٢٦.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُم بِالْعَذَابِ﴾ أي أخذ هؤلاء المشركين بالعذاب والفقر والجوع وأنزل بهم بأسه وسخطه وابتلاهم بالشدائد والمصائب فلم يتوبوا ﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي لم يخضعوا ولم يخشعوا لربهم ويتوبوا إليه ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي لم يدعوا الله ولم يلتجئوا إليه لا عند الشدائد ولا عند الرخاء كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاَهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام ٤٢ و٤٣، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ الأعراف ٩٤، فالله عز وجل كان يبتيلى بعض الأمم بالعقوبات لكي يرجعوا إليه ويتوبوا فكثير منهم لم يتوبوا وهكذا كفار قريش دعا عليهم النبي ﷺ، فاستجاب الله له كما ثبت في الصحيحين، عن مسروق قال: قال عبدالله: إن الله بعث محمدا ﷺ وقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فإن رسول الله ﷺ رأى قريشا استعصوا عليه فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم السنة حتى حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والجلود، وقال أحدهم حتى أكلوا الجلود والميتة وجعل يخرج من الأرض كهياة الدخان فاتاه أبو سفيان فقال: أي محمد إن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعا، ثم قال: «تعودوا بعد هذا ثم قرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى ﴿عَائِدُونَ﴾»، قال: أفيكشف عذاب الآخرة، ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبُطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُتَّقِمُونَ﴾ فالبطشة يوم بدر، وقد مضت آية الدخان والبطشة والالزام. رواه البخاري في تفسير سورة الدخان، وأخرجه الإمام مسلم في صفة المنافقين^(١).

(١) البخاري برقم [٤٨٢٤] ومسلم [٢٧٩٨].

سورة النور

قوله تعالى:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية ٣.

الترمذي ج ٤ ص ١٥٢: حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عباد عن عبيد الله بن الأخنس قال: أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال: وكانت امرأة بغية بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط فلما انتهت إليّ عرفت فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً. هلم فبت عندنا الليلة، فقلت: يا عناق حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعني ثمانية، وسلكت الخندمة، فانتهيت إلى كهف أو غار فدخلت. فجاءوا حتى قاموا على رأسي وعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الآخر ففككت عنه أكبله فجعلت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! أنكح عناقاً، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد علي شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فلا تنكحها». هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٢ ص ١٧٦، والنسائي ج ٦ ص ٥٤، وابن جرير ج ١٨ ص ٧١ وفي السند عنده مبهم، والحاكم ج ٢ ص ١٦٦ مختصراً وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

التعليق:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ قال القرطبي رحمته الله في تفسيره: كان الزنا في اللغة معروفاً قبل الشرع مثل، اسم السرقة، والقتل، وهو اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبه نكاح بمطاوعتها وإن شئت قلت هو إدخال فرج في فرج مشتبه طبعاً محرم شرعاً، فإذا كان ذلك وجب الحد. اهـ المراد.

ومعنى الآية: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ قال ابن جرير رحمته الله: اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلوات الله عليه في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات يكرين أنفسهن، فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال: الزاني من المؤمنين لا يتزوج إلا زانية أو مشركة لأنهن كذلك، والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها لأنهن كن مشركات ﴿وحرّم ذلك على المؤمنين﴾ فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية، ثم ذكر من قال بذلك، منهم مجاهد وابن المسيب وغيرهما.

وقال آخرون: معنى ذلك الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك، قالوا: ومعنى النكاح في هذا الموضع الجماع.

وذكر أنه قول عكرمة وسعيد بن جبير وغيره، وعن ابن عباس ورجحه ابن جرير رحمته الله وروى

ابن كثير هذا عن ابن عباس رضي الله عنه وقال ابن كثير: سنده صحيح وهو كما قال.

قلت: والآية قد يشمل لفظها المعنيين ولكن الظاهر أنها أيضاً تدل على تحريم التزوج بالزانية

ويشهد لذلك سبب نزولها والله أعلم. ورجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى وفي دقائق التفسير في سورة النور ٤ فقال ﷺ الله: وقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية

لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ لما أمر الله تعالى بعقوبة الزانين حرم مناكحتهما على المؤمنين هجرًا لهما ولما معها من الذنوب والسيئات كما قال تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾ وجعل مجالس ذلك المنكر مثله بقوله تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ وهو زوج له قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي عشراءهم وقرناءهم وأشباهم ونظراءهم، ولهذا يقال: المستمع شريك المغتاب. ورفع إلى عمر بن عبد العزيز قوم يشربون الخمر وكان فيهم جليس لهم صائم فقال: ابدؤوا به في الجلد، ألم تسمع الله يقول: ﴿فلا تقعدوا معهم﴾ فإذا كان هذا في المجالسة والعشرة العارضة حين فعلهم المنكر، يكون مجالسهم مثلاً لهم، فكيف بالعشرة الدائمة، والزوج يقال له العشير كما في الحديث، من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن» قيل: يكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان». فأخبر أنه لا يفعل ذلك إلا زان أو مشرك.

أما المشرك فلا إيمان له يزره عن الفواحش ومجاعة أهلها. وأما الزاني ففجوره يدعوه إلى ذلك، وإن لم يكن مشركًا، وفي الآية دليل على أن الزاني ليس بمؤمن مطلق الإيمان. وإن لم يكن كافرًا مشركًا كما في الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وذلك أنه أخبر أنه لا ينكح إلا زانية أو مشركة. ثم قال تعالى: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ نعلم أن الإيمان يمنع من ذلك ويحرم. وأن فاعله إما مشرك وإما زان ليس من المؤمنين الذين يمنعهم إيمانهم من ذلك، وذلك أن الزانية فيها إفساد فراش الرجل، وفي مناكحتها معاشره الفاجرة دائمًا ومصاحبته. والله قد أمر بهجر السوء وأهله ما داموا عليه، وهذا المعنى موجود في الزاني، فإن الزاني إن لم يفسد فراش امرأته كان قرين سوء لها كما قال الشعبي: من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها، وهذا مما يدخل به على المرأة

ضرر في دينها ودنياها، فنكاح الزانية أشد من جهة الفراش، ونكاح الزاني أشد من جهة أنه السيد المالك الحاكم على المرأة فتبقى المرأة الحرة العفيفة في أسر الفاجر الزاني الذي يقصر في حقوقها ويتعدى عليها.

ولهذا اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين وعلى ثبوت الفسخ بفوات هذه الكفاءة، واختلفوا في صحة النكاح بدون ذلك، وهما قولان مشهوران في مذهب أحمد وغيره، فإن من نكح زانية مع أنها تزني فقد رضي بأن يشترك هو وغيره فيها ورضي لنفسه بالقيادة والديانة! ومن نكحت زانية وهو يزني بغيرها فهو لا يصون ماءه حتى يضعه فيها بل يرميه فيها وفي غيرها من البغايا، فهي بمنزلة الزانية المتخذة خدنًا، فإن مقصود النكاح حفظ الماء في المرأة وهذا الرجل لا يحفظ ماءه، والله سبحانه شرط في الرجال أن يكونوا محصنين غير مسافحين فقال: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ وهذا مما لا ينبغي إغفاله فإن القرآن قد نصه وبينه بيانًا مفروضًا قال تعالى: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾.

فأما تحريم نكاح الزانية فقد تكلم فيه الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم. وفيه آثار عن السلف. وإن كان الفقهاء قد تنازعوا فيه وليس مع من أباحه ما يعتمد عليه.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ج ٥ ص ١٠٤: وأما نكاح الزانية فقد صرح الله سبحانه وتعالى بتحريمه في سورة النور وأخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك فإنه إما أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أولاً، فإن لم يلتزمه ولم يعتقد أنه مشرك، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان ثم صرح بتحريمه فقال: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ ولا يخفى أن دعوى نسخ الآية بقوله: ﴿وانكحوا الأيامى منكم﴾ من أضعف ما يقال وأضعف منه حمل النكاح على الزنا إذ يصير معنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك، وكلام الله ينبغي أن يصاب عن مثل هذا، وكذلك حمل الآية على امرأة بغية مشركة في غاية البعد عن لفظها

وسياقها كيف وهو سبحانه إنما أباح نكاح الحرائر والإماء بشرط الإحصان وهو العفة فقال: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان﴾ فإنما أباح نكاحها في هذه الحالة دون غيرها وليس هذا من باب دلالة المفهوم فإن الأبضاع في الأصل على التحريم فيقتصر في إباحتها على ما ورد به الشرع وما عداه فعلى أصل التحريم، وأيضًا فإنه سبحانه قال: ﴿الخبيثات للخبِيثين والخبِيثون للخبِيثات﴾ والخبِيثات الزواني، وهذا يقتضي أن من تزوج بهن فهو خبيث مثلهن، وأيضًا فمن أقبح القبائح أن يكون الرجل زوج بغي وقبح هذا مستقر في فطر الخلق، وهو عندهم غاية المسبة. وأيضًا فإن البغي لا يؤمن أن تفسد على الرجل فراشه وتعلق عليه أولادًا من غيره والتحريم يثبت بدون هذا، وأيضًا فإن النبي ﷺ فرق بين الرجل وبين المرأة التي وجدها حبلًا من الزنى، وأيضًا فإن مرثد بن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي ﷺ أن يتزوج عناقًا... فذكره. اهـ.

والخلاصة: أن العفيف لا يتزوج بزانية أو مشركة لا تؤمن بتحريم الزنا، وكذلك العفيفة لا تتزوج فاجرًا إلا إذا تاب الزاني وعرفت توبته فلا بأس للعفيفة أن تتزوج به، وكذلك العفيف إذا تابت الزانية وحسنت توبتها فله أن يتزوج بها وهذا قول جمع من أهل العلم، والإسلام جاء بحفظ الأنساب والأعراض والحمد لله على كل حال، وأما المشركة الكتابية العفيفة فيجوز أن يتزوج بها والأحسن تركه خشية على نفسه وأولاده أن تضلهم. والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الآيات ٩٦-٩٧.

البخاري ج ١٠ ص ٦٤: حدثنا إسحاق حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا الأوزاعي قال: حدثني الزهري عن سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً يقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك. فأتى عاصم النبي ﷺ فقال يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك» أمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمي الله في كتابه فلا عنها، ثم قال: يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحره فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها»، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه.

الحديث أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الطلاق ج ١١ ص ٢٨٢ و ٣٦٩ وج ١٧ ص ٤٠، ومسلم ج ١٠ ص ١٢٠ و ص ١٢٣، وأبو داود ج ٢ ص ٢٤١، والنسائي ج ٦

ص ١٤٠، وابن ماجه رقم ٢٠٦٦، وأحمد ج ٥ ص ٣٣٤ و ٣٣٧، ومالك ج ٢ ص ٨٩،
والدارمي ج ٢ ص ١٥٠، والدارقطني ج ٣ ص ٢٧٤، وابن جرير ج ١٨ ص ٨٥.
قال الإمام البخاري رحمه الله ج ١٠ ص ٦٥: حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي
عن هشام بن حسان حدثنا عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية كذب امرأته عند
النبي ﷺ بشريك ابن سحماء فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك» فقال: يا
رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ
يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق فليترنلن
الله ما يرى ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾
فقرأ حتى بلغ: ﴿إن كان من الصادقين﴾ فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال
فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟» ثم قامت
فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة قال ابن عباس: فتلكأت
ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال
النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو
لشريك ابن سحماء» فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله
لكان لي ولها شأن».

الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٥٤ وحسنه أبو داود ج ٤ ص ٢٤٣ وابن ماجه
رقم ٢٠٦٧ وأحمد ج ١ ص ٢٣٨ و ٢٧٣ والدارقطني ج ٣ ص ٢٧٧ وابن جرير ج ١٨
ص ٨٣ والحاكم ج ٢ ص ٢٠٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين وسكت عليه
الذهبي.

والقاذف في هذا الحديث: هلال بن أمية.

قال الإمام مسلم رحمه الله ج ١٠ ص ١٢٣: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي (ح) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة واللفظ له حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال: سئلت عن المتلاعنين في إمرة مصعب أيفرق بينهما؟ قال: فما دريت ما أقول؟ فمضيت إلى منزل ابن عمر بمكة فقلت للغلام: استأذن لي؟ قال: إنه قائل فسمع صوتي قال: ابن جبير قلت: نعم قال: ادخل فوالله ما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة فدخلت فإذا هو مفترش برذعة متوسد وسادة حشوها ليف قلت: أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما؟ قال: سبحان الله نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان قال: يا رسول الله أرأيت إن وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع إن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك قال: فسكت النبي صلوات الله وسلاماته عليه فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات في سورة النور: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ فتلاهن عليه ووعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال: لا والذي بعثك بالحق ما كذبت عليها ثم دعاها فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قالت: لا والذي بعثك بالحق إنه لكاذب فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما.

الحديث أخرجه الترمذي وصححه ج ٢ ص ٢٢٤ وج ٤ ص ١٥٤ والنسائي ج ٦

ص ١٤٤ وأحمد ج ٢ ص ١٩ و ٤٢ والدارمي ج ٢ ص ١٥٠ وابن الجارود ص ٢٥٢
وابن جرير ج ١٨ ص ٨٤ والسائل عن الحكم والملاعن مبهم لكن فسر في حديث عند
مسلم والنسائي أنه العجلاني.

قال الإمام مسلم رحمته الله ج ١٠ ص ١٢٧: حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبي شيبة
وإسحق بن إبراهيم واللفظ لزهير قال إسحاق: أخبرنا وقال الآخرون: حدثنا جرير
عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ
جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه أو قتل
قتلتموه وإن سكت سكت على غيظ والله لأسألك عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من
الغد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم
جلدتموه أو قتل قتلتهم أو سكت سكت على غيظ فقال: «اللهم افتح» وجعل يدعو
فنزلت آية اللعان: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ هذه
الآيات فابتلي به ذلك الرجل من بين الناس فجاء هو وامرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلاعنا فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. ثم لعن الخامسة أن لعنة الله
عليه إن كان من الكاذبين فذهبت لتلعن فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. «مه» فأبت فلعنت
فلما أدبرا قال: «لعلها أن تجيء به أسود جعداً فجاءت به أسود جعداً».

الحديث أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٢٤٢ وابن ماجه رقم ٢٠٦٨ وأحمد ج ١ ص ٤٤٨
وابن جرير ج ١٨ ص ٨٤.

والسائل عند مسلم وبعضهم رجل من الأنصار.

قال الإمام مسلم رحمته الله ج ١٠ ص ١٢٨: وحدثنا محمد بن المنثري حدثنا عبد الأعلى

حدثنا هشام عن محمد قال: سألت أنس بن مالك وأنا أرى أن عنده منه علمًا فقال: إن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك ابن سحماء وكان أخا البراء بن مالك لأمه وكان أول رجل لاعن في الإسلام قال: فلاعنها فقال رسول الله ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أبيض سبطا قضى العينين فهو لهلال بن أمية وإن جاءت به أكحل جمعًا حمش الساقين فهو لشريك ابن سحماء» قال: فأنبت أنها جاءت به أكحل جمعًا حمش الساقين.

الحديث أخرجه النسائي ج ٦ ص ١٤١.

والقاذف هلال بن أمية.

قال البزار رحمته الله كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٦٠: حدثنا إسحاق بن الضيف ثنا النضر بن شميل ثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن شيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأبي بكر: لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به؟» قال: كنت والله فاعلاً به شراً، قال: «فأنت يا عمر؟» قال: كنت والله قاتله كنت أقول: لعن الله الأعجز فإنه خبيث قال: فنزلت: ﴿الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾.

قال البزار: لا نعلم أحداً أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس.

حدثنا عبدالله بن إسحاق العطار ثنا أبو عاصم عن سفيان عن أبي إسحاق عن زيد بن شيع - ولم يقل عن حذيفة - عن النبي ﷺ قال: بنحوه.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧٤: رجاله ثقات.

أقول حديث حذيفة لا يحتاج إلى أن نتكلف في الجمع بينه وبين الحديثين السابقين لأنه

من رواية زيد بن يثيع كما في تفسير ابن كثير ولم يرو عنه سوى أبي إسحاق ولم يوثقه سوى ابن حبان والعجلي كما في تهذيب التهذيب وهما متساهلان في التوثيق وأيضًا قد اختلف في وصله وإرساله، والذي أرسله أتقن وهو أقوى من الذي وصله^(١) وهو يونس بن أبي إسحاق وأيضًا أبو إسحاق مدلس كما في تهذيب التهذيب ولم يصرح بالتحديث. ويبقى النظر في الجمع بين الحديثين المتقدمين. فأقرب الأقوال عندي أن هلال بن أمية سأل وصادف مجيء العجلاني فنزلت فيها الآية معًا. والله أعلم. وإن كنت تريد المزيد فعليك بالفتح فقد ذكر هناك أقوال أهل العلم ج ١٠ ص ٦٥ و٦٦.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي بالزنا فيقول لها: أنت زنيته.

أو يا زانية، أو انتفى من ولدها وقال: هذا ليس بابني، فخاصمته إلى القاضي ولم يأت بأربعة شهود عدول فيصرون إلى الملاعة.

أما إذا اعترفت أو جاء بأربعة شهود فيقام عليها الحد. والله أعلم.

والحكمة في تشريع اللعان رفع الحرج عن الأزواج حيث إذا رمى الرجل امرأته ولم يكن له شهود فيدفع عن نفسه الحد باللعان.

وأيضًا إذا حملت المرأة من غيره فلا يمكن له الانتفاء منه إلا باللعان، وكذلك المرأة إن كذب عليها تدفع عن نفسها الحد باللعان.

(١) وقد رجح أبو حاتم إرساله كما في العلل لابنه ج ١ ص ٤٤٥.

.....
فإنه عز وجل لا يشرع شيئاً إلا وفيه مصالح عظيمة وإن كان في تصور النفوس صعباً ثقیلاً لا
يحتمل، واللعان لا يكون إلا عند القاضي أو من ينوبه، واللعان يكون سبباً للفرقة بين الزوجين على
التأييد والله أعلم.

ويراجع كتب الحدود من كتب الفقه والتفاسير، فالمسألة كبيرة لا يتسع لها هذا المختصر.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ من الآية ١١ إلى الآية ٢٢.

البخاري ج ٦ ص ١٩٨: حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود وأفهمني بعضه أحمد قال: حدثنا فليح عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص الليثي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها: أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه.

قال الزهري وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم أوعى من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها زعموا أن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها أخرج بها معه^(١) فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست

(١) للنسفي ولأبي ذر عن غير الكشميهني وفي رواية الكشميهني والباقي خرج وهو الصواب ولعل

الأول أخرج بضم أوله على البناء للمجهول. اهـ. الفتح.

عقدي فحبسني ابتغاؤه فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم وإنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأمت منزلي الذي كنت به فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فيينا أنا جالسة غلبتني عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهرية فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسيين رجلا شهد بدرا فقالت يا هتاه ألم تسمعي ما قالوا فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم فقال كيف تيكم فقلت ائذن لي إلى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلها فأذن لي رسول الله

فأتيت أبي فقلت لأمي ما يتحدث به الناس فقالت يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله ﷺ من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير فقال كذبت لعمر الله والله لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي

أبوأي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قالت فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فيينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد ثم قال يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعني حتى ما أحس منه قطرة وقلت لأبي أجب عني رسول الله ﷺ قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي أجيبني عني رسول الله ﷺ فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن فقلت إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي يا عائشة احدي الله فقد برأك الله فقالت أُمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت:

لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكَ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ الآية. فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قاله لعائشة فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً قالت وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع. قال: وحدثنا فليح عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة وعبد الله بن الزبير مثله قال وحدثنا فليح عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ويحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر مثله.

الحديث أخرجه في مواضع منها ج ٨ ص ٤٣٦ وج ١٠ ص ٦٨ وص ١٠٦ وج ١٤ ص ٣٧٣ مختصراً وج ١٧ ص ٣٢ مختصراً أيضاً، ومسلم ج ١٧ ص ١٠٢، والترمذي ج ٤ ص ١٥٥، وعبد الرزاق في المصنف ج ٥ ص ٤١٠، وأحمد ج ٦ ص ٥٩ وص ١٠٣ مختصراً، وابن جرير ج ١٨ ص ٩٠ وفي التاريخ ج ٣ ص ٦٧، وابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٩٧.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكَ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ ﴿جاءوا بالإفك﴾ أي بالكذب. وقوله: ﴿عصبة منكم﴾ أي جماعة منكم قيل العصبة: من العشرة إلى الأربعين، وقيل: من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: ثلاثة. فإله أعلم.

.....

﴿لا تحسبوه﴾ أي لا تظنوه أو لا تعتقدوه شرًا لكم، هذا خطاب لعائشة ؓ وللنبي ﷺ، وكذلك لأهلها لأنه أصابهم الحزن والأسف الشديد، والله المستعان وكان هذا زيادة لهم في الأجر والشرف والذكر الحسن والتبرئة لعائشة ؓ من هذه الفرية الآثمة، وفيه رد على الرافضة الذين يسبون عائشة ؓ، وعليهم ما يستحقون من ربهم، فالله عز وجل يزيها ويبرؤها وهم يتهمونها وهي زوج خاتم الأنبياء، وقد قال بعض السلف: ما فجرت امرأة نبي قط، ومن رماها بالزنا فهو كافر، لأنه يكذب بهذه الآيات التي فيها براءتها، والنبي ﷺ قد قال: «من يعذري من رجل بلغ أذاه في أهلي» وأي جرم أشد من أن يُتهم نبي الله أنه زوج، فالنبي ﷺ طيب ونساءه طيبات عفيفات. وقوله: ﴿بل هو خير لكم﴾ قال بعض العلماء: الخير حقيقته ما زاد نفعه على ضرره، والشر ما زاد ضرره على نفعه، وأما الخير الذي لا شر فيه فالجنة، والشر الذي لا خير فيه فهي جهنم. اهـ.

قلت: فهذا خير لآل أبي بكر في الدنيا والآخرة من الذكر الحسن في الدنيا ورفع الدرجات في الجنة. وقوله: ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ هو عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين كما جاءت به الأخبار، فهو الذي كان يوشي بالكذب، وهو أول من رمى عائشة ؓ بالكذب والبهتان ومن تبعه في ذلك كل له جزء من العذاب بحسب ما وشى ونشر الشرب بين الناس. ومن فوائد هذه القصة: أن الشخص لا يعتمد على الشائعات، وإنما يلزمه التثبت فيما يبلغه من أخبار، وخاصة في حق العلماء وأهل الاستقامة فأعداؤهم كثير، والواقعون في أعراضهم جم غفير نسأل الله العافية.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ الآية ٣٣.

مسلم ج ١٨ ص ١٦٢: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب جميعاً عن أبي معاوية واللفظ لأبي كريب حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الحديث أخرجه أيضاً مسلم من طريق أخرى تنتهي إلى الأعمش عن أبي سفيان به. وفيه أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله الآية. وأخرجه أبو داود ج ٢ ص ٢٦٤ وفيه أن جارية لبعض الأنصار يقال لها مسيكة، وابن جرير ج ١٨ ص ١٣٢ و ١٣٣، والبزار كما في تفسير الحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٨ وفيه تصريح الأعمش بالسماع من أبي سفيان والحاكم ج ٢ ص ٢١١ وص ٣٩٧، وقال في بعض الموضعين: على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. وفي الموضع الأول أن المكروه رجل وأن اسمه مسكين فلعله تحريف. وقول الحاكم في الأول على شرط مسلم، وإقرار الذهبي له فيه نظر؛ فإن محمد بن الفرغ الأزرق ليس من رجال مسلم، وإنما ذكره الحافظ في التهذيب في التمييز وفيه أيضاً كلام.

وفي مجمع الزوائد ج ٧ ص ٨٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت لعبدالله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حُرِّمَ الزنا قالت: لا والله لا أزني أبداً فنزلت الآية.
رواه الطبراني والبخاري بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح. وذكره الحافظ ابن كثير عازياً له للطيالسي بسنده.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي على الزنا.

وهذا نهي من الله تعالى للذين كانوا يكرهون إماءهم على الزنا من أجل الخراج والكسب منهن وطلب الولد منهن على غير طريق شرعي.

وقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِيْنًا﴾ أي تعففاً، وليس في الآية تخصيص العفاف ويخرج غيرهن.

فالآية لا مفهوم لها، بل الآية خرجت مخرج الغالب وتحكي واقعهم وتنتهي عنه، وكذلك التي لا تريد العفاف يحرم مساعدتها على الفجور بل ويجب منعها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا

يثرب فإن زنت فليبعها ولو بحبل من شعره». والحديث في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي قصة سبب النزول ما كان عليه عبدالله بن أبي بن سلول من عدم المروءة وما كان عليه من سوء الخلق وردالة النفس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور لمن لأنهن لا يستطعن أن يدفن عن أنفسهن السوء.

وأما من أكرههن ولم يتب فإن الله لم يعده بالمغفرة بل هو يستحق العقوبة، وفي زماننا هذا بعض الناس صار يتاجر بالشابات في الفنادق والعياذ بالله وهذا كسب حرام خبيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن

.....

وبعض الرافضة يستخدمون النساء بالمتعة وربما جبر الرجل ابنته للسيد الفلاني ويرغبها في الباطل
ويغريها بالمال، وحسبنا الله عليهم، ومتعة النساء محرمة لنهي النبي ﷺ عنها في أحاديث كثيرة
وجاهير العلماء على تحريمها بل في آخر الأمر صار إجماعاً.

قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ الآية ٥٥.

الحاكم ج ٢ ص ٤٠١: حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا أبو سعيد محمد بن شاذان، حدثني أحمد بن سعيد الدارمي، حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ إلى ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ يعني بالنعمة ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

الحديث في سنده علي بن الحسين بن واقد وقد ضعفه أبو حاتم وتركه البخاري وقال: كان إسحاق سيء الرأي فيه ووثقه ابن حبان وقال النسائي: ليس به بأس. اهـ. تهذيب التهذيب. لكن قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٨٣: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وذكره الطبري ج ١٨ ص ١٥٩ مرسلًا عن أبي العالية.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ هذه بشارة من الله تعالى للمهاجرين والأنصار والأمة بأنهم سيأمنون ويسودون الناس ويفتحون البلاد.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاية عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة فإنه ﷺ لم يمض حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحابه ﷺ وأكرمه ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم يشعث ما وهى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهداها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبه خالد بن الوليد رضي الله عنه فافتتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها وجيشا آخر صحبه أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام وثالثا صحبه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفها من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ومن على أهل الإسلام بأن لهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها وأكثر أقليم فارس وكسر كسرى وأهانته غاية المهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده عن

بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية وأنفق أموالها في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعده رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ثم لما كانت الدولة العثمانية^(١) امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها فتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان وجي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ولهذا ثبت في الصحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها^(١)»^(١) فيها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيثار به ورسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا. اهـ كلامه بِسْمِ اللَّهِ. وهذا في غاية من الحسن والقوة والحمد لله على توفيقه.

وقوله: ﴿لَيْسَتْخَلِفْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد استخلف موسى وقومه فجعلهم ملوك الأرض وأورثهم ملك فرعون وقومه، كما قال موسى لقومه: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾ فأعطاهم الله ما وعدهم نبينهم موسى عليه الصلاة والسلام، وكذلك قد استخلف الله محمداً عليه الصلاة والسلام وأتمه بدل المشركين. والحمد لله على توفيقه.

(١) يعني دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) رواه مسلم في الفتن برقم [٢٨٨٩] عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿وَلَيْمَكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وقد فعل سبحانه فله الحمد والمنة، ففي صحيح البخاري في المناقب [٣٥٩٥] قال عليه السلام: حدثني محمد بن الحكم أخبرنا النضر أخبرنا إسرائيل أخبرنا سعد الطائي أخبرنا محل بن خليفة عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي عليه السلام إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «يا عدي هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها وقد أنبتت عنها، قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله» قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَار طيء الذين قد سعروا البلاد «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى» قلت: كسرى بن هرمز قال: «كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبئه منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» قال عدي: سمعت النبي عليه السلام يقول: «اتقوا النار ولو بشقة تمره فمن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي عليه السلام أبو القاسم عليه السلام يخرج ملء كفه.

فأقول: والمسلمون اليوم لو تمسكوا بدينهم ورجعوا إلى الله لأعزهم الله ونصرهم كما نصر الصحابة رضي الله عنهم، قال الله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾، بل ويوم أن يبعث الله للمسلمين العودة الصادقة إلى دينهم والتمسك بشريعتهم ستعود مع هذه العودة المباركة تلك الفتوحات الباهرة والانتصارات القاهرة وتذعن لهم الدنيا كما أذعنت من قبل، ويزيل الله الظلم ومعاقب الطغيان وأوكار الفسق على وجه الأرض، بل وتتحطم أمام ضرباتهم العادلة أسوار روما

وكرر الإلحاد والنصرانية. فعن أبي قبيل قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً؟ القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبدالله بصندوق له حلق قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تُفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تُفتح أولاً» يعني: قسطنطينية. الحديث أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما، وله طريق يحسن بها، وصححه الألباني في الصحيحة.

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ ففتحت القسطنطينية أيام العثمانيين، وستفتح إن شاء الله روما عاصمة إيطاليا كما أخبر النبي ﷺ، وهذه بشرى لك أيها المسلم، ولا يحتاج منك لكي تتحقق هذه البشرى إلا العمل للدين من الدعوة إلى الله والعلم والتعليم والله المستعان.

قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ الآية ٦١.

قال الإمام أحمد بن عمرو بن عبد الخالق الشهير بالبزار كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٦١: حدثنا زيد بن أنزم أبو طالب الطائي ثنا بشر بن عمر ثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير مع الرسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمناهم^(١) ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما أحببتهم فكانوا يقولون إنه لا يحل لنا أنهم أذنوا من غير طيب نفس فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ عَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْوتِكُمْ أَوْ بَيْوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بَيْوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بَيْوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بَيْوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بَيْوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بَيْوتِ عِمَائِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ﴾.

قال البزار: لا نعلمه رواه عن الزهري إلا صالح.

قال الحافظ الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ٨٤: رواه البزار ورجال الصحيح.

وقال السيوطي في لباب النقول: سنده صحيح.

(١) في مختار الصحاح: الضمانة الزمانة وقد ضمن الرجل من باب طرب فهو ضمن أي زمن مبتلى.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ أي: لا إثم عليه إذا تأخر عن الجهاد وكذلك الأعرج والمريض فهؤلاء رفع عنهم الحرج والإثم عن الجهاد أو الأكل لوحده أو مع الأقارب الذين ذكروا في الآية أو الصديق ما دام أنه قد أذن لهم، وهذا من لطف الله بالناس أنه سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وقول عائشة رضي الله عنها: كان المسلمون يرغبون في النفير. أي: في الخروج للجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا حبهم للدين والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يدفعون مفاتيح بيوتهم إلى المرضى ليحرسوا البيوت وغير ذلك ويأذنون لهم في الأكل فالزمنى يتخرجون أن يأكلوا من بيوت أقاربهم وأصدقائهم فأخبر الله أنه لا إثم عليهم ما دام أن صاحب البيت قد أذن والحمد لله.

وفيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التحري للحق والتحري في أكل الحلال والورع رضي الله عنهم أجمعين.

سورة الفرقان

قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩.

في الدر المنثور ج ٥ ص ٦٨ أخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا معيط كان يجلس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمراً قال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال: ما لك لا ترد عليّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ فقال: أو قد فعلتها قريش قال: نعم، قال: فما يبريء صدورهم إن أنا فعلت؟ قال تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً» فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبي أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدركه فلو كانت الهزيمة طرت عليه،

فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحلَّ^١ به جملة في جدد من الأرض فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء. قال: «نعم بما بزقت في وجهي»، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾.

الحديث لم يتيسر لي الوقوف على سنده لكن في مصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٥٥، ٣٥٦ وتفسير ابن جرير قصة تشبهها وهي مرسله لكن بدل عقبة بن أبي معيط أبي بن خلف. ونحن الآن متوقفون من الحكم عليه لأن السيوطي رحمته الله متساهل.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الظالم هنا هو المشرك يقضم يديه ويعضها حسرة وندماً على ما فرط في حق الله وما فرط في متابعة النبي ﷺ. والآية وإن نزلت في عقبة بن أبي معيط أو غيره فهي عامة، فالكافر المخالف لرسول الله ﷺ لا شك أنه سيندم أشد الندم ويتأسف أشد الأسف ويعض على يديه، والمتندم في الدنيا يمكن يعض على أصبعه.

أما الكافر لشدة الندم يعض على اليدين جميعاً. فالواجب على الإنسان أن يستقيم على الحق ويحذر من مخالفة رسول الله ﷺ قبل يوم الحساب ولا يجالس الأشرار فيردوه. ولهذا يقول المفرط: ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أي في الدنيا، وسبيلاً، طريقاً ومنهجاً.

(١) الوحل: الطين الرقيق ووحل الرجل أي وقع في الوحل. اهـ. مختار الصحاح باختصار.

.....
والظلم أنواع أعظمه الإشراك بالله ثم بعد ذلك ارتكاب الكبائر كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا وشهادة الزور، ونحو ذلك. فعلى المسلم أن يحذر من عقاب الله تعالى، وإن كانت الآية في الكفار، ولكن يستفاد منها التحذير من الظلم والمخالفات ومن مجالسة الأشرار.

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ الآية ٦٨.

البخاري ج ١٠ ص ١٠٩: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان قال: حدثني منصور وسليمان عن أبي وائل عن أبي ميسرة عن عبد الله قال^(١): وحدثني واصل عن أبي وائل عن عبد الله ﷺ سألت أو سئل رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾.

الحديث ذكره البخاري ﷺ في مواضع منها ج ١٥ ص ٢٠٤، ج ١٧ ص ٢٨٩، ومسلم ج ٢ ص ٨٠، والترمذي ج ٤ ص ١٥٧ وعنده وتلا هذه الآية، وأبو داود ج ٢ ص ٢٦٣، وأحمد ج ١ ص ٣٨٠، وابن جرير ج ١٩ ص ٤١، وأبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٤٥، ١٤٦.

سبب آخر:

قال البخاري ﷺ ج ١٠ ص ١٧٠: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى: أن سعيد بن جبيرة أخبره عن ابن عباس

(١) فاعل قال هو سفيان الثوري كما في الفتح.

﴿قَالَ اللَّهُ تَبَّ﴾: أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾.

الحديث أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٣٩ والنسائي ج ٧ ص ٨٠.
ولا مانع أن تكون الآية نزلت للسببين معًا والله أعلم.

التعليق:

وقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ نفى الله تعالى عن عباده المؤمنين الموحدين الشرك وهذه الصفات الذميمة والشنيعة وأخبر أنهم اتصفوا بضعها بالتوحيد والعفاف والرحمة، ووعدهم على ذلك الجنة، ثم أخبر سبحانه أن من اتصف بصفات الشرك أو قتل النفس بغير حق والزنى ولم يتب بأنه سيلقى أثامًا وعذابًا أليًا.

ومما يتعلق بمعنى الآية ما أخرجه النسائي في تفسيره قال رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد نا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا إنما هي أربع فما أنا بأشح عليهن مني منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ ﴿ألا تشركوا بالله شيئاً﴾ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ قال حمزة: ولا تسرقوا ولا تزنوا.

ورواه الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٣٩ قال: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور به، وذكر الأربع وفيه مرفوعًا (ولا تسرقوا ولا تزنوا) وهو صحيح على شرط مسلم.

و عن المقداد بن الأسود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره» قال: فقال: «ما تقولون في السرقة» قالوا:

.....
حرّمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره».

رواه الإمام أحمد ج ٦ ص ٨ وفي الآية والأحاديث دليل على خطر الشرك والكبائر المذكورة في الآية، ولكن من تاب بصدق وإخلاص وعمل صالحاً تاب الله عليه. ومعنى قوله: ﴿يلق أثاماً﴾ أي عذاباً ونكالاً، ﴿يضاعف له العذاب﴾ هذه الجملة بدل من الأولى وهي مفسرة لأثام.

قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الآية ٧٠.

البخاري ج ٨ ص ١٦٧: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور، حدثني سعيد بن جبير أو قال: حدثني الحكم عن سعيد بن جبير، قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزي قال: سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا﴾ فسألت ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركو أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله ودعونا مع الله إلهها آخر وقد أتينا الفواحش فأنزل الله: ﴿إلا من تاب﴾ وأما التي في النساء الرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزاؤه جهنم خالدًا فيها. فذكرته لمجاهد فقال: إلا من ندم. الحديث أعاده في تفسير الفرقان ج ١٠ ص ١٢، وأخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٥٩، وأبو داود ج ٤ ص ١٦٨، وابن جرير ج ١٩ ص ٤٢.

التعليق:

في هذه الآية فضل التوبة فمن تاب من الكبائر ولو من الشرك قبل منه إذا تاب توبة صادقة، والقاتل لمؤمن عمدًا فلا يخلد في النار لما دلت عليه أحاديث الشفاعة منها قوله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان... إلخ» متفق عليه عن أنس. وقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». ورد من حديث جماعة من الصحابة. وقال ﷺ: «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أشمل». وغير ذلك من الأحاديث في الباب.

وقال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ودون الشرك الكبائر والصغائر، فإن شاء تفضل بالعتو وإن شاء عاقب بقدر الذنب أو يقبل فيهم شفاعة الشافعين سبحانه. وأما ابن عباس وإن قال: ليس للقاتل عمداً توبة فهو اجتهاد منه، والأدلة على خلاف قوله، وأيضاً قد خالفه جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

قال الحافظ ابن جرير في تفسير سورة النساء بعد أن ذكر الأقوال للمفسرين واختلافهم عن معنى الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ ٩٢: قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ ولكنه يعفو ويتفضل على أهل الإيثار به ويرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار وإما أن يدخله إياها ثم يخرجها منها بفضل رحمته لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. اهـ.

قلت: ومما يؤيد كلام ابن جرير رحمته الله الحديث المتفق عليه: عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتها كان أدنى فهو له فقاوسه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة». هذا لفظ مسلم.

فإذا كان هذا في بني إسرائيل فالله عز وجل أرحم بهذه الأمة، وقد رفع عنها الإصر والأغلال، وهذا القول هو الذي نصره القرطبي في سورة النساء، وهو أن للقاتل عمداً توبة. وهو قول جمهور أهل العلم والله أعلم.

وقال الشيخ الشنقيطي في رفع إيهام الاضطراب بعد ذكر آية النساء وما في ظاهر الأدلة الأخرى من المعارضة قال: وللجمع بين ذلك أوجه، منها أن قوله: ﴿فجزاءه جهنم خالداً فيها﴾ أي إذا كان مستحلاً لقتل المؤمن عمداً لأن مستحل ذلك كافر، قاله عكرمة وغيره... إلخ. الوجه الثاني أن المعنى فجزاؤه، إن جوزي مع إمكان ألا يجازي إذا تاب أو كان له عمل صالح يرجح بعمله السيئ، وهذا قول أبي هريرة وأبي مجلز وأبي صالح وجماعة من السلف. الوجه الثالث: أن الآية للتغليظ في الزجر، ذكر هذا الوجه الخطيب والألوسي في تفسيريهما وعزاه الألوسي لبعض المحققين واستدلا عليه بقوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ على هذا القول بأن معناه ومن لم يحج، ويقول صلى الله عليه وسلم الثابت في الصحيحين للمقداد حين سأله عن قتل من أسلم من الكفار بعد أن قطع يده في الحرب: «لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله وإنك بمنزلة قبل أن يقول الكلمة التي قال».

وهذا الوجه من قبيل كفر دون كفر وخلود دون خلود فالظاهر أن المراد به عند القاتل به أن معنى الخلود المكث الطويل والعرب ربما تطلق اسم الخلود على المكث، ومنه قول لبيد:
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا ضماً خوالد ما يبين كلامها
إلا أن الصحيح في معنى الآية الوجه الثاني والأول وعلى التغليظ في الزجر حمل بعض العلماء كلام ابن عباس أن هذه الآية ناسخة لكل ما سواها والعلم عند الله تعالى.

قال الشنقيطي: الذي يظهر أن القاتل عمداً مؤمن عاصي له توبة كما عليه جمهور علماء الأمة وهو صريح قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن﴾ الآية وادعاء تخصيصها بالكفر لا دليل عليه وبدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ وقد

توافرت الأحاديث عن النبي ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وصرح تعالى بأن القاتل أخو المقتول في قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ الآية، وليس أخو المؤمن إلا مؤمن، وقد قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ فسأهم مؤمنين مع أن بعضهم يقتل بعضًا.. إلخ. اهـ المراد.

سورة القصص

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية ٥١.

ابن جرير ج ٢٠ ص ٨٨: حدثني بشر بن آدم قال: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾.

الحديث أخرجه الطبراني ج ٥ ص ٥٣ و ٥٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٨٨: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل رجاله ثقات وهو هذا، والآخر منقطع الإسناد.

التعليق:

وقوله: عن يحيى بن جعدة قال: نزلت هذه الآية.. إلخ.

هذا مرسل لأن يحيى بن جعدة تابعي ثقة وليس بصحابي ولكن هنا وقع سقط والصواب ما عند ابن جرير بسنده عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظي وهو كذلك عند الطبراني ج ٥ ص ٥٣، وفي مجمع الزوائد، ورفاعة هو ابن قرظة القرظي.

ورواه ابن جرير فقال: ثنا ابن سنان قال: ثنا حيان قال: ثنا حماد عن عمرو عن يحيى بن جعدة عن عطية القرظي قال: نزلت فذكره.

فجعله من حديث عطية وهو صحابي صغير فالأسانيد التي فيها عن رفاعة أقوى، ولا يضر هذا الخلاف.

ومعنى الآية: قال ابن جرير رضي الله عنه: يقول تعالى ذكره: ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش

ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللتنا بهم من بأسنا إذ كذبوا رسلنا وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم واحتذى في الكفر بالله وتكذيب رسله مثاهم ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا وأصله من وصل الجبال بعضها ببعض ومنه قول الشاعر:

فقل لبني مروان ما بال ذمة وجبل ضعيف ما يزال يواصل
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله فقال بعضهم:
معناه بينا، وقال بعضهم: معناه فصلنا. اهـ المراد.

وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿ووصلنا لهم القول﴾ هم قريش. وقال ابن عطية: وقال الجمهور: معنا وصلنا لهم في القرآن وتابعتاه موصولاً بعبءه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام، قال الحسن: وفي ذكر الأمم المهلكة وصلت لهم قصة بقصة حسب مرور الأيام. اهـ من المحرر الوجيز ج ٤ / ٢٩١.

قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية ٥٦.

مسلم ج ١ ص ٢١٦: حدثنا محمد بن عباد وابن أبي عمر قالوا: حدثنا مروان عن يزيد وهو ابن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعنه عند الموت: «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فأبى فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية. وأخرجه من طريق أخرى تنتهي إلى يزيد بن كيسان وفيه قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها^١ عينك فأنزل الله الآية. الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٥٩ وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان، وأحمد ج ٢ ص ٤٤١، وابن جرير ج ٢ ص ٩١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٣٤٣ و٣٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان ص ٥٤، وقد تقدم الحديث المتفق عليه من حديث المسيب بن حزن في سورة التوبة.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ومعنى قوله: ﴿لا تهدي من أحببت﴾ أي لا توفق ولا تملك هداية من أحببت هدايته أو أحببته لقربته، وهذه كقوله تعالى: ﴿من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له﴾ فالله هو الذي يوفق لدينه والإيمان به من يشاء، فالهداية تنقسم إلى قسمين هداية إلهام وتوفيق، فهذه لا يملكها إلا الله تعالى، وهي التي نفاها الله عن نبيه في سورة القصص ونفاها عنه وعن غيره في آيات أخرى، والقدرية ضلوا من هذا

(١) في هذا رد على من يدعي إسلام أبي طالب وإن كنت تريد المزيد راجعت الإصابة.

.....
الباب حيث أنهم يأخذون ببعض الأدلة ويتركون البعض. وأما الهداية التي بمعنى البيان والإرشاد فهي التي أثبتها الله لنبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ وأيضًا أثبتها لبعض الخلق أيضًا بقوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾، والمصنف رحمه الله ذكر حديث أبي هريرة ؓ وقد تقدم سبب نزول هذه الآية والتي في التوبة: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعرض عليه الإسلام فلم يسلم... إلخ. القصة متفق عليها.

سورة العنكبوت

قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ الآية ٨.

مسلم ج ١٥ ص ١٨٥: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قالوا: حدثنا الحسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا سماك بن حرب حدثني مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت: زَعَمْتُ أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وفيها ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ قال: وأصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: أنفلني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله فقال: «رده من حيث أخذته» فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتنى نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطني، قال فشد لي صوته: «رده من حيث أخذته». قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي ﷺ فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت قال: فأبى، قلت: فالنصف، قال: فأبى، قلت: فالثلث، قال: فسكت فكان بعد الثلث جائزاً قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمرًا وذلك قبل أن يُحرّم الخمر قال: فأتيتهم في حش - والحش البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر قال: فأكلت وشربت معهم قال: فذكرت

الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار فأخذ رجل أحد لحى الرأس فضربني به فجرح بأنفي. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فأنزل الله عز وجل: في - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾. الحديث أخرج الترمذي منه الخصلة الأولى، وأشار إلى بقيته وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد ج ١ ص ١٨١، ١٨٦ بتامه في الموضوعين، وفي الموضوع الأول ذكر الآية التي في سورة لقمان، والطيالسي ج ٢ ص ١٨، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٣، والطبري ج ٢١ ص ٧٠ وفيه آية لقمان.

فإما أن تكونا نزلتا معاً، وإما أن يكون اضطرب فيها سماك بن حرب فإنه ﷺ يضطرب في كثير من الأحاديث والله أعلم.

التعليق:

فقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ هذا أمر من الله تعالى للعباد بالرفقة والرحمة بالوالدين والإحسان إليهما بالمال والكلام والخدمة وغير ذلك لأنها السبب بعد الله تعالى في وجود الإنسان ومنها الرحمة والشفقة على الولد، والوالد ينفق ويعمل كثيراً من أجل أولاده، والأم حملت وولدت وعانت المصاعب وعندها من الشفقة والخدمة لولدها ما الله به عليم، فلذا يجب برهما كما قال تعالى أيضاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِيمَا كَمَا رَحِمْتَنِي صَغِيرًا﴾ فهذه الوصية بالإحسان إلى الوالدين وإعظام حقهما تحت على المحافظة على برهما واللفظ بهما مع المحافظة على حق الله، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ يعني إذا أمرك بترك الدين وأمرك بالإشراك بالله وهلاكك على ذلك فلا تطعهما، ومع هذا تصاحبهما في الدنيا معروفًا، ولا طاعة لمخلوق في

.....

معصية الخالق، وقال النبي ﷺ: «إنها الطاعة بالمعروف». والحمد لله. وفي قصة سعد دليل على ما قلنا وفيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الثبات والفهم للدين والولاء لله ولرسوله ولو خالفوا أقرب الناس إليهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ الآية ١٠.

تقدم سبب نزولها في سورة النحل.



سورة لقمان

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الآية ١٣ .

البخاري ج ١ ص ٩٥: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا شعبة (ح) قال: وحدثني بشر قال: حدثنا محمد عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينما لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

الحديث أخرجه أيضًا في كتاب التفسير ج ٩ ص ٣٦٣، وأخرجه الطيالسي ج ٢ ص ١٨.

تنبيه:

قال الحافظ في الفتح ج ١ ص ٩٥: اقتضت رواية شعبة هذه أن هذا السؤال سبب نزول الآية الأخرى التي في لقمان، لكن رواه البخاري ومسلم من طريق أخرى عن الأعمش وهو سليمان المذكور في حديث الباب ففي رواية جرير عنه - فقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال: «ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان»، وفي رواية وكيع عنه فقال: «ليس كما تظنون» وفي رواية عيسى بن يونس: «إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان». وظاهر هذا أن الآية التي في لقمان كانت معلومة ولذلك نبههم عليها. ويحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال فتلاها عليهم ثم نبههم فتلتهم الروايتان. اهـ.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الظلم أنواع وهذا أعظم أنواع الظلم لأنه اعتداء على حق الله وهو ترك التوحيد وارتكاب الشرك والاستهزاء بالله ويجعل الله ندًا وهو خلقه، والظلم نوعان، ظلم الإنسان نفسه فيما يتعلق بحق الله وهذا منها وترك بعض الواجبات أو الواجبات كلها وارتكاب بعض المحرمات. وظلم يتعلق بحق المخلوق، مثل، سفك دمه وانتهاك عرضه بالسب واللعن والقذف وغير ذلك وأخذ ماله وتخويه، ولا بد من التوبة من الظلم كله فإذا كان الإنسان ظلم نفسه بالمعاصي التي بينه وبين الله يجب عليه الندم وترك المعصية والإقلاع عنها والعزم على ألا يعود إليها ومن أعظمها الشرك والسحر وغير ذلك، وإن كان يتعلق بحق الناس فيجب عليه أن يرد المظلمة إلى صاحبها أو يتسامح منه، المهم يتحلل منها قبل أن لا يكون دينارًا ولا درهماً، وقول الصحابة عليهم السلام: أينما لم يظلم نفسه، فهموا أن جميع المعاصي ظلم للنفس ولكن أخبرهم أن الذي له الأمن في الآخرة هو الذي لم يشرك بالله شيئاً ولم يظلم نفسه بالشرك، والقرآن يبين بعضه بعضاً والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الشارح أيضًا لما أشكل، والمعاصي تتفاوت في الإثم، فمنها كبائر وأكبر الكبائر، ومنها صغائر، وفي الآية خطر الشرك وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». متفق عليه.

سورة السجدة

قوله تعالى:

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ الآية ١٦ .

قال الترمذي ج ٤ ص ١٦١ : حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعد عن أنس بن مالك عن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة، هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه ابن جرير ج ١٢ ص ١٠٠، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: سنده جيد.

التعليق:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾ أي ترتفع عن مضاجع النوم ومعناه أنهم تركوا النوم والراحة على الفراش وأقاموا الليل بالصلاة والذكر والتلاوة للقرآن، وقوله: ﴿ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ هي مواضع النوم والفراش، وفي الآية فضل قيام الليل، والأدلة على فضل قيام الليل كثيرة كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل صلاة بعد الفريضة صلاة الليل». والله يقول: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ وقول أنس ؓ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة، أي كانوا ينتظرون صلاة العشاء يذكرون الله ويصلون نافلة حتى يأتي وقت صلاة العشاء وكانوا في ذلك الوقت يؤخرون صلاة العشاء ربما إلى ثلث الليل الأول ونحو ذلك، فالعشاء تسمى العتمة لتأخرها من الليل. قال في القاموس: والعتمة محرمة، ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة.

.....

وإن كان سبب نزول الآية انتظارهم صلاة العشاء والدعاء في ذلك الوقت ولكن لا يتنافى أن النافلة في آخر الليل أفضل من التنفل من أول الليل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن صلاة آخر الليل مشهودة». وأيضًا الله عز وجل ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له. والحديث في الصحيحين.

سورة الأحزاب

قوله تعالى:

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية ٥.

البخاري ج ١ ص ١٣٦: حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا موسى بن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

الحديث قال الحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٦: أخرجه مسلم والترمذي^(١) والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به وأخرج البخاري ج ١١ ص ٣٤، وأبو داود ج ٢ ص ١٨١ والنسائي ج ٦ ص ٥٣، وأحمد ج ٦ ص ٢٧١، وعبد الرزاق ج ٧ ص ٤٦٠، ٤٦١ والدارمي ج ٢ ص ١٥٨، وابن الجارود ص ٢٣١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتت سهلة بنت سهيل بن عمرو (كانت تحت أبي حذيفة بن عتبة) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن سالمًا يدخل علينا وإنا فضل وإنا كنا نراه ولدًا وكان أبو حذيفة تبناه كما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا فأنزل الله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الحديث. فلعل الآية نزلت فيها معًا والله أعلم.

(١) قال الترمذي ج ٤ ص ١٦٥: هذا حديث حسن صحيح.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ هذا توجيه من الله لنبيه محمد صل الله عليه وسلم ولأمته أن يدعوا مواليتهم وأدعيائهم إلى آبائهم ولا ينسبونهم إلى أنفسهم هذا أعدل عند الله وأصدق قولاً وأصوب، وإن كان هذا مشهوراً في الجاهلية وفي أول الإسلام فكان جائزاً أن يتبنى غير ولده من صلبه وربها ورثه، ثم نسخ هذا ووجب أن ينسب الولد لأبيه الحقيقي إن كان معلوماً فإن لم يعرف أبوه فيدعى بالمولى أو بالأخوة أن يقال: يا أخي يا مولاي، هذا هو العدل والصواب، وأما إذا سبق اللسان ودعا مولاه بالبنوة ولم يتعمد فلا إثم عليه ولكن يصوب ويرجع إلى الحق.

تنبيه:

ظاهر التبني لم يقتصر على المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام وإنما عادت هذه الظاهرة من جديد في عصرنا وفي زمننا هذا وبأشد مما كانت عليه الجاهلية وتعددت صورها، فمنها مثلاً: مسألة اللقيط، فبعض الناس يلتقط لقيطاً فيربيه، ثم ينسبه إلى نفسه ويورثه ويعامله معاملة الابن لصلبه، وهذا حرام ولا يجوز في شرع الله، والصورة الثانية ما يحصل في بعض البلدان من شراء الأطفال سرّاً فيشتره ثم ينسبه إلى نفسه، وهذا من المنكر، وكذلك بعض الناس قد يهدي ولدًا له لغيره ممن ليس له ولد فينسبه المهدي إليه إلى نفسه، وأما في بلاد الكفر فحدث ولا حرج.

قوله تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ الآية ٢٣.

البخاري ج ٦ ص ٣٦١: حدثنا محمد بن سعيد الخزازي حدثنا عبد الأعلى عن حميد قال: سألت أنسًا. قال: وحدثني عمرو بن زرارة حدثنا زياد قال: حدثني حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر لك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ریحها من دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثلَّ به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بينانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية.

هذا الحديث ذكره أيضًا في كتاب التفسير ج ١٠ ص ١٣٦ مختصرًا بسند آخر ينتهي إلى أنس، وقال الحافظ في الفتح ج ٦ ص ٣٦١، والحافظ ابن كثير في التفسير ج ٣ ص ٤٧٥ وقا. أخرجه مسلم والترمذي ^(١) والنسائي من رواية ثابت عن أنس. وأخرجه أحمد ج ٣

(١) قال الترمذي ج ٤ ص ١٦٣: هذا حسن صحيح.

ص ١٩٤، والطيالسي ج ٢ ص ٢٢، وابن جرير ج ٢١ ص ١٤٧، وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١٢١، وعبدالله بن المبارك في الجهاد ص ٦٨.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ لما ذكر المنافقين وأنهم لم يفوا بما عاهدوا الله بل نقضوا العهد وتركوا الجهاد ونصرة النبي ﷺ، نسي بذكر المؤمنين الصادقين في أفعالهم وأقوالهم، فالأفعال وافقت الأقوال ووفوا بما عاهدوا الله عليه من الجهاد والنصرة لدين الله ورسوله ﷺ، وعلى الصبر في البأساء والضراء، والإنفاق في سبيل الله. وقال سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ قال البخاري: أي: عهده. أي: فرغ من العمل الذي كان عاهد عليه وقام بالواجب فاستشهد يوم بدر وبعضهم يوم أحد. والنحب عند العرب: النذر، وقيل: النحب: النفس، وقيل: غير ذلك، وقيل: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أجله، والمعنى هو: يرجع إلى ما تقدم. وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ أي: من ينتظر أن يوفي بما عاهد عليه من النصر والظفر من الله تعالى على عدوهم، أو ينتظر الموت والشهادة واللحوق بمن مضى من أصحابه. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ الآية ٣٥.

النسائي ج ٢ ص ١٥:- أخبرنا عمرو بن علي قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا ابن أبي ذئب قال: حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس وذلك قبل أن ينزل في القتال ما أنزل الله عز وجل: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأقام لصلاة الظهر فصلاها كما كان يصليها لوقتها، ثم أقام للعصر فصلاها كما كان يصليها في وقتها ثم أذن للمغرب فصلاها كما كان يصليها في وقتها، الحديث رجاله رجال الصحيح وأخرجه ابن جرير ج ٢١ ص ١٤٩.

التعليق:

قوله سبحانه: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي نصر الله نبيه والمؤمنين بجنود من الملائكة وبالريح الذي أرسله على المشركين ففرق جمعهم وشتتهم وأزعجهم كما في الآية المتقدمة ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها...﴾ ورد الله كيد المشركين ودفع عن المؤمنين شر الكفار بقدرته وقوته سبحانه بدون قتال من المسلمين للمشركين، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده» رواه البخاري في المغازي [٤١١٤] ومسلم [٢٧٢٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه. وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم». رواه البخاري في المغازي ومسلم برقم [١٧٤٢]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاثا مرار ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون

تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». رواه البخاري [٤١١٦] ومسلم [١٣٤٤].

وعن جابر رضي الله عنه في صفة حجة الوداع كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صعد على الصفا استقبل القبلة فوحده الله وكبره وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك. رواه مسلم في الحج [١٢١٨] في حديث طويل.

وأما قول أبي سعيد رضي الله عنه: «شغلنا المشركون عن صلاة الظهر». إلخ. ففي الصحيحين عن علي رضي الله عنه مرفوعاً أنه قال يوم الخندق: «ملا الله عليهم بيوتهم وقبورهم نازاً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس». وجاء معناه عن ابن مسعود. وعن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله ما صليتها» فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب. متفق عليه.

فهذه الأحاديث لا تنافي ما زاده أبو سعيد أنه لم يصلي الظهر. والله أعلم. وفي حديث أبي سعيد فائدة وهو أن هذا كان قبل نزول آية صلاة الخوف ﴿فرجالاً أو ركبانا﴾. وفي هذه الأحاديث وجوب ترتيب الصلاة الظهر قبل العصر، والعصر قبل المغرب، إذا نسيها الإنسان أو نام عنها، ويؤخذ الوجوب من هذا الفعل ومن قوله صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، رواه البخاري.

مسألة:

قال البخاري رضي الله عنه في صلاة الخوف:

باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو.

وقال الأوزاعي: إن كان تهباً الفتح ولم يقدرُوا على الصلاة صلوا إيماناً كل امرئ لنفسه فإن لم يقدرُوا على الإيماء أخوا الصلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين فإن لم يقدرُوا

صلوا ركعة وسجدتين فإن لم يقدرُوا لا يجزئهم التكبير ويؤخروها حتى يأمنوا وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدرُوا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا وقال أنس بن مالك وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها. وذكر البخاري حديث جابر قال: جاء عمر يوم الخندق... إلخ.

وقال الحافظ في الفتح ج ٢ ص ٥٢٧ على الترجمة [باب الصلاة عند مناهضة الحصون..] أي عند إمكان فتحها وغلبة الظن على القدرة على ذلك.

وقال الزين بن المنير: كأن المصنف خص هذه الصورة لاجتماع الرجاء والخوف في تلك الحالة فإن الخوف يقتضي مشروعية صلاة الخوف والرجاء بحصول الظفر يقتضي اغتفار التأخير لأجل استحکال مصلحة الفتح، فلهذا خالف الحكم في هذه الصورة الحكم في غيرها عند من قال به. اهـ. قلت: فهذه المسألة دقيقة ومفيدة.

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر سياق البخاري وما استدلل به قال: وهذا يدل على اختيار البخاري لهذا القول، والجمهور على خلافه ويعولون على أن صلاة الخوف على الصفة التي ورد بها القرآن في سورة النساء ووردت بها الأحاديث لم تكن مشروعة في غزوة الخندق وإنما شرعت بعد ذلك، وقد جاء مصرحاً بهذا في حديث أبي سعيد وغيره وأما مكحول والأوزاعي والبخاري فيجيبون بأن مشروعية صلاة الخوف بعد ذلك لا تنافي جواز ذلك لأن هذا حال نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا بدليل صنيع الصحابة زمن عمر في فتح تستر وقد اشتهر ولم ينكر. والله أعلم. اهـ. من التفسير من سورة البقرة آية ٢٣٩ ج ١ ص ٥٤٦.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ وَأَسَرَّخْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الآيتان ٢٨، ٢٩.

البخاري ج ٦ ص ٣٩: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله لهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما فحججت سعه فعدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما فقال وا عجبني لك يا ابن عباس عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال إني كنت وجلي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره وإذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني فقلت خابت من فعل منهن بعضهم ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب إحدان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفأمن أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فهلكين لا تستكثري على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا

تراجعيه في شيء ولا تهجره واسألني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي
أوضاً منك وأحب إلى رسول الله ﷺ يريد عائشة وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال
لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال أنائم هو
ففزعت فخرجت إليه وقال حدث أمر عظيم قلت ما هو أجهت غسان قال لا بل
أعظم منه وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه قال قد خابت حفصة وخسرت كنت
أظن أن هذا يوشك أن يكون فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ
فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي قلت ما يبكيك أولم
أكن حذرتك أطلقكن رسول الله ﷺ قالت لا أدري هو ذا في المشربة فخرجت
فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد
فجئت المشربة التي هو فيها فقلت لغلام له أسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي ﷺ
ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فأنصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر
ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما
أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فذكر مثله فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام
يدعوني قال أذن لك رسول الله ﷺ فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير
ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من آدم حشوها ليف
فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم طلقت نساءك يا رسول الله؟ فرفع بصره إلي فقال لا
ثم قلت وأنا قائم أستأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما
قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره فتبسم النبي ﷺ ثم قلت لو رأيتني ودخلت
على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضاً منك وأحب إلى النبي ﷺ

ص ٨٧ و ١٦٣ و ص ١٨٥ و ٢١٢ و ٢٤٨ و ٢٦٤ مقتصرًا في الجميع على حديث عائشة، وابن الجارود ص ٢٧٤، وابن جرير ج ٢١ ص ١٥٨ - وذكره الإمام أحمد بتمامه

ج ١ ص ٣٣.

قال الإمام مسلم ج ١٠ ص ٨٠: وحدثنا زهير بن حرب حدثنا روح بن عبادة حدثنا زكرياء بن إسحق حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لأقولن شيئا أضحك النبي ﷺ فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمتم إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ حتى بلغ: ﴿للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يعثني معتبا ولا متعتتا ولكن بعثني معلما ميسرا».

الحديث أخرجه أحمد ج ٣ ص ٣٢٨.

التعليق:

ف قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَوِّجَكِمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ في هذه الآية التزهيد في الدنيا والتقليل منها للرجال والنساء والصبر على قلة ذات اليد وينبغي للمرأة أن تصبر مع زوجها الصالح ولو كان فقيرًا وتحسب الأجر من الله إقتداءً بنساء النبي ﷺ حيث خيرهن بالبقاء أو الفراق فاخترن البقاء على أي حالة تكون مع رسول الله ﷺ، ويستفاد من هذه القصة والآية أن الزوج إذا كان معدما ولم تستطع زوجته أن تبقى معه وطلبت الفراق فعليه أن يفارقها ولا يحل له إمساكها وهو فقير لا يستطيع أن يطعمها ويسكنها في أدنى حالة المعيشة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ فإن أبى الزوج أن يفارقها فرق بينهما الحاكم، وهذا قول جمهور أهل العلم واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أفضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني إلى من تدعني» فقالوا: يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال لا هذا من كيس أبي هريرة. رواه البخاري برقم [٥٣٥٥]. وغيره من الأدلة التي تدل على وجوب النفقة على الزوجة. وقال الحافظ في الفتح: «استدل بقوله: «إما أن تطعمني وإما أن تطلقني» من قال يفرق بين الرجل وامرأته إذا عسر بالنفقة واختارت فراقه وهو قول جمهور العلماء، وقال الكوفيون: يلزمها الصبر وتتعلق النفقة بذمته ومال إلى قول الجمهور.

وقال الشوكاني في النيل: وحكاها صاحب البحر- يعني أنه يفرق بينهما - عن علي وعمر وأبي هريرة والحسن البصري وسعيد بن المسيب وحماد وربيعه ومالك وأحمد بن حنبل والشافعي والإمام يحيى.. إه المراد.

قلت: وقد صح عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: لا يطلقها، يعطيها ما استطاع. وصح عن الزهري محمد بن مسلم أنه قال: تستأني ولا يفرق بينهما ولا يطلقها، وذكر عن عمر بن عبد العزيز مثله كما

في مصنف عبد الرزاق.

أثر سعيد بن المسيب وغيره.

قال الإمام عبد الرزاق في المصنف ج ٧ ص ٩٦: عن الثوري عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب قال: إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته جبر على أن يفارقها. سنده صحيح. وقد روي من غير وجه عنه وهو قول حماد وقتادة. روى هذه الآثار عبد الرزاق.

وعن الإمام مالك أنه بلغه أن سعيد ابن المسيب كان يقول: إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته فرق بينهما. قال مالك: وعلى ذلك أدركت أهل العلم ببلدنا. أخرجه في الموطأ ص ٤٤١ باب جامع الطلاق.

وروى الشافعي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى أمراء الأجناد في رجال غابوا عن نسائهم يأمرهم أن يأخذوهم أن ينفقوا أو يطلقوا فإن طلقوا بعثوا بنفقة ما حبسوا. كما في الأم ج ٥ ص ١٣٢، وأخرجه البيهقي من طريق الشافعي به كما في السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٦٩ باب الرجل لا يجد نفقة امرأته. وفي سنده مسلم بن خالد وهو الزنجي فيه ضعف. وقد ذكر ابن عبد البر في الاستذكار سنداً أخر ج ١٨ ص ١٦٧ قال رضي الله عنه: حدثني عبد الوارث بن سفيان قال: حدثني قاسم بن أصبغ قال: حدثني محمد بن عبد السلام قال: حدثني محمد بن عمر قال: حدثني سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كتب فذكره. وهذا سند حسن. شيخ ابن عبد البر عبد الوارث هو القرطبي حبيب قال الذهبي في السير ج ١٧ ص ٨٤ المحدث الثقة العالم الزاهد أبو القاسم القرطبي. أكثر عن قاسم بن أصبغ وكان ملياً به. وقاسم بن أصبغ قال الذهبي في سير النبلاء قاسم بن أصبغ... الإمام الحافظ العلامة محدث الأندلس وقال: سمع من بقى بن مخلد.. ومحمد بن عبد السلام الخشني ومحمد بن عبد السلام هو الخشني قال الذهبي في السير: الخشني، الإمام الحافظ المتقن اللغوي العلامة أبو الحسن..

القرطبي.. وحج ولقي الكبار وحمل عن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ومحمد بن بشار.. قلت: وفي السند تصحيح، فمحمد بن عمر صوابه محمد بن أبي عمر العدني صدوق أكثر عنه مسلم بن الحجاج وابن أبي عمر أكثر أيضاً عن سفيان، وبقية الرجال ثقات أئمة معروفون، فصح أثر عمر والحمد لله على توفيقه، إلا أن لفظه (فإن طلقوا فليبعثوا بنفقة ما حبسوا) ينظر هل لها متابع، فإن كانوا معدمين فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وفي الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا وعدم المبالاة بها، فأسأل الله أن يلحقنا به سالمين، ولا يغتر بها عليه المشركون من الدنيا فالله يقول لنبيه ﷺ: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ آل عمران ١٩٦.

وفي الحديث جواز هجر الرجل زوجته أو زوجته أكثر من ثلاثة أيام للتأديب.

وفيه أن الشهر قد يكون تسعة وعشرين.

وفيه الحذر من مكر النساء وقد تقع المرأة في الخطأ مع كبر صلاحها، وفي القصة فوائد كثيرة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية ٣٥.

الترمذي ج ٤ ص ١١٦: حدثنا عبد بن حميد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين عن عكرمة عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية هذا حديث حسن غريب وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه.

وأخرج الحاكم ج ٢ ص ٤١٦ من حديث أم سلمة نحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي. لكن مجاهد كثير الإرسال عن الصحابة فلا يدري أسمعته من أم سلمة أم لا وإنما ذكرته شاهداً وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس نحوه قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩١: وفيه قابوس وهو ضعيف وقد وثق. ثم رأيت الحافظ ابن كثير رحمه الله قد ذكر لحديث أم سلمة في تفسيره ج ٣ ص ٤٧ طريقين آخرين فجزاه الله خير الجزاء على حرصه على جمع طرق الحديث.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ...﴾ الآية. كلها فيها صفات عظيمة للمسلمين فمن اتصف بها أو بأكثر فهو من الفائزين، والمسلم هو الذي استسلم لله بالتوحيد وانقاد له بالطاعة، والمؤمن هو من قام بأركان الإسلام والإيمان لأن الإيمان عند أهل السنة هو: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

﴿والقانتين والقانتات﴾ أي المطيعين والمطيعات لله تعالى. ﴿والصادقين﴾ أي الله في أقوالهم وأفعالهم وما عاهدوا الله عليه. ﴿والصابرين﴾ على ما قدر الله عليهم من المصائب والصابرين على طاعة الله ولو حصل لهم ما حصل. ﴿والخاشعين﴾ أي: قلوبهم خائفة من الله تعالى ووجلته. ﴿والمتصدقين﴾ والمتصدقات ﴿الصدقة هي: الإحسان إلى الناس بالمال وقد تكون الصدقة واجبة أو مستحبة. ﴿والصائمين والصائمات﴾ أي: شهر رمضان وما استطاعوا من النوافل في الصوم. ﴿والحافظين فروعهم والحافظات﴾ أي: حافظين لها من الحرام من زنا ولواط وغير ذلك مما يحرم. ﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات﴾ ذكرين له بألسنتهم وقلوبهم ولا يغفلون عنه، وفضل الذكر عظيم. ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ أي في الدنيا والآخرة وأجر الآخرة هو الأكبر والأوفر في الجنة. وفيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التنافس في الخير رجالهم ونساءهم رضي الله عنهم.

قوله تعالى:

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ الآية ٣٧.

البخاري ج ١٠ ص ١٤٢: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

الحديث أعاده ج ١٧ ص ١٨٤ من حديث ثابت وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٦٨ وصححه. وأحمد ج ٣ ص ١٥٠، والحاكم ج ٢ ص ٤١٧، وأشار له الذهبي برمز البخاري ومسلم أي أنه على شرطهما.

التعليق:

قصة زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين مطولة: فعن أنس رض الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: «فاذكريها علي»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرني ونكصت على عقبي فقلت: يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال: «فما أدري»، أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستريني وبينه ونزل الحجاب قال: ووعظ القوم بما وعظوا به، ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنا، ﴾ إلى قوله: ﴿ والله لا يستحيي من الحق ﴾. رواه البخاري في التفسير وغيره، ومسلم في

النكاح وهذا لفظه وله ألفاظ متقاربة يطول سياقها. وعن عائشة ﴿قالت: لو كان محمدًا ﷺ كما شئت ما أنزل الله لكتن هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾. رواه مسلم في كتاب الإيمان تحت رقم [١٧٦، ٢٨٨] ورواه الترمذي مختصرًا في التفسير.

وقال البخاري رحمته الله في التوحيد باب ٢٢ [٧٤٢٠]: حدثنا أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كما شئت لكتن هذه الآية: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات. وعن ثابت ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس﴾ نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة.

قلت: فالله عز وجل أوحى إلى نبيه ﷺ أنه سيزوجه بزينب بعد أن يفارقها زيد بن حارثة فكان النبي ﷺ يخفي هذا عن الناس فوقع بين زينب وزوجها زيد خصومة وخلاف فشكاها إلى النبي ﷺ، فلماذا عرف النبي ﷺ أنه يريد فراقها فأمره بامساكها خشية أن يتحدث الناس أن النبي ﷺ تزوج زينب وهي تحت ولده زيد الدعي لأنه كان يدعى بزيد بن محمد كما كان العرب ينسب بعضهم إلى غير أبيه، وبعد ذلك نزلت الآية أن يدعى زيد بن حارثة نسبة إلى أبيه وبعد أن فارق زينب وانتهت عدتها خطبها النبي ﷺ وأرسل إليها زيدًا فأمر الله نبيه أن يدخل عليها بدون عقد من البشر وبدون ولي وشاهد، بل أذن الله له وأباحها، ولهذا كانت تفخر بهذا، وهذا الأمر وقع من الله تعالى تشريعًا للناس، ولهذا قال: ﴿فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج..﴾ والوطر الحاجة، والحرج الإثم، ﴿في أزواج أذعنهم﴾ أي من ينسب إليهم بالبنوة وهم ليسوا أبناءهم من أصلابهم، والله يفعل ما يشاء، والتعليم بالفعل أوقع في النفوس

.....
وأبلغ من القول، وقد كان النبي ﷺ يفعل بعض الأعمال ويأمرهم أن يفعلوا كفعله مثل قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي» رواه البخاري وبعد أن قضى الحج قال: «خذوا عني مناسككم..» وكذلك الوضوء. وغير ذلك.



قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ الآية ٣٧.

ابن سعد ج ٨ ق ١ ص ٧٣: أخبرنا عارم بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: نزلت في زينب بنت جحش: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوَّجناكها ﴾ قال: فكانت تفخر على نساء النبي ﷺ تقول: زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات. رجاله رجال الصحيح.

أخبرنا عفان بن مسلم وعمرو بن عاصم الكلابي قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «ما أجد أحداً آمن عندي وأوثق في نفسي منك أتت إلى زينب فاخطبها علي» قال: فانطلق زيد فأتاها وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أبشري إن رسول الله ﷺ يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوَّجناكها ﴾.

الحديث: رجاله رجال الصحيح وأخرجه أحمد ج ٣ ص ١٩٥ وأخرجه مسلم ج ٩ ص ٢٢٨.



قوله تعالى:

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ الآية ٥١.

قال البخاري ج ١٠ ص ١٤٤: حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام: حدثنا عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ قلت: ما أرى رَبَّكَ إلا يسارع في هواك.

الحديث رواه مسلم ج ١ ص ٤٩، وأخرجه أحمد ج ٦ ص ١٥٨، وابن جرير ج ٢٢ ص ٢٦، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٣٦ وفيه: فأنزل الله هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وأقره الذهبي.

وأقول: البخاري لم يرو لمحاضر بن المورع إلا تعليقا، ومسلم لم يرو له إلا حديثا واحدا متابعة كما في تهذيب التهذيب فعلى هذا ليس هو على شرطهما والله أعلم.

التعليق:

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ أي تؤخر من تشاء من الواهبات أو تتزوجها وتضمها إليك فأنت بخير، ولهذا قال: ﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ وقال بعض المفسرين: ﴿ترجي من تشاء منهم..﴾ أي تؤخر من تشاء من نسائك وزوجاتك فلا تقسم لها والأمر إليك. ﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ فتقسم لها وتأتيها. ومما يدل على ذلك حديث معاذة عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية: ﴿ترجي من تشاء منهم

وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ﴿ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له إن كان ذاك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحدًا. رواه البخاري في التفسير وقال الحافظ ابن حجر في الفتح في قوله: ﴿ترجي من تشاء منهم﴾ أي تؤخر بغير قسم وهذا قول الجمهور وأخرجه الطبري عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وغيرهم، وذكر أقوالاً أخرى ثم قال: فحاصل ما نقل في تأويل: ﴿ترجي﴾ أقوال، أحدها: تطلق وتمسك. ثانيها: تعتزل من شئت منهم بغير طلاق وتقسم لغيرها. ثالثها: تقبل من شئت من الواهيات وترد من شئت. وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة، وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يرج أحدًا منهم بمعنى أنه لم يعتزل، وهذا قول الزهري: (ما أعلم أنه أرجأ أحدًا من نسائه) أخرجه ابن أبي حاتم. وعن قتادة أطلق له أن يقسم كيف شاء فلم يقسم إلا بالسوية. اهـ.

وقال الحافظ ابن جرير رحمته الله في تفسيره وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء ويؤوي إليه منهم من يشاء وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات واللواتي كن في حباله عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو رجاؤها منهم وإذا كان ذلك فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك وأحللت نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها أو ممن هي في حبالك فلا تقربها.. إلخ كلامه فهو يرى أن الآية عامة وهذا الذي قاله استحسنته ابن كثير رحمته الله في تفسيره وهو الحق. والله أعلم.



قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية ٥٣.

البخاري ج ١٠ ص ١٤٩: حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال: أَوْ لَمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَنَى بَزِينَةَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَشْبَعِ النَّاسَ خَبْرًا وَلِحْمًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حِجْرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَيِّحَةً بَنَاتِهِ فَيَسْلَمُ عَلَيْهِنَّ وَيَدْعُو لَهُنَّ، وَيَسْلَمُنَّ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ رَأَى رَجُلَيْنِ جَرَى بَيْنَهُمَا الْحَدِيثَ فَلَمَّا رَأَاهُمَا رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلَانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ وَثَبَا مَسْرَعِينَ فَمَا أُدْرِي أَنَا أَخْبَرْتَهُ بِخُرُوجِهَا أَمْ أُخْبِرَ فَرَجَعَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ وَأَرَخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنْزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَخْبَرْنَا بِحَيْثُ حَدَّثَنَا حَمِيدٌ سَمِعَ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الحديث أخرجه في مواضع من صحيحه منها ص ١٤٧ من هذا الجزء وفيه فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ و ص ١٤٨ ج ١١ ص ١٣٤ و ١٣٩ و ص ١٩٥ ج ١٣ ص ٢٥٩ و ص ٣٠٥، وأخرجه مسلم ج ٩ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٣ من طرق عن أنس بألفاظ مختلفة والترمذي ج ٤ ص ١٦٨ و ص ١٦٩ قال في الأولى: حسن، وفي الثانية حسن صحيح، وأحمد ج ٣ ص ١٠٥ و ١٦٨ و ١٩٦ و ٢٤٢ و ٢٤٦، والبخاري في الأدب المفرد ص ٦٣٢، وابن سعد في الطبقات ج ١ ص ٧٥، وابن جرير ج ٢٢ ص ٣٧، ٣٨، والحاكم ج ٢ ص ٤١٨ وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وأقول هو على شرط الشيخين، لكن قد أخرجه مسلم بهذا السند وبهذا اللفظ ج ٩ ص ٢٣٣ فلا معنى لاستدراكه.

قال البخاري رحمه الله ج ١ ص ٢٥٩: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك. فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب.

الحديث أخرجه البخاري أيضًا ج ١٣ ص ٢٦٠ مسلم ج ١٤ ص ١٥٢ وابن جرير ج ٢٢ ص ٣٩.

قال الطبراني رحمه الله في المعجم الصغير ج ١ ص ٨٣: حدثنا إبراهيم بن بندار الأصبهاني حدثنا محمد بن أبي عمر العدني حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسًا في قعب فمر عمر رضي الله عنه فدعاه فأكل فأصابته أصبعه إصبعي فقال: حس أوه أوه لو أطاع فيمكن ما رأته عين فتزلت آية الحجاب.

لم يروه عن مسعر إلا سفيان بن عيينة.

وعزاه الهيثمي ج ٧ ص ٩٣ إلى الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

طريق الجمع بين هذه الروايات: قال الحافظ في الفتح ج ١ ص ٢٦٠، وطريق الجمع بينهما أن أسباب نزول الحجاب تعددت، وكانت قصة زينب آخرها للنص على قصتها في الآية أو المراد بآية الحجاب في بعضها قوله تعالى: ﴿يدين عليهن من جلابيبهن﴾

الآية. اهـ.

وأقول في كون المراد بآية الحجاب قوله: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ نظراً. إذ قد صرحت الروايات في شأن قصة زينب بنزول قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية وفي شأن قول عمر^(١) عند الطبراني ج ١٢ ص ٣٠ فأنزل الله آية الحجاب قال الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا﴾ الآية فالقول بتعدد الأسباب أولى.

تنبيه مهم:

يفهم من هذا الحديث أن قول عمر: قد عرفناك يا سودة. قبل الحجاب وفي بعضها أنه بعد الحجاب، فما الجمع قال الحافظ في الفتح ج ١٠ ص ١٥٠ قال الكرمانى: فإن قلت وقع هنا أنه كان بعد ما ضرب الحجاب وتقدم في الضوء أنه كان قبل الحجاب فالجواب لعله وقع مرتين، قال الحافظ قلت: بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني، والحاصل أن عمر رضي الله عنه وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحرم النبوي حتى صرح بقوله له عليه الصلاة والسلام: احجب نساءك. وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب، ثم قصد ذلك أن لا يبدن أشخاصهن أصلاً ولو كن مستترات، فبالغ في ذلك فمنع منه وأذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج.

(١) وقال الحافظ في الفتح ج ١ ص ٢٦٠: زاد أبو عوانة في صحيحه من طريق الزبيدي عن ابن

شهاب فأنزل الله الحجاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية. هـ.

التعليق:

هذه الآية فيها تعليم الصحابة رضي الله عنهم الأدب إذا دخلوا بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم لا ينبغي لهم أن يجرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البقاء كثيرًا في بيوته وأمر الله أيضًا في هذه الآية أنهم إذا سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوهن من وراء حجاب وذلك حفاظًا على سلامة القلوب وطهارتها وهذا هو الخير فإن ذلك المجتمع صار أطهر المجتمعات وأحسنها لامثالهم وأمر الله ورسوله رجالهم ونسأؤهم.

فالواجب على مجتمعاتنا أن يقتدوا بالصحابة الكرام ونسأؤنا الواجب عليهن أن يقتدين بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ويتعففن مثلهن لعل الله يرحمهن.

ولا يجمل لنا أن نترك ديننا ونهروا بعد الغروب ودعاة الشر من العلمانيين وغيرهم الذين يدعون إلى التبرج والسفور ويدعون أنهم يحررونها وفي الحقيقة يبعدوننا عن الدين ويجروننا إلى الرذيلة. فالحذر الحذر من مجارة المجتمعات الغربية فبعض النساء تمشي كاشفة الساقين والذراعين وكاشفة الشعر ومع ذلك يقولون تقدم.

فأقول: نعم تقدم إلى النار وطرقها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما رجال معهم مثل أذنان البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا الصنف قد وجد ولا حول ولا قوة إلا بالله، ودعاة التبرج من النساء والرجال اليوم كثير لا كثرهم الله وقد أرادوا أن يفتنوا المرأة في جميع المجالات، دعوها إلى الاختلاط في المستشفيات في الصحة، ودعوها إلى المشاركة في الحكم، ودعوها إلى أن تكون عسكرية مع الرجال، ودعوها إلى الاختلاط في مجال التعليم، فكثير من الجامعات في البلاد الإسلامية فيها اختلاط، وفي المدارس يوجد في الثانوية وغيرها وقليل من المدارس خالية من الاختلاط وكذلك الآن اختلاط كبير في

.....

الأسواق والبيع والشراء وكذلك في مواضع الاتصالات وفي المؤتمرات والندوات والاحتفالات وفي مجال الإعلام والتصوير، وإذا كان الأمر كذلك فعلى المرأة المسلمة ألا تطع هؤلاء القوم في دعاويهم وأن تحذر من ضلالتهم وأن لا تخرج من بيتها الذي هو حصنها ومقرها الذي أمرها الله بلزومه إلا للحاجة وعند الضرورة وبشرط التعفف وأن تكون متحجبة والله المستعان.

سورة يس

قوله تعالى:

﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ الآية ١٢.

ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٦ قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن الجريري عن أبي نضرة^(١) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ فأقاموا في مكانهم. وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية. اهـ.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عباد بن زياد وفيه كلام كما في تهذيب التهذيب لكنه قد توبع كما ترى وقد أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٧١ وحسنه. والحاكم ج ٢ ص ٤٢٨ وصححه وأقره الذهبي من حديث أبي سعيد الخدري لكن فيه عندهما طريف بن شهاب وهو ضعيف جدًا كما في الميزان وهو عند الحاكم سعد بن طريف فلعله غلط فيه بعض الرواة. هذا والحديث له شاهد عند ابن جرير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ وسنده صحيح.

وأما قول الحافظ ابن كثير رضي الله عنه: إن فيه غرابة لأن السورة بكاملها مكية فلم يظهر لي

(١) هو: المنذر بن مالك.

اتجاهه، فإذا ثبت أن هذه الآية نزلت بمكة فلا مانع من نزولها مرتين وإن لم يثبت نزولها بمكة فقد تكون السورة مكية إلا آية كما هو معروف. والله أعلم.

التعليق:

فقوله سبحانه: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ يعني أن الله عز وجل يأمر الملائكة أن تكتب أعمال الناس صغيرها وكبيرها من خير وشر، كما قال سبحانه: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ والآثار: الخطأ إلى الأعمال الصالحة وغيرها.

وقول الشيخ رحمه الله: للحديث شاهد عند ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس، ثم قال: وسنده صحيح كذا قال: وفيه سهك عن عكرمة ورواية سهك عن عكرمة مضطربة كما في التهذيب وغيره، ولكن هو صالح في الشواهد فيتقوى الأول به والحمد لله. ومما يتعلق بالآية الكريمة ما جاءت به السنة.

فعن جابر رضي الله عنه قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم». رواه مسلم في الصلاة ٦٦٥. فنعم الآثار مثل هذه أن تكتب للعبد.

وعن أبي بن كعب قال: كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه وكان لا تحطئه صلاة قال: فقيل له أو قلت له: لو اشتريت حملاً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد إنني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول

الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله» رواه مسلم ٦٦٣.

وهناك أدلة كثيرة في فضل المشي إلى المساجد والآية أيضاً قد تشمل المشي إلى عبادات أخرى مثل:

.....
المشي إلى الجهاد وإلى الحج والعمرة وطلب العلم، فالمحتسب آثاره إن شاء الله مكتوبة وإن كان السبب خاصًا ولكن الأصل الأخذ بالعموم لا الاقتصار على سبب النزول وأيضًا يخاف أن تكتب الخطوات إلى المعاصي، وقد قال بذلك بعض أهل العلم بالتفسير.



قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ الآية ٧٧ إلى آخر السورة.

ابن أبي حاتم كما في ابن كثير ج ٣ ص ٥٨١: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلا حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيجبي الله هذا بعد ما أرم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم يميئك الله ثم يجيئك ثم يدخلك جهنم». قال: نزلت الآيات من آخر يس.

الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤٢٩ من طريق عمرو بن عون عن هشيم به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ قلت: ذكر الشيخ رحمته الله هذا السبب وقد جاء عن مجاهد وقتادة والسدي رحمهم الله أنها نزلت في أبي بن خلف.

رواها ابن جرير وابن أبي حاتم ولكنها مراسيل وهي ضعيفة ولكن الأمر كما قال ابن كثير رحمته الله: وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث.

والألف واللام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ للجنس يعم كل منكر للبعث.

﴿أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ أي: لم يستدل من أنكر البعث بالبذاء على الإعادة فإن

الله ابتداء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين. اهـ المراد من

تفسيره من سورة يس.

وقوله سبحانه: ﴿من نطفة﴾ هو اليسير من قطرات ماء الرجل والمرأة، ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ أي
مخاصم لربه الذي خلقه ولم يكن شيئاً. ﴿مبين﴾ أي يبين لمن سمع خصومته. وقيل ذلك أنه مخاصم
ربه الذي خلقه، قاله ابن جرير رحمته الله. وليس له حجة ولا برهان بل رد حجة الله الواضحة
واعتمد على أقوال من قبله من الكفرة الفجرة وعلى رأيه وهواه. والحمد لله على توفيقه لنا للإسلام
والخير.



سورة الزمر

قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴿ الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥. تقدم الكلام عليها في سورة يوسف.﴾

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية ٢٣. في هذه الآية مدح للقرآن العظيم، نعم القرآن أحسن الكلام، و (القيـل) كما قال سبحانه: ﴿ومن أحسن من الله قـيلاً﴾، وقال سبحانه: ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ فكلام الله أحسن الكلام وأفصحـه نطقاً وأحسنه نظماً وأبلغه معنأ كما قال تعالى: ﴿إنه لقول فصل * وما هو بالهزل﴾ فالقرآن أخباره صدق، وأحكامه عدل، فله الحمد والمـنة على هذه النعمة. وينظر ما تقدم في سورة يوسف.



قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية ٥٣.

الحاكم ج ٢ ص ٤٣٥: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل القاري حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا عبدالله بن إدريس حدثني محمد بن إسحاق قال: وأخبرني نافع عن عبدالله بن عمر عن عمر قال: كنا نقول: ما لِمُتِّينِ توبة وما الله بقابل منه شيئاً فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ والآيات التي بعدها قال عمر: فكتبتها بيدي^(١) في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

الحديث أيضاً أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٧٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦١: رواه البزار ورجاله ثقات^(٢). هذا وقد تقدم بعض ما

(١) من هنا من السيرة بهذا السند لأن السياق في المستدرك غير مفهوم وقع فيه سقط وهو في مجمع

الزوائد كما في السيرة.

(١) الحديث في كشف الأستار ج ١ ص ٣٠٢: وفيه صدقة بن سابق وهو مستور الحال لم يوثقه إلا ابن

حبان لكنه قد تابعه عبدالله بن إدريس كما عند الحاكم.

يتعلق بهذه الآية في سورة الفرقان.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ هذا نداء من الله تعالى للعباد المذنبين أن يتوبوا إليه وإن كثرت ذنوبهم فهو يغفرها، ولهذا قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي أكثروا على أنفسهم بالمعاصي والفجور، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي لا تيأسوا من رحمة الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي إذا تبتم وتركتم الشرك فمن تاب من الشرك والكفر قبل الموت قَبِلَ منه وغفر الله له ذنبه وكذلك المعاصي الأخرى وإن كانت كبائر، فالتوبة النصوح الصادقة تمحو الذنوب جميعًا كبيرها وصغيرها، وهذه الآية من أرجى الآيات والآيات والأحاديث في فضل التوبة والأمر بها كثيرة.

والشيخ رحمه الله ذكر للآية سببًا واحدًا مع أنه قد صح لها سبب آخر قد ذكره في سورة الفرقان وقد نبه عليه هناك وهو ما أخرجه البخاري [٤٨١٠]: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال: يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ووزنوا وأكثروا فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تجربنا أن لما عملنا كفارة فنزل: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزلت: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾. وأخرجه الإمام مسلم في الإبان برقم [١٢٢٢] وأخرجه النسائي في تفسيره [٤٦٩] وغيرهم.

فائدة: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: واستدلوا بعموم هذه الآية على غفران جميع الذنوب كبيرها وصغيرها سواء تعلقت بحق آدميين أم لا، والمشهور عند أهل السنة أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة وأنها تغفر لمن شاء الله ولو مات على غير توبة لكن حقوق آدميين إذا تاب صاحبها من

العود إلى شيء من ذلك تنفعه التوبة من العود وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه أو محالته منه نعم في سعة فضل الله ما يمكن أن يعرض صاحب الحق عن حقه ولا يعذب بذلك ويرشد إليه عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والله أعلم.

قلت: فضل الله عظيم فقد يعرض المظلوم ويعطيه الله ما يكون عوضًا له من غفران ذنبه أو رفع درجاته وإذا هاب ما في نفسه على خصمه. ومما يدل على أن الله قد يغفر حتى الذنوب التي للمخلوقين قصة الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس وتاب فتاب الله عليه وأدخله الجنة، والقصة معروفة في الصحيحين فإذا كان هذا في حق الأمم قبلنا فهذه الأمة رفع عنها الأصار والأغلال. والله أعلم.



قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية ٦٧.

أحمد ج ١ ص ٣٧٨: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله عز وجل يحمل الخلائق على أصبع والسموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع، والثرى على أصبع فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية.

الحديث رجاله رجال الصحيح وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٧٦، وابن جرير ج ٢٤ ص ٢٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٣٣، وقد أخرج أحمد ج ١ ص ١٥١، والترمذي وصححه ج ٤ ص ١٧٧، وابن خزيمة في التوحيد ص ٧٨، والطبري ج ١٤ ص ٢٦ من حديث ابن عباس نحوه وفيه عطاء بن السائب وهو مختلط.

تنبيه:

قال الحافظ السيوطي في الإتقان ج ١ ص ٣٤: الحديث في الصحيح بلفظ: (فتلا رسول الله ﷺ) وهو أصوب فإن الآية مكية.

وأقول لفظ: (تلا) الواقع في الصحيح لا ينافي أنها نزلت ثم تلاها الرسول ﷺ وأما كونها مكية فإن ثبت نزولها - أعني هذه الآية - بمكة فلا مانع من نزولها مرتين وإن لم يثبت نزولها بمكة بالسند الصحيح فقد تكون السورة مكية إلا آية، والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: لم يعظموه حق تعظيمه سبحانه ويفردوه بالعبادة والخشية والحب والتقديس وأنه سبحانه غني عن العالمين لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا فالمشركون لم يقدرُوا الله ويعظموه حق تعظيمه ومنهم اليهود فقالوا: عزير بن الله واتهموا الله بالفقر والبخل، والعياذ بالله، وهذا ينافي توحيد الله وتعظيمه، وكذلك النصارى نسبوا إلى الله تعالى ما لا يجوز عليه، نسبوا إليه الولد فقالوا: (المسيح ابن الله) وقالوا: (الله ثالث ثلاثة) وهذا كفر بالله وينافي تعظيم الله، وكذلك الشرك في زماننا موجود في بعض الناس، فمنهم من يجعل الولي مثل الله فيدعوه ويرجوه ويطلب منه الشفاء والولد، وكشف الكرب، والمصائب ولا يفعل هذا إلا الله وحده سبحانه، وكذلك من أحب مخلوقًا مثل الله أو أشد فقد أشرك بالله ولم يعظم الله حق تعظيمه. وشيخنا رحمته الله ذكر حديث ابن مسعود من مسند أحمد لأن فيه ذكر سبب النزول وأصل الحديث في الصحيحين من طريق إبراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من الأخبار فذكره وفيه: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾. هو عند البخاري في التفسير [٤٨١١] وأخرجه في مواضع أخرى وعند مسلم في صفات المنافقين برقم [٢٧٨٦] وفي الحديث إثبات صفة الأصابع لله تعالى على ما يليق بعظمته وجلاله من غير تمثيل بخلقه، وضحك النبي صلى الله عليه وسلم تصديقًا له رد على من قال: إنها ضحك سخرية منه وتعجبًا وهو قول النفاة للصفاء. والله أعلم.

سورة فصلت

قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ الآية ٢٢.

البخاري ج ١٠ ص ١٨٢: حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ الآية.

قال كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف وختن لهما من قريش - في بيت فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا. قال بعضهم: يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ الآية.

الحديث أعاده ج ١٧ ص ٢٧٦، وأخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٢٢ والترمذي ج ٤ ص ١٧٨ من طريقين صحح أحدهما وحسن الأخرى، وأحمد ج ١ ص ٣٨١، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٤٤، والطيالسي ج ٢ ص ٢٣، وابن جرير ج ٢٤ ص ١٠٩ والبيهقي في الأسماء والصفات ج ١ ص ١٧٧ والطحاوي ج ١ ص ٣٧ في مشكل الآثار، وفي بعض طرقه في الصحيح وغيره فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخرون: إن سمع منه شيئاً سمعه كله، قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عز وجل الآية.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ وما يتعلق بالآية ما ثبت في صحيح مسلم في الزهد [٢٩٦٩] بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: إني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي قال: فننطق بأعماله قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام قال: فيقول: بُعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل». فسأل الله العافية.

ومعنى قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ أي وما كنتم تستخفون ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ أي من أن يشهد، ﴿عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ على ما كنتم تعملونه من المعاصي والمنكرات من زنا وسرقة وكذب وغش وغير ذلك من المعاصي التي كنتم تستخفون عن أعين الخلق ولا تراقبون الله تعالى، ولا كنتم أيضاً تظنون أن الجوارح ستشهد عليكم عند الله، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا ظن سيء، فالله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والله عز وجل يقطع الحجة عليهم فينطق الجوارح ويجعلها تشهد على أصحابها بما عملوا من المعاصي، فلم ينفعهم استتارهم عن الخلق حيث لم يراقبوا الله تعالى وظنوا به ظن السوء فقال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ أَنَّى: أهلكم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي يوم القيامة فمن ينصرهم هناك يوم الحساب ويوم يلقون في النار، وفي زماننا هذا تجد كثيراً من الناس يرتكب المحرمات في الخفية وربما تظاهر بالصلاح، وهذا يخشى عليه من عذاب الله ففي سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤١٨ قال: حدثنا عيسى بن يونس الرملي حدثنا عقبه بن علقمة بن خديج المعافري عن أرطاة بن المنذر عن أبي عامر الأهلاني عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي

.....

يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها». وهو حديث حسن وقال في الزوائد على ابن ماجه: إسناده صحيح رجاله ثقات، وأبو عامر اسمه عبدالله بن غابر.

قلت: المعافري يحسن حديثه وكذلك عيسى وباقي رجاله ثقات، والمسلم الذي يتخفى بالمعصية أهون من المجاهر بها ولكن الواجب هو المراقبة لله ظاهراً وباطناً واجتناب المنكرات في السر والعلانية.

سورة الشورى

قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ الآية ٢٣ .

أحمد ج ١ ص ٢٢٩: حدثنا يحيى عن شعبة حدثني عبد الملك بن ميسرة عن طاووس قال: أتى ابن عباس رجل فسأله. وسليمان بن داود قال: أخبرنا شعبة أنبأني عبد الملك قال: سمعت طاووسا يقول: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قوله عز وجل: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ فقال سعيد بن جبیر: قربي محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس: عجلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة فنزلت: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ - إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم -.

الحديث في البخاري من حديث شعبة به وليس عنده فنزلت وقد أخرجه الطبري كما هنا ج ٢٥ ص ٢٣ وفيه إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها وعزاه الحافظ في المطالب العالية ج ٣ ص ٣٦٨ إلى أحمد بن منيع وقال: صحيح.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قال ابن جرير رحمته الله في تفسيره: يقول تعالى ذكره هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددت له للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة البشرية التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا وعملوا بطاعته فيها ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين يبارونك في الساعة من مشركي قومك لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي

جنتكم به والنصيحة التي أنصحكم ثوابا وجزاء وعوضا من أموالكم تعطونيه ﴿إلا المودة في القربى﴾. اهـ.

فالنبي ﷺ أخبرهم أنه لا يريد منهم جزاء على تبليغ هذا الدين من أمر الدنيا كما قال تعالى له: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله﴾ سبأ ٤٧. فلم يسألهم أن ينفقوا عليه وإنما سألهم أن يتركوه يبلغ رسالة ربه ولا يؤذوه لما بينه وبينهم من القرابة، ومع هذا فهم لم يتركوه مع أنه زاهد عن مناصبهم وعن أموالهم ونصرتهم، ومع ذلك لم يتركوه يدعم بل آذوه غاية الإيذاء فينبغي أيضا لدعاة الإسلام أن يزهّدوا بأيدي الناس ولا يسألوهم أموالهم ولا يتطلّعوا إليها، بل المطلوب إخلاص العمل لله، واليوم الناس كثير منهم نافر عن الدين فكيف إذا طلبت منهم الأموال والأجر فسينفرون أشد كما قال تعالى: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾ سورة محمد آية ٢٦، ٢٧.



قوله تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية ٢٧.

ابن جرير ج ٢٥ ص ٣٠: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال أبو هانئ^(١): سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾. ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا.

حدثنا محمد بن سنان^(٢) القزاز قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا حيوة قال: أخبرني أبو هانئ أنه سمع عمرو بن حريث يقول إنما أنزلت هذه الآية وذكره. الحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠٤: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وفيه: (لأنهم تمنوا الدنيا) وأخرجه الواحدي في أسباب النزول وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٣٣٨.

وأخرج الحاكم وصححه، وأشار الذهبي إلى أنه على شرط الشيخين ج ٢ ص ٤٤٥ عن علي بن أبي طالب مثله.

تنبيه:

عمرو بن حريث مختلف في صحبته كما في الإصابة.

(١) هو: حميد بن هانئ الخولاني.

(٢) محمد بن سنان القزاز كذبه أبو داود.

التعليق:

قلت: شيخ ابن جرير يونس هو: بن عبد الأعلى الصديفي من رجال مسلم.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ أي: لو وسع الله في الرزق على بعض العباد فوق حاجته لبغى وطغى على غيره بالمال، فالله عز وجل رحيم بالعباد فينزل عليهم من الرزق ما يكون كافيًا لهم غير مفسد ولذلك قال: ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ فبعض الناس لا يصلحه إلا الفقر وآخر يرزق وسطًا وكفافيًا، وآخرون يبسط عليهم الرزق فيشكرون الله ولا يفسدون، وآخرون يبسط عليهم الرزق فيطغون ويفسدون، فالله خير بعباده، فأما الإنسان فقد يتمنى شيئًا يكون سببًا لهلاكه وفتنته والعياذ بالله، كما ثبت في الصحيحين من طريق المسور بن مخرمة أن عمرو بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بهال البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافقت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «أضنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء» قالو: أجل يا رسول الله، قال: «أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم». هو عند البخاري برقم [٣١٥٨] وعند مسلم [٢٩٦١]. وقال قتادة: كان يقال: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك. رواه ابن جرير.

وقال الإمام البخاري رحمه الله [٦٤٢٧]: حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» قيل: وما بركات الأرض، قال: «زهرة الدنيا» فقال له رجل: هل يأتي

الخير بالشر، فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنه ينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: «أين السائل؟» قال: أنا، قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع ذلك، قال: «لا يأتي الخير إلا بالخير إن هذا المال خضرة حلوة وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم إلا أكلة الخضرة أكلت حتى إذا امتدت خاصر تاها استقبلت الشمس فاجترت وثلثت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضع في حقه فنعمة المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع». وأخرجه الإمام مسلم في الزكاة [١٠٥٢].

فأنت ترى أن النبي ﷺ خاف على أمته من كثرة المال خشية أن يفتنهم وقد حصل، فكثير من الناس أغناهم الله فبغى بعضهم على بعض فقطعوا الطريق واعتدوا على أخذ أموال الضعفاء وسفكوا الدماء وحصل البغي والطغيان، واعتدت الدول الغنية على الفقيرة، والقبيلة القوية بغت على الضعيفة، والحزب القوي اعتدى على الحزب الفقير والضعيف، ولم يسلم من هذه الفتن إلا من رحم الله، وأسأل الله العصمة من الفتن، وبعض الناس كثر ماله فعصى وشرب المسكر وتكبر، وأما الصحابة رضي الله عنهم الذين تمنوا المال وهم أهل الصفة إنما تمنوه لأمر منها أنه كان لهم حاجة شديدة إليه، وأيضاً كانت أمنيتهم سليمة وهي: أن يغتنوا عن الناس ويجاهدوا بهذه الأموال ويحجوا ويتصدقوا، هذا الذي نحسبهم عليه والله أعلم.

ومع ذلك نزلت الآية تبين أن الخير والصالح ما اختاره الله لهم من قلة ذات اليد وما كان عندهم وكفاهم هو الصالح لهم، ولذلك كان النبي ﷺ يقول: «اللهم ارزق آل محمد قوتا» وفي رواية: «كفافاً» أي ما يسدهم ولا يشغلهم عن العمل الصالح وما هو أنفع لهم والله تعالى أعلم. ولكن إن وجد المال الحلال للرجل فهذه نعمة، فينبغي أن يصرفه في الحلال ووجوه الخير كما قال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». فالصحابه رضي الله عنهم كان بعضهم لهم مال جزيل ولكن يصر فونه في أبواب الخير.

سورة الزخرف

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ الآية ٥٧.

أحمد ج ١ ص ٣١٧: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم عن أبي رزين^(١) عن أبي يحيى مولى ابن عقيل قال: قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ما سألتني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها، ثم طفق يحدثنا، فلما قام تَلَاوَمْنَا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدا. فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال: نعم، إن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» وقد علمت قريش أن النصراني يعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد فقالوا: يا محمد أأنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم كما تقول، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون. ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة. الحديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ج ١ ص ٤٣١.

والحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠٤: رواه أحمد والطبراني بنحوه (إلا

(١) أبو رزين اسمه مسعود بن مالك وثقه أبو زرعة. وأبو يحيى اسمه مصدع روى عنه جماعة ولم

يوثق بل ضعف كما في تهذيب التهذيب فالحديث بهذا السند ضعيف.

أنه قال: فإن كنت صادقاً فإنهم لكآلهتهم) وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره، وهو سبىء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح قال السيوطي في لباب النقول: إن سنده صحيح. وأقول الذي قرره الإمام الذهبي في الميزان إن حديث عاصم حسن. تنبيه:

في المسند وتفسير ابن كثير: (وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم وما تقول في محمد). وفي مجمع الزوائد: (وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم وما يقول محمد) فليُنظر أي اللفظين أصح، قال شيخنا حفظه الله: لعله ما في مجمع الزوائد لوضوح معناه.

التعليق:

أي: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: حطب جهنم، قالوا: فما بال ابن مريم، قال: «ذاك عبد صالح ورسول» ففرحوا وظنوا أنهم قد خصموا رسول الله وفازوا عليه فنزلت الآية التي في سورة الأنبياء رداً عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

ومعنى قوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي يا محمد، وهم قريش ﴿مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾ أي يضجون فرحاً يظنون أنهم قد أفلحوا، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بضم الصاد.

قال القرطبي في تفسيره: ومعناه يعرضون، قاله النخعي وكسر الباقون. قال الكسائي: هما لغتان مثل: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ و﴿يَنْشُونَ﴾ و﴿يَنْمُونَ﴾ ومعناه: يضجون، قال الجوهرى: وصد يصد صديداً أي: ضج، وقيل: إنه بالضم من الصدود وهو الإعراض، وبالكسر من الضجيج، قاله قطرب. وقال أبو عبيد: لو كانت من الصدود عن الحق لكانت: ﴿إِذَا قَوْمُكَ عَنْهُ يَصُدُونَ﴾. وقال الفراء: هما سواء منه وعنه. وقال ابن المسيب: ﴿يَصُدُونَ﴾ يضجون. وقال الضحاك: يعجبون. وقال ابن

عباس: يضحكون. اهـ المراد منه.

قلت: وقد صح عن ابن عباس ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحجون، كما عند ابن جرير، والمعنى متقارب فهم يضحجون ويضحكون سخرية بالدين وبالنبي ﷺ ويظنون أنهم قد نجحوا وغلبوا نبي الله ﷺ وهم المغلوبون. والحمد لله.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي علامة وأمارة من أمارات الساعة وقرب زوال الدنيا، يعني نزول عيسى بن مريم من السماء كما جاءت به الأخبار، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما قال البخاري رحمته الله [٢٢٢٢]: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». ورواه مسلم برقم [١٥٥] في الإيمان.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكْرَمَة الله هذه الأمة». رواه مسلم في الإيمان برقم [١٥٦]. وأيضًا عيسى عليه السلام هو الذي سيقتل المسيح الدجال كما ثبت في صحيح مسلم [٢٩٤٠] عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما^(١) - فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه

(١) قد ثبت في حديث آخر عند مسلم أنه يمكث أربعين يوما، ولكن يوم كسرة ويوم كشهر ويوم

كجمعة وباقي أيامه كأيامنا. عن النواس بن سمعان.

عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله رجلاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه... إلخ، وبعد تقوم الساعة على شرار الخلق.

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ وذكر الدجال ثم قال: «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه نحد من جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجرد ريش نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ونتاجهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة^(١) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك ووردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن

(١) وروى: الزلقة، وكلها صحيحة ومعناه كالمراة.

.....
 اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة. رواه مسلم في أشراط الساعة [٢٩٣٧]. وأنا سقته لحسن السياق، وهذه الأحاديث صحيحة ولا ينكرها إلا جاهل أو ضال عن الحق، ومن أراد التوسع فليرجع إلى صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة في هذا الباب. والحمد لله على توفيقه.



سورة الدخان

قوله تعالى:

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ الآيات ١٠-١٥.

البخاري ج ١٠ ص ١٩٢: حدثنا يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله: استسقى الله لمضر فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء». فاستسقى لهم فسقوا فنزلت: ﴿ إنكم عائدون ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عز وجل: ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ قال: يعني يوم بدر.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٤١: وفيه جاء إلى عبد الله رجل فقال: تركت في المسجد رجلًا يفسر القرآن برأيه يفسر هذه الآية: ﴿ يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ قال: يأتي الناس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام فقال عبد الله: من علم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم إنما كان هذا... فذكره وهو في البخاري أيضًا. وأخرجه أحمد ج ١ ص ٣٨١.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ أي انتظر يا محمد بالمشركين هؤلاء حتى يأتيهم دخان من السماء وهم في غيهم وباطلهم فيأخذهم يومئذ عذاب أليم يكون فيه هلاكهم وفنائهم.

مسألة:

تفسير ابن مسعود رضي الله عنه أن الدخان قد مضى، وافقه عليه بعض أهل العلم منهم، أبو العالية الرياحي. كما رواه عنه ابن جرير بسند صحيح، ومجاهد وغيرهم. وذهب آخرون إلى أنه لا يكون إلا قبل الساعة وهو: من أشرطها. قلت: والراجح أن الدخان ظهوره من علامات الساعة الكبرى.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان قد مضى جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير.

وقال بعد سطرين: وقال آخرون لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريجة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا». تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد: «إني خبأت لك خبأ» قال: هو الدخ، فقال صلى الله عليه وسلم: «أخساً فلن تعدو قدرك» قال: وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان

وهم يقرظون العبارة، ولهذا قال: هو الدخ، يعني الدخان فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال ﷺ: «أخسأ فلن تعدو قدرك». إلى أن قال: قال ابن جرير: حدثني يعقوب ثنا ابن علي عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنه ذات يوم فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرقت فما نمت حتى أصبحت. وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنه فذكره وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها عما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ أي بين واضح يراه كل أحد وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى: ﴿يغشى الناس﴾ أي يتغشاهم ويعميهم ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يغشى الناس﴾ اهـ. قلت: وهذا هو القول الصواب في المسألة، والحق أن الدخان من علامات الساعة لحديث حذيفة بن أسيد والآثار الأخرى، وما وجهه ابن كثير رضي الله عنه في معنى الآية هو الأقرب فهذا هو التحقيق المتين، فجزاه الله خيرا. والله تعالى أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح في التفسير: ويؤيد كون آية الدخان لم تمض ما أخرجه مسلم من حديث أبي سريحة رفعه (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات. فذكره كما تقدم. وأما الشوكاني في تفسيره فقال: (والراجح منها أنه الدخان الذي كانوا يتخلون به مما نزل بهم من الجوع وشدة الجوع ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد من أن الدخان من آيات الساعة فإن ذلك دخان آخر...). اهـ المراد من فتح القدير. قاله بعد ما ذكر بعض الأقوال رضي الله عنه فأراد أن يجمع بين الأقوال والله المستعان.

سورة الجاثية

قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الآية ٢٤ .

ابن جرير ج ٢٥ ص ١٥٢ : حدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ قال: فيسبون الدهر، فقال الله تبارك وتعالى: «يؤذيني ابن آدم بسبِّ الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال: حدثنا أبو روح قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

الحديث ذكره السيوطي في اللباب موقوفاً على أبي هريرة وعزاه لابن المنذر وفيه فأنزل الله وَذَكَرَ الآية. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٥١: وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جداً، فذكره ثم قال: وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن سريج^(١) بن النعمان عن ابن عيينة به، فما أدري ما وجه غرابة سياقه فأما سنده فرجاله رجال الصحيح وقد ذكره الحافظ في الفتح ج ١٠ ص ١٩٥ وسكت عليه.

(١) في ابن كثير شريح بالشين المعجمة وبعد الياء حاء والصواب ما أثبتناه.

التعليق:

ف قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ يخبر تعالى عن مقالة الدهريين من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب حيث أنكروا البعث والحساب ونسبوا الهلاك إلى الدهر والعياذ بالله.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قد أخرجه الإمام البخاري [٤٨٢٦] قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار». وأخرجه الإمام مسلم [٢٢٤٦] وفي رواية له: قال الله عز وجل: «يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتها».

وقال الحافظ في الفتح في التفسير: قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: يؤسأ للدهر وتباً للدهر. اهـ.

وينحو هذا التفسير نقله ابن كثير عن الشافعي وأبي عبيد.

قلت: الدهر ليس من أسماء الله تعالى لأنه ليس مدحاً من كل وجه، وأيضاً رد الله عليهم في قولهم ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رضي الله عنه: وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدوم الدهر من الأسماء الحسنی أخذاً من هذا الحديث. اهـ من تفسيره عند هذه الآية.

وأيضاً هذه الآية فيها رد على الشيوعيين الذين يقولون: إن الطبيعة هي التي خلقتهم وهي التي تتصرف في الخلق وكذبوا، فالله هو الذي يتصرف في الكون كيف يشاء فهو الخالق الرازق المحيي المميت، وأيضاً نظريتهم قد سقطت وظهر فسادها لكل عاقل والحمد لله.

سورة الأحقاف

قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ الآية ١٠ .

أحمد ج ٦ ص ٢٥: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن حجاج قال: حدثنا صفوان بن عمرو قال: حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكروها دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ «يا معشر اليهود أروني (١) اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه» قال: فسكتوا فما أجابه (٢) منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلثَ فلم يجبه أحد، فقال: «أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى أمتهم أو كذبتهم». ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد قال: فأقبل فقال ذلك الرجل أي رجل تعلموني (٣) يا معشر اليهود قالوا والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال: فإني أشهد له بأنه نبي الله الذي تجدون في التوراة قالوا: كذبت وردوا عليه قوله: وقالوا فيه شراً قال رسول

(١) في المسند كلام غير مفهوم فكتبناه من مجمع الزوائد.

(٢) كذا من المجمع.

(٣) كذا من المجمع.

الله ﷺ: «كذبتُم لن يقبل قولكم أما أنفًا فنتنون عليه من الخير ما أثنتم ولما آمن أكذبتُموه وقتلتم فيه ما قتلتم فلن يقبل قولكم». قال: فخرجنا ونحن ثلاثة، رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

الحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠٦: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه ابن حبان كما في موارد الظمان ص ٥١٨، والطبراني ج ٢٦ ص ١٢، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٤١٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي. وأقول الحديث على شرط مسلم؛ لأن البخاري لم يخرج لعبد الرحمن بن جبیر ولا لأبيه، وكذا صفوان بن عمرو لم يخرج له إلا تعليقًا كما في ترجمته في تهذيب التهذيب. والله أعلم.

تنبيه:

الذي جاء في الصحيحين أن عبد الله بن سلام ﷺ هو الذي أتى إلى الرسول ﷺ عند مقدمه من مكة وذكر نحو هذه القصة وليس فيه سبب النزول وهذه القصة تفيد أنه ذهب ﷺ إلى كنيستهم فما الجمع؟ لم يحضرنى الآن كلام للمتقدمين ويمكن أن يقال: إن عبد الله لما أسلم بعد إتيانه إلى الرسول ﷺ ذهب إلى جماعة من اليهود ولم يعلموا بإسلامه فلما أتاهم الرسول ﷺ قال لهم ما قال والله أعلم، فإن ارتضيت هذا الجمع أو فتح الله عليك بأحسن منه، وإلا رجحت حديث الصحيحين لا سيما وعوف بن مالك قال الواقدي: أسلم عام خيبر وقال: غيره شهد الفتح وقال ابن سعد: أخى

النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء. اهـ. من الإصابة ج ٣ ص ٤٣ وفي الاستيعاب وأول مشاهده خبير ج ٣ ص ١٣١ مع الإصابة، وفي الطبقات ج ٧ ق ٢ عوف بن مالك الأشجعي أسلم قبل حنين وشهد حينئذ إلى آخره، وفي المستدرک ج ٣ ص ٥٤٦ عن الواقدي نحو ما هنا فالظاهر عدم صحة هذا الحديث، والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أي: يا محمد قل للمشركين من اليهود الذين يكذبونك ﴿ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أي: القرآن وكذبتم به فما تظنون ما ذا يفعل الله بكم حين كذبتم بكتابه وكذبتم رسوله فسيغضب عليكم ويعذبكم إن لم تتوبوا إليه مع أنه قد شهد على ذلك بعض علماء بني إسرائيل أنه قد جاءت التوراة بالبشارة بهذا النبي ووضعت لكم وأمرتكم باتباعه إذا ظهر فلو اتبعتموه لكان شرفاً لكم وأعطيتم أجرکم مرتين.

وشيخنا رحمه الله يشكك في صحة حديث عوف في سبب نزول الآية، ومن قبله ابن كثير رحمه الله حيث قال: وهذا الشاهد إسم جنس يعمر عبدالله بن سلام رضي الله عنه وغيره، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه، وهذا قوله: ﴿ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ قال مسروق والشعبي: ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية، وإسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة. رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير. اهـ. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآيات ٢٩ - ٣٢ إلى قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

الحاكم ج ٢ ص ٤٥٦: حدثنا أبو علي الحافظ أنبأ عبدان الأهوازي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبدالله قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه أنصتوا قالوا: صه، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وأخرجه الحافظ البيهقي من طريق الحاكم بهذا السند في دلائل النبوة ج ٢ ص ١٣.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ومعنى ﴿صرفنا إليك﴾ ووجهناهم إليك ﴿نفرًا من الجن﴾ نفر: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: ما دون العشرة، وعند هؤلاء الجن أدب عظيم مع القرآن وفهم ثاقب حيث عرفوا ما هو المطلوب منهم وهو الإيمان بهذا القرآن وبما فيه فآمنوا واتبعوا فصاروا أيضًا دعاة إلى قومهم وكانوا أحسن من كفار قريش المعرضين عن الحق.

وقوله تعالى عن هؤلاء وعن قيلهم: ﴿ومن لا يجب داعي الله﴾ أي: يجيب الرسول الذي يدعوهم إلى عبادة الله ﴿فليس بمعجز في الأرض﴾ أي: لا يستطيع أن يعجز الله بهرب أو فرار، فالله قادر أن يأخذه في أي لحظةٍ ووقتٍ ويعاقبه على كفره وتكذيبه برسوله وكتابه. ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ أي: فالمكذب بالله ورسوله ليس له ناصر ولا منقذ ولا مفر من الله تعالى فهو في قبضة الله تعالى وتحت سلطانه. ﴿وأولئك في ضلال مبين﴾ أي: فهؤلاء الذين لم يجيبوا محمدًا رسول الله فهم في ضلال واضح وبيّن.

وهذه الآية تدل على أن النبي ﷺ بُعث إلى الإنس والجن الثقلين جميعًا. ومما يتعلق بأخبار الجن ودعوة النبي لهم إلى الإسلام ما رواه مسلم رحمته الله حيث قال [٤٥٠]: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكننا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بكرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ - فلا تستنجوا بها فإنها طعام إخوانكم». وفي رواية من طريق معن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال: حدثني أبوك - يعني ابن مسعود - أنه أذنته بهم شجرة.

.....

وهناك حديث ابن عباس بمعناه سيأتي في سورة الجن إن شاء الله، وينبغي للمسلمين أن يهتموا بالدعوة كما كان الصحابة وكذلك الدعوة من الجن صاروا دعاة بمجلس واحد بعد ما فهموا حقيقة الدين وما المطلوب منهم من توحيد الله وتعظيمه.



سورة الفتح

البخاري ج ١٠ ص ٢١٠: حدثنا أحمد بن إسحاق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصفين فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله تعالى. فقال علي: نعم. فقال سهل بن حنيف اهتموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين - ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل، أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار، قال: «بلى»، قال: فقيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً». فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبو بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح. الحديث أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٤١: وفيه، فنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه فقال: يا رسول الله أو فتح هو قال: «نعم»، فطابت نفسه.

وأخرجه أيضاً أحمد ج ٣ ص ٤٨٦، وابن جرير ج ٢٦ ص ٧٠.

قد أخرج البخاري ج ١٠ ص ٢٠٥ والترمذي وصححه، وأحمد ج ١ ص ٣١ من حديث عمر نحوه وظاهره الإرسال عند البخاري، لكن زيد بن أسلم قد صرح بالسماع عند الترمذي فعلم اتصاله. قاله المباركفوري في التحفة ج ٤ ص ١٨٥، وأخرجه أحمد وأبو داود في الجهاد.

قال ابن جرير رحمته الله ج ٢٦ ص ٧١: حدثني موسى بن سهل الرملي ثنا محمد بن عيسى قال: ثنا مجمع بن يعقوب قال: سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن يزيد

عن عمه مجمع بن جارية الأنصاري وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباغر فقال بعض الناس لبعض: ما للناس قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله﴾ فقال رجل: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح» قال: فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية وكان الجيش ألفاً وخمس مئة فيهم ثلاث مائة فارس فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً.

الحديث أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٤٥٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي رحمته الله فقال: لم يخرج مسلم لمجمع ولا لأبيه شيئاً وهما ثقتان.

التعليق:

وقول سهل بن حنيف رضي الله عنه: اتمموا أنفسكم، وفي رواية: اتمموا رأيكم، يعني أن الرأي المخالف للشرع والمصادم له مرفوض وهو الذي يتهم بالغلط والخطأ. وأما الشرع وإن رأيت في بادئ الأمر أن فيه ضرراً أو هلاكاً ففيه النجاة والبركة والخير، وضرب رضي الله عنه مثلاً بقضية الحديبية التي كان في ظاهرها الغبن للمسلمين وكان في آخر الأمر النصر والخير، والآن كثير من المتأثرين بالحضارة الغربية والفلسفة يرون أن بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لا تناسب العصر فلا بد من تأويلها على ما يوافق المجتمع، ومنهم من يريد أن يفسر القرآن على ما يوافق الواقع بزعمه، وهذا في الحقيقة ضلال، فالواجب على المجتمع أن يتبع القرآن والسنة لا يكون القرآن والسنة هو التابع للناس والله يقول في كتابه الكريم: ﴿ولو اتبع الحق

أهوائهم لفسدت السماوات والأرض ﴿ وفي صلح الحديبية فوائد عظيمة منها أن الله أدخل في رحمته جمعًا من الناس فأسلموا، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما.

الفائدة الثانية أن بعض المسلمين كان مستضعفًا بمكة فلو حصل قتال وهم غير متميزين لقتل بعضهم وحصل لهم بلاء عظيم، وأيضًا فيه رفع المشقة والتعب عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فالمقاتلة فيه مشقة وتعب، ولكن حصل لهم نصر بدون قتال، ولهذا تعجب عمر رضي الله عنه وقال: أو فتح هو؟ قال النبي ﷺ: «نعم»، فطابت نفسه، والقصد هو إدخال الناس في الدين وتعظيم شعائر الله وإزهاق الباطل بأي شيء كان ما دام أن هذه الوسيلة لا تخالف الشرع، وبعض الناس في زماننا هم أن يقاتل ويتحصل على الشهادة دون النظر إلى المصالح والمفاسد، فربما قتل بعض المشركين مع مجموعة من المسلمين بدون تحرز ولا تحرج، وهذا من الجهل فكم من شخص يفجر نفسه في أوساط مسلمين من أجل أن عندهم كافر أو راكب من السواح، وهذا غلط فالله تعالى يقول: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا﴾. فأقول للشباب المتحمسين لدينهم ليتعلموا الدين أولاً، ومنها: أحكام الجهاد حتى إذا جاهدوا على بصيرة وعلم فينفع الله بهم والله المستعان. وسيأتي ذكر مزيد من الفوائد عن فتح الحديبية بعد قليل.

قوله تعالى:

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية ٥.

أحمد ج ٣ ص ١٣٤: حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن أنس أنها نزلت على النبي ﷺ مرجعه من الحديدية وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة وقد حيل بينهم وبين مساكنهم ونحروا الهدي بالحديدية ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ إلى قوله: ﴿صراطا مستقيما﴾ قال: «لقد أنزلت علي آيتان هما أحب إلي من الدنيا جميعاً». قال: فلما تلاهما قال رجل: هنيئاً مريئاً يا رسول الله قا. بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية. الحديث أخرجه الإمام أحمد في مواضع من مسنده منها ص ١٩٦ من هذا الجزء وص ٢١٥ و ٢٥٢، وأخرجه البخاري ج ٨ ص ٤٥٦، وبين أن قوله: هنيئاً مريئاً من قول عكرمة، ومسلم ج ١٢ ص ١٤٣ عنده أصل الحديث وليس عنده نزول الآية، والترمذي ج ٤ ص ١٨٥، وابن جرير ج ٢٦ ص ٦٩، وابن حبان كما في موارد الظمان ص ٤٣٦، والحاكم ج ٢ ص ٤٥٩ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي وفيه: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ قال: فتح خيبر.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ في هذه الآية بشارة عظيمة للصحابة ﴿فبعد تبشيرهم بالفتح والظفر في الدنيا أتم الله عليهم النعمة فبشرهم برضوانه والجنة، وكذلك هي بشارة لكل مؤمن سلك سبيلهم واقتدى بهم لعموم لفظ الآية والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ الآية ٢٤ .

البخاري ج ٦ ص ٢٥٧: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قال: أخبرني الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالوا خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل^(١) حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يتبرضه^(١) الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي

(١) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(١) التبرض هو الأخذ قليلا قليلا كذا في الفتح.

نزلوا أعداد مياه الحديدية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجئ لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلُّوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جمعوا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بدليل سألبنهم ما تقول قال فانطلق حتى أتى قريشا قال إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود فقال أي قوم أستم بالولد^(١) قالوا بلى قال أولست بالوالد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتية قالوا اتته فاتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا

(١) كذا لأبي ذر ولغيره بالعكس أستم بالوالد وألست بالولد وهو الصواب وهو الذي في رواية

أحمد وابن إسحاق وغيرهما. اهـ. فتح الباري باختصار.

أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك قال
وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي
ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده
بنعل السيف وقال له آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال من هذا
قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألتست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما
في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ أما الإسلام فأقبل
وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال
فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه
وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضع كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم
خفضوا أصواتهم عنده وما يجدون إليه النظر تعظيماً له فرجع عروة إلى أصحابه فقال
أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن
رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً والله إن تنخم
نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره
وإذا توضع كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يجدون
إليه النظر تعظيماً له وإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة
دعوني آتية فقالوا آتته فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ هذا
فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبنون فلما
رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه
قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم

يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتية فقالوا آتته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فيبيننا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها فقال له النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما فيبيننا هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا قال النبي ﷺ فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بل قد أجزناه لك قال أبو جندل

أي معشر المسلمين أورد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله قال فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله ﷺ فقلت أأنت نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام قال قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا قال أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بجزئه فوالله إنه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى فأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك عملاً قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقيت من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتُ

فامتحنوهن»^(١) حتى بلغ «بعصم الكوافر» فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فتزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال النبي ﷺ ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وينقلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾

(١) تعليق: قال الحافظ في الفتح ج ٦ ص ٢٧٦: ظاهره أنهن جئن إليه وهو بالحديبية، وليس كذلك،

ولأنها جئن إليه بعد في أثناء المدة.

حتى بلغ ﴿الحمية حمية الجاهلية﴾ وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ولم يقرؤا
ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت.

الحديث أخرجه عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٤٢، وأحمد ج ٤ ص ٣٣١، وابن جرير ج ٢٦
ص ١٠١.

قال الإمام مسلم رحمه الله ج ١٢ ص ١٨٧: حدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا يزيد بن
هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة
هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فأخذهم سلماً فاستحياهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كف أيديهم
عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾.

الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٨٥ وأبو داود ج ٣ ص ١٣ وأحمد ج ٣ ص ١٢٢
و ١٢٥ وابن جرير ج ٢٦ ص ٩٤.

قال الإمام مسلم رحمه الله ج ١٢ ص ١٧٤: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا هاشم بن
القاسم ح و حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا أبو عامر العقدي كلاهما عن عكرمة بن
عمار ح و حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وهذا حديثه أخبرنا أبو علي الحنفي
عبيد الله بن عبد المجيد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثني إياس بن سلمة حدثني أبي
قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا
ترويا قال فقع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركبة فإما دعا وإما بصق فيها قال فجاشت
فسقينا واستقينا قال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة قال فبايعته
أول الناس ثم بايع وباع حتى إذا كان في وسط من الناس قال بايع يا سلمة قال قلت

قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس قال وأيضا قال ورآني رسول الله ﷺ عزلا يعني ليس معه سلاح قال فأعطاني رسول الله ﷺ حجة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال ألا تبايعني يا سلمة قال قلت قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس قال وأيضا قال فبايعته الثالثة ثم قال لي يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك قال قلت يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلا فأعطيته إياها قال فضحك رسول الله ﷺ وقال إنك كالذي قال الأول اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا قال وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه وأحسه وأخدمه وأكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله ﷺ قال فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فمسحت شوكة فاضطجعت في أصلها قال فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا للمهاجرين قتل ابن زنيم قال فاخرطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثا في يدي قال ثم قلت والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم

الآية كلها قال ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلا بيننا وبين بني لحيان جبل وهم المشركون فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه قال سلمة فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثا ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه وخرجت معه بفرس طلحة أُنديه مع الظهر فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قال فقلت يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه على قال ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثا يا صباحاه ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول

أنا ابن الأكوع
اليوم يوم الرضع
فألحق رجلا منهم فأصك سهما في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه قال قلت خذها:

وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع
قال فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجعت إلى فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة قال فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري وخلصوا بيني وبينه ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يستخفون ولا يطر حون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتوا متضايقا من ثنية فإذا هم

قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون يعني يتغدون وجلست على رأس
 قرن قال الفزاري ما هذا الذي أرى قالوا لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلس
 يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا قال فليقم إليه نفر منكم أربعة قال فصعد إلي منهم
 أربعة في الجبل قال فلما أمكنوني من الكلام قال قلت هل تعرفوني قالوا لا ومن أنت
 قال قلت أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجهه محمد ﷺ لا أطلب رجلا منكم إلا
 أدركته ولا يطلبني رجل منكم فيدركني قال أحدهم أنا أظن قال فرجعوا فما برحت
 مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال فإذا أولهم الأخرم
 الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي قال
 فأخذت بعنان الأخرم قال فولوا مدبرين قلت يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حتى
 يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم
 أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال فخليته فالتقى هو وعبد
 الرحمن قال فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه ولحق
 أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله فوالذي كرم وجهه محمد ﷺ
 لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئا
 حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ليسربوا منه وهم
 عطاش قال فنظروا إلي أعدو وراءهم فخليتهم عنه يعني أجليتهم عنه فما ذاقوا منه
 قطرة قال ويخرجون فيشتدون في ثنية قال فأعدو فألحق رجلا منهم فأصكه بسهم في
 نغض كتفه قال قلت خذها:

وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال يا ثكلته أمه أكوعه بكرة قال قلت نعم يا عدو نفسه أكوعك بكرة قال وأردوا
فرسين على ثنية قال فجئت بها أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال ولحقني عامر بسطيحة
فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو
على الماء الذي حلاهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته
من المشركين وكل رمح وبردة وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم
وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال قلت يا رسول الله خلني
فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته قال فضحك
رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار فقال يا سلمة أترأك كنت فاعلا قلت
نعم والذي أكرمك فقال إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان قال فجاء رجل من
غطفان فقال نحر لهم فلان جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا فقالوا أتاكم القوم
فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة
وخير رجالتنا سلمة قال ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم
الراجل فجمعهما لي جميعا ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى
المدينة قال فبينما نحن نسير قال وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا قال فجعل يقول
ألا مسابق إلى المدينة هل من مسابق فجعل يعيد ذلك قال فلما سمعت كلامه قلت أما
تكرم كريها ولا تهاب شريفا قال لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ قال قلت يا رسول الله
بأبي وأمي ذرني فلا سابق الرجل قال إن شئت قال قلت اذهب إليك وثنيت رجلي
فطفرت فعدوت قال فربطت عليه شرفا أو شرفين أستبقي نفسي ثم عدوت في إثره
فربطت عليه شرفا أو شرفين ثم إني رفعت حتى ألحقه قال فأصكه بين كتفيه قال قلت

قد سبقت والله قال أنا أظن قال فسبقته إلى المدينة قال فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى
 خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم
 تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا
 وأنزلن سكينه علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول
 الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي
 الله لولا ما متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قال خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه
 ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
 إذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر
 قال فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع
 سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فإذا نفر من
 أصحاب النبي ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبي ﷺ وأنا
 أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله ﷺ من قال ذلك قال قلت
 ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني النبي ﷺ
 إلى علي وهو أرمد فقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله

قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبسق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرته كليث غابات كريبه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه.

قال إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عكرمة بن
عمار بهذا الحديث بطوله.

وحدثنا أحمد بن يوسف الأزدي السلمي حدثنا النضر بن محمد عن عكرمة بن عمار
بهذا.

قال الإمام أحمد رحمته الله ج ٤ ص ٨٦: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني حسين بن
واقد قال: حدثني ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المزني قال: كنا مع رسول الله ﷺ

بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك
الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه فقال

رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ سهيل بن عمرو بيده
فقال: ما نعرف بسم الله الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: اكتب باسمك

اللهم فكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة فأمسك سهيل بن

عمر وبيده وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله: فكتب فينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله عز وجل بأبصارهم فقدمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟» فقالوا: لا فخلى سبيلهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرًا﴾ قال أبو عبد الرحمن: قال حماد بن سلمة في هذا الحديث: عن ثابت عن أنس وقال حسين بن واقد: عن عبد الله بن مغفل وهذا هو الصواب عندي إن شاء الله تعالى.

الحديث أخرجه ابن جرير ج ٢٦ ص ٩٤ والبيهقي ج ٦ ص ٣١٩ والحاكم ج ٢ ص ٤٦١ وقال: صحيح على شرط الشيخين إذ لا يبعد سماع ثابت من عبد الله بن مغفل وقد اتفقا على إخراج حديث معاوية بن قررة وعلى حديث حميد بن هلال عنه وثابت أسن منها جميعًا. اهـ. والحديث عند الحاكم من طريق علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا الحسن بن واقد به.

قال أبو عبد الرحمن: الحسين بن واقد ليس من رجال البخاري ولم يخرجوا لثابت عن عبد الله بن مغفل شيئًا كما في تحفة الأشراف فعلى هذا لا يقال على شرطهما والحديث عندنا في الشواهد كما ترى على أنه قد ذكر الحافظ المزي في تحفة الأشراف أن أبا بكر بن أبي داود رواه عن محمد بن عقيل بهذا الإسناد عن ثابت قال: حدثني عبد الله بن مغفل. اهـ. والله أعلم.

وفي جامع التحصيل وروى الحسين بن واقد عن ثابت عن عبدالله بن مغفل فلا ندري لقيه أم لا.

تنبيه:

قال الحافظ في الفتح على حديث البخاري حيث قال البخاري بسنده، فأنزل الله وذكر الآية، قال الحافظ: كذا هنا وظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير وفيه نظر، والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك وأخرجه أحمد والنسائي من حديث عبدالله بن مغفل بإسناد صحيح^(١) أنها نزلت بسبب القوم الذين أرادوا من قريش أن يأخذوا من المسلمين غرة فظفروا بهم فعفا عنهم النبي ﷺ فنزلت الآية وقيل في نزولها غير ذلك. اهـ. أقول: ويؤيد ما قاله الحافظ رحمته الله أن في الآية: ﴿ببطن مكة﴾ وأبو بصير وجماعته لم يكونوا ببطن مكة، والله أعلم.

التعليق:

وفي قصة صلح الحديبية فوائد كثيرة ودروس للأمة الإسلامية، قد استوعبها شيخ الإسلام بن القيم رحمته الله في زاد المعاد ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٧٥ فنذكرها بتامها، فقال رحمته الله تعالى:

فصل: في بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية

١/ فمنها: اعتبار النبي ﷺ في أشهر الحج، فإنه خرج إليها في ذي

(١) تقدم ما يخشى من الانقطاع بين ثابت وعبدالله بن مغفل.

القعدة.

٢/ منها: أن الإحرام بالعمرة من الميقات أفضل، كما أن الإحرام بالحج كذلك، فإنه أحرم بهما من ذي الحليفة، وبينها وبين المدينة ميل أو نحوه، وأما حديث «من أحرم بعمرة من بيت المقدس، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» وفي لفظ: «كانت كفارة لما قبلها من الذنوب»، فحديث لا يثبت، وقد اضطرب فيه إسناداً وامتناً اضطراباً شديداً.

٣/ ومنها: أن سوق الهدى مسنون في العمرة المفردة، كما هو مسنون في القرآن.

٤/ ومنها: أن إشعار الهدى سنة لا مثله منهي عنها.

٥/ ومنها: استحباب مغايظة أعداء الله، فإن النبي ﷺ أهدى في جملة هديه جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة يغيب به المشركين، وقد قال تعالى في صفة النبي ﷺ وأصحابه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوِّئُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

٦/ ومنها: أن أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو.

٧/ ومنها: أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة، لأن عينه الخزاعي كان كافراً إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو، وأخذ أخبارهم.

٨/ ومنها: استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه، استخراجاً لوجه الرأي، واستطابة لنفوسهم، وأمثاً لعبتهم، وتعرفاً لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامتنالاً لأمر الرب في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

٩/ ومنها: جواز سبي ذراري المشركين إذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال. ١٠/ ومنها:

ردُّ الكلام الباطل ولو نسب إلى غير مكلف، فإنهم لما قالوا: خلأت القصواء، يعني حرنت وألحت، فلم تسر، والخلاء في الإبل بكسر الخاء والمد، نظير الحِران في الخيل، فلما نسبوا إلى الناقة ما ليس من خُلُقِها وطبعها، رده عليهم، وقال: «ما خلأت وما ذاك لها بخُلُق»، ثم أخبر ﷺ عن سبب بروكها، وأن الذي حبس الفيل عن مكة حبسها للحكمة العظيمة التي ظهرت بسبب حبسها، وما جرى بعده.

١١/ ومنها: أن تسمية ما يلبسه الرجل من مراكبه ونحوها سنة.

١٢/ ومنها: جواز الحلف، بل استحبابه على الخبر الديني الذي يريد تأكيده، وقد حفظ عن النبي ﷺ الحلف في أكثر من ثمانين موضعًا، وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع: في (سورة يونس)، و (سبأ)، و (التغابن).

١٣/ ومنها: أن المشركين، وأهل البدع والفجور، والبغاة والظلمة، إذا طلبوا أمرًا يعظمون فيه حرمة من حُرِّمات الله تعالى، أجبوا إليه وأعطوه، وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمة الله تعالى، لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكُلُّ من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرضٍ له، أوجب إلى ذلك كائنًا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبعوضٌ لله أعظم منه، وهذا من أدق المواضع وأصعبها، وأشقها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق، وقال عمر ما قال، حتى عمل له أعمالًا بعده، والصديق تلقاه بالرضى والتسليم، حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله ﷺ، وأجاب عمر عما سأل عنه من ذلك بعين جواب رسول الله عليه وسلم، وذلك يدل على أن الصديق ﷺ أفضل الصحابة وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى ورسوله ﷺ، وأعلمهم بدينه، وأقومهم بمحابه، وأشدهم موافقة له، ولذلك لم يسأل عمر عما عرض له إلا رسول الله ﷺ وصديقه خاصة دون سائر أصحابه.

١٤/ ومنها: أن النبي ﷺ عدلٌ ذات اليمين إلى الحديبية. قال الشافعي: بعضها من الحل،

وبعضها من الحرام.

وروى الإمام أحمد في هذه القصة أن النبي ﷺ كان يصلي في الحرم، وهو مضطرب في الحل، وفي هذا كالدلالة على أن مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لا يخص بها المسجد الذي هو مكان الطواف، وأن قوله: «صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي» كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، وكان الإسراء من بيت أم هانئ.

١٥/ ومنها: أن من نزل قريبا من مكة، فإنه ينبغي له أن ينزل في الحل، ويصلي في الحرم، وكذلك كان ابن عمر يصنع.

١٦/ ومنها: جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم.

وفي قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، ولم يكن عادته أن يُقام على رأسه، وهو قاعد، سنة يُقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام، وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمّه النبي ﷺ بقوله: «من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»، كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره، وفي بعث البدن في وجه الرسول الآخر دليل على استحباب إظهار شعائر الإسلام لرسل الكفار.

وفي قول النبي ﷺ للمغيرة: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فليست منه في شيء»، دليل على أن مال المشرك المعاهد معصوم، وأنه لا يملك، بل يرد عليه، فإن المغيرة كان قد صحبهم على الأمان، ثم غدر بهم، وأخذ أموالهم، فلم يتعرض النبي ﷺ لأموالهم، ولا ذبَّ عنها، ولا ضمنها لهم،

لأن ذلك كان قبل إسلام المغيرة.

وفي قول الصَّدِّيق لعروة: اممص بظَّر اللات، دليل على جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي ﷺ لمن ادَّعى دعوى الجاهلية بهن أبيه، ويقال له: اعضض أير أبيك، ولا يُكنَى له، فلكل مقام مقال.

١٧/ ومنها: احتمال قِلَّةُ أدب رسول الكفار، وجهله وجفوته، ولا يقابل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة، ولم يُقابل النبي ﷺ عروة على أخذه بلحيته وقت خطابه، وإن كانت تلك عادة العرب، لكن الوقار والتعظيم خلاف ذلك.

وكذلك لم يُقابل رسول الله ﷺ رسولي مسيلمة حين قالوا: نشهد أنه رسول الله وقال: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما».

١٨/ ومنها: طهارة النخامة، سواء كانت من رأس أو صدر.

١٩/ ومنها: طهارة الماء المستعمل.

٢٠/ ومنها: استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المكروهة، لقوله لما جاء سهيل: «سهل أمركم».

٢١/ ومنها: أن المشهود عليه إذا عُرفَ باسمه واسم أبيه، أغنى ذلك عن ذكر الجد، لأن النبي ﷺ لم يزد على محمد بن عبد الله، وقنع من سهيل بذكر اسمه واسم أبيه خاصة، واشترط ذكر الجد لا أصل له، ولما اشترى العداء بن خالد منه الغلام فكتب له: «هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوزة» فذكر جده، فهو زيادة بيان تدل على أنه جائز لا بأس به، ولا تدل على اشتراطه، ولما لم يكن في الشهرة بحيث يكتفي باسمه واسم أبيه ذكر جده، فيشترط ذكر الجد عند الاشتراك في الاسم واسم الأب، وعند عدم الاشتراك، اكتفي بذكر الاسم واسم الأب والله أعلم.

٢٢/ ومنها: أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة

الراجعة، وودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتيال أدناهما.
 ٢٣/ ومنها: أن من حلف على فعل شيء، أو نذره، أو وعد غيره به ولم يعين وقتاً، لا بلفظه، ولا بنيته، لم يكن على الفور، بل على التراخي.

٢٤/ ومنها: أن الحلاق نسك، وأنه أفضل من التقصير، وأنه نسك في العمرة، كما هو نسك في الحج، وأنه نسك في عمرة المحصور، كما هو نسك في عمرة غيره.

٢٥/ ومنها: أن المحصر ينحر هديه حيث أحصر من الحل أو الحرم، وأنه لا يجب عليه أن يواعد من ينحره في الحرم إذا لم يصل إليه، وأنه لا يتحلل حتى يصل إلى محله، بدليل قوله تعالى: ﴿والهدي معكوفاً أن يبلغ محله﴾ [الفتح: ٢٥].

٢٦/ ومنها: أن الموضع الذي نحر فيه الهدى، كان من الحل لا من الحرم، لأن الحرم كله محل الهدى.

٢٧/ ومنها: أن المحصر لا يجب عليه القضاء، لأنه أمرهم بالحلوق والنحر، ولم يأمر أحدا منهم بالقضاء، والعمرة من العام القابل لم تكن واجبة، ولا قضاء عن عمرة الإحصار، فإنهم كانوا في عمرة الإحصار ألفاً وأربعمائة، وكانوا في عمرة القضية دون ذلك، وإنما سميت عمرة القضية والقضاء، لأنها العمرة التي قاضاهم عليها، فأضيفت العمرة إلى مصدر فعله.

٢٨/ ومنها: أن الأمر المطلق على الفور وإلا لم يغضب لتأخيرهم الامتثال عن وقت الأمر، وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بأنهم كانوا يرجون النسخ، فأخروا متأولين لذلك، وهذا الاعتذار أولى أن يعتذر عنه، وهو باطل، فإنه لو فهم منهم ذلك، لم يشتد غضبه لتأخير أمره، ويقول: «مالي لا أغضب، وأنا أمر بالأمر فلا أتبع»، وإنما كان تأخيرهم من السعي المغفور لا المشكور، وقد ، وغفر لهم، وأوجب لهم الجنة.

٢٩/ ومنها: أن الأصل مشاركة أمته له في الأحكام، إلا ما خصه الدليل، ولذلك قالت أم سلمة:

«اخرج ولا تكلم أحدا حتى تخلق رأسك وتنحر هديك»، وعلمت أن الناس سيتابعونه.

فإن قيل: فكيف فعلوا ذلك اقتداءً بفعله، ولم يمثلوه حين أمرهم به؟ قيل: هذا هو السبب الذي لأجله ظن من ظن أنهم آخروا الامثال طمعا في النسخ، فلما فعل النبي ﷺ ذلك، علموا حينئذ أنه حكم مستقر غير منسوخ، وقد تقدم فساد هذا الظن، ولكن لما تغيظ عليهم، وخرج ولم يكلمهم، وأراهم أنه بادر إلى امثال ما أمر به، وأنه لم يؤخر كتأخيرهم، وأن اتباعهم له وطاعتهم توجب اقتداءهم به، بادروا حينئذ إلى الاقتداء به وامثال أمره.

٣٠/ ومنها: جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم إلى المسلمين، وألا يرد من ذهب من المسلمين إليهم، هذا من غير النساء، وأما النساء فلا يجوز اشتراط ردهن إلى الكفار، وهذا موضع النسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن، ولا سبيل إلى دعوى النسخ في غيره بغير موجب.

٣١/ ومنها: أن خروج البضع من ملك الزوج متقوم، ولذلك أوجب الله سبحانه رد المهر على من هاجرت امرأته، وحيل بينه وبينها وعلى من ارتدت امرأته من المسلمين إذا استحق الكفار عليهم رد مهر من هاجر إليهم من أزواجهم، وأخبر أن ذلك حكمه الذي حكم به بينهم، ثم لم ينسخه شيء، وفي إيجابه رد ما أعطى الأزواج من ذلك دليل على تقومه بالمسمى، لا بمهر المثل.

٣٢/ ومنها: أن رد من جاء من الكفار إلى الإمام لا يتناول من خرج منهم مسلما إلى غير بلد الإمام، وأنه إذا جاء إلى بلد الإمام، لا يجب عليه رده بدون الطلب، فإن النبي ﷺ لم يرد أبا بصير حين جاءه، ولا أكرهه على الرجوع، ولكن لما جاؤوا في طلبه، مكثهم من أخذه ولم يكرهه على الرجوع.

٣٣/ ومنها: أن المعاهدين إذا تسلموه وتمكنوا منه فقتل أحدا منهم لم يضمنه بدية ولا قود ولم يضمنه الإمام، بل يكون حكمه في ذلك حكم قتله لهم في ديارهم حيث لا حكم للإمام عليهم، فإن أبا بصير قتل أحد الرجلين المعاهدين بندي الحليفة، وهي من حكم المدينة، ولكن كان قد تسلموه، وفصل عن يد الإمام وحكمه.

٣٤/ ومنها: أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام، فخرجت منهم طائفة، فحاربتهم، وغنمت أموالهم، ولم يتحيزوا إلى الإمام، لم يجب على الإمام دفعهم عنهم، ومنعهم منهم، وسواء دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه، أو لم يدخلوا، والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين، لم يكن عهدا بين أبي بصير وأصحابه وبينهم، وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد، جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم، ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد، كما أفتى به شيخ الإسلام في نصارى ملطية وسيبهم: مستدلا بقصة أبي بصير مع المشركين. اهـ كلامه بِسْمِ اللَّهِ.

ونحن سقناه بتمامه لحسنه وحلاوته فلا مزيد عليه عندي. والحمد لله.



سورة الحجرات

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية ١ .

البخاري ج ٩ ص ١٤٧: حدثني إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر بل أمّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت أصواتها فنزلت في ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ حتى انقضت.

الحديث أعاده أيضاً في التفسير ج ١٠ ص ٢١٤، من طريق الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج به.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ قال ابن جرير رحمته الله: أي: يا أيها الذين أقرؤا بوحداية الله وبنبوة نبيه محمد ﷺ لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله فتضلوا بخلاف أمر الله ورسوله. اهـ. من تفسيره. وبعض الناس اليوم يقدم قول شيخه أو أمير حزبه على حكم الله وحكم رسوله ﷺ ولو استدلت عليه بآية أو حديث قال: لكن قد أفتى فلان بكذا وكذا، ومثل هذا يُحشى عليه من قوله تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾.

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية ٢.

البخاري ج ١٠ ص ٢١٢: حدثنا يَسْرَةَ^(١) بن صفوان بن جميل اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر ؓ؛ رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع. وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر. الحديث أخرجه أيضًا في كتاب الاعتصام ج ١٧ ص ٣٩، وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٨٥، وعنده تصريح عبدالله بن أبي مليكة أن عبدالله بن الزبير حدثه به، وحسنه، وأحمد ج ٤ ص ٦، والطبراني ج ٢٦ ص ١١٩ وفيه قول نافع حدثني ابن أبي مليكة عن ابن الزبير فعلم اتصال الحديث كما أشار إليه الحافظ في الفتح ج ١٠ ص ٢١٢.

(١) يَسْرَةَ: بالياء المثناة من تحت والسين المهملة المفتوحتين.

التعليق:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ هذا أيضًا أمر آخر بالتأدب مع رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم إذا خاطبوا رسول الله ﷺ أو كانوا في مجلسه، فالواجب احترامه وتوقيره، ولهذا عمر رضي الله عنه التزم بذلك فكان لا يرفع صوته حتى يستفهمه بعد ما نزلت الآية الكريمة، وقد التزم ذلك أيضًا ثابت بن قيس بن شماس فقال البخاري رحمته الله [٤٨٤٦]: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد حدثنا ابن عون قال: أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسا رأسه فقال: ما شأنك؟ فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

ورواه مسلم في الإيمان برقم [١١٩] والنسائي في التفسير وقد كان الصحابة رضي الله عنهم ملتزمين بذلك، بل ومعظمين للنبي غاية التعظيم.

وفي الآية الأمر بتعظيم النبي ﷺ وتوقيره، فحقه على الأمة عظيم فيجب احترامه حيًا وميتًا واحترام كلامه وسنته فكان واجبًا خفض الصوت في حضرته وفي حال مناجاته ومخاطبته فليس كغيره من الناس فحقه عظيم، وكذلك حقه عظيم بعد مماته فلا يعارض كلامه، وإذا كان كلامه يُقرأ فينبغي خفض الصوت عند سماعه.

قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي رحمته الله: حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا وكلامه المأثور

.....

بعد موته في الرفعة مثال المسموع من لفظه: فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ وكلامه من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة بينها في كتب الفقه. اهـ من تفسير القرطبي رحمته الله وهو محمد بن أحمد الأنصاري.



قوله تعالى:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآية ٩.

البخاري ج ٦ ص ٢٢٦: حدثنا مسدد حدثنا معتمر قال: سمعت أبي أن أنسا رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم وعمل آله وسلم فقال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما^(١)، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والنعال والأيدي، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. الحديث ذكره الحافظ ابن كثير ج ٤ ص ٢١١ من طريق معتمر من مسند أحمد، ثم قال: رواه البخاري في الصلح عن مسدد، ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به، وأخرجه ابن جرير ج ٢٦ ص ١٢٨.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ومعنى الآية إذا اقتتل جماعة من المسلمين أهل الإيمان فعليكم أيها المؤمنون أن تصلحوا بينهم بأن تدعوهم إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجوع إليه وإلى حكمه كما قال سبحانه

(١) قال الحافظ في الفتح: كذا للأكثر أي شتم كل واحد منها الآخر وفي رواية الكشميهني: فشتمه.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ فالذي يحكم بكتاب الله وسنة نبيه فقد حكم بالعدل.

وفي الآية رد على الخوارج الذين يكفرون بالكبيرة فيقولون من قاتل المسلمين كفر، ولا حجة لهم بل الدليل يرد عليهم، وقد ساءهم الله مؤمنين فقال سبحانه: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ وقال بعدها: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾. وعن أبي بكره رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه». متفق عليه.

فساءهما مسلمين ولم يخرجهما عن الإسلام.

وقال البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه: باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك.

وقال أيضًا بعد: باب ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾. فساءهم مؤمنين واستدل بحديث أبي بكره الذي سقته.

قلت: وهذا فيه رد أيضًا على المعتزلة الذين يقولون: صاحب الكبيرة لا مؤمن، ولا كافر وفي الآخرة إذا مات على الكبيرة فهو مخلد، فقالوا كما قال الخوارج، وهذا منهم ضلال مبين مخالف للكتاب والسنة والسلف الصالح، فالسلف رحمهم الله لا يكفرون بالمعصية مهما كان كبرها ما لم تكن شركًا وكفرًا ومن مات على كبيرة فإن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم يدخله الجنة ما دام أنه من أهل التوحيد. والحمد لله على إحسانه.

وقال القرطبي في تفسيره:

قال العلماء: لا تخلوا الفتان من المسلمين في اقتالهما إما أن يقتلا على سبيل البغي منها جميعاً أولاً. فإن كانت الفتان باغيتان فهذا يصلح بينهما حتى ينتهيا، وإن كانت واحدة باغية والأخرى غير باغية فيجب كف الباغية وردها إلى الصواب، وإذا لم ترجع فليقاتلها الإمام أو من قدر على ذلك حتى ترجع إلى الحق وبعد ذلك يصلحون بينهم بالعدل. ومما يتعلق بقصة عبدالله بن أبي أيضاً ما أخرجه البخاري [٦٢٥٤] فقال ﷺ: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكافٌ تحته قطيفة فذكية وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عباد فقال: «أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟- يريد عبد الله بن أبي- قال كذا وكذا»، قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجه فيعصبونه بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك فذلك فعل به ما

رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ. ورواه مسلم [١٧٩٨].

وفي هذا الصبر على أذى المنافقين، والمشركين، وأهل الظلم، فصاحب الحق محتاج أن يتحلى بالصبر وخاصة الداعية.



قوله تعالى :

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ الآية ١١ .

الترمذي ج ٤ ص ١٨٦: حدثنا عبد الله بن إسحق الجوهري البصري حدثنا أبو زيد صاحب الهروي عن شعبة عن داود بن أبي هند قال: سمعت الشعبي يحدث عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ هذا حديث حسن صحيح. حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي جبيرة بن الضحاك نحوه وأبو جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٤ ص ٤٤٥، وابن ماجة رقم ٣٧٤١، وأحمد عن أبي جبيرة عن عمومته ج ٤ ص ٦٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١١١: رجاله رجال الصحيح، وذكره أيضًا أحمد ج ٥ ص ٣٨٠ عن عمومة له، والبخاري في الأدب المفرد ص ١٢١، وابن حبان كما في موارد الظمان ص ٤٣٦، وابن جرير ج ٢٦ ص ١٣٢ والحاكم ج ٢ ص ٤٦٣ ج ٤ ص ٢٨٢ وقال في الأول: صحيح على شرط مسلم وفي الثاني: صحيح الإسناد وأقره الذهبي في الموضوعين.

تنبيه:

أبو جبيرة مختلف في صحبته قال أبو أحمد وتبعه ابن عبد البر، قال بعضهم: له صحبة، وقال بعضهم: لا صحبة له، وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم له صحبة، قال الحافظ في الإصابة: قلت: أخرج حديثه البخاري في الأدب المفرد، وأصحاب السنن، وصححه

الحاكم، وحسنه الترمذي ثم ذكر هذا الحديث. أقول: الظاهر ثبوت صحبته إذ لو كان تابعياً لنبه هؤلاء الذين أخرجوا حديثه أنه مرسل، ومن علم حجة على من لا يعلم، على أنه قد روى هذا الحديث كما في مسند أحمد ج ٤ ص ٦٩ وج ٥ ص ٣٨٠ عن عمومة (١)

له قدم النبي ﷺ، وليس أحد منا إلا له لقب أو لقبان. الحديث. قال الهيثمي ج ٧ ص ١١١: رجاله رجال الصحيح، ثبت الحديث والحمد لله.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَابَرُؤْا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تدعوا شخصاً باسم ولقب يكرهه ويسوؤه مثل يا أعرج، ويا أعمى، ويا أعور، أو يا مجرم، أو يا عاصي، أو يا فاسق، ونحو ذلك من الألقاب التي لا يرتضيها المدعو، فالمسلم لا يحل له أن يعير أخاه بما يكره ويُغضبه، بل ينبغي إدخال السرور عليه وملاطفته، وأهل الجاهلية هم الذين كانوا يتنازرون بالألقاب الكريهة، وأما بعد الإسلام فقد حرم فينبغي الترك، وكذلك بعد التوبة، فلا يعير بما كان فيه. وقال ابن جرير رحمه الله: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنازروا بالألقاب، والتنازير بالألقاب هو: دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من إسم وصفة، وعمّ الله بنهيه ذلك ولم يخصص به الألقاب دون بعض فغير جائز لأحد من المسلمين أن يبنز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها. اهـ المراد.

وقوله في الآية: ﴿بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾. قال ابن كثير رحمه الله: أي: بئس الصفة

(١) وفي أسباب النزول للواحدي عن أبيه وعمومة له.

والإسم الفسوق، وهو التنازب بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتناعتون، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ﴿ومن لم يتب﴾ أي من هذا، ﴿فأنتك هم الظالمون﴾. اهـ.

فسماه الله ظالمًا الذي لم يتب إلى الله تعالى وينتهي عن التنازب بالألقاب فهو ظالم لأخيه، وبعض المسلمين اليوم يلمزون أهل السنة بألقاب تنفر الناس عنهم، فبعضهم يصفهم بأنهم متشددون، وآخر يقول: متنتعون، وآخر يقول: وهابية، وآخر يصفهم بأنهم إرهابيون، والواجب على هؤلاء أن يتوبوا إلى الله ويشنون خيرًا على أهل السنة ويعرفون لهم حقهم.

وأقول: يستثنى من هذا إذا كان صاحب اللقب لا يغضب فلا بأس، والأحسن اجتنابه إذا كان يعرف بغيره، وأما إذا كان لا يعرف إلا به وأراد الإنسان التعريف به لا سخرية فلا بأس بذلك عند الحاجة كما قال النبي ﷺ حين قال رجل أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: «لم أنس ولم تقصر»، فقال: بلى صليت ركعتين - وهو في صلاة رباعية - فقال النبي ﷺ: «أكما قال ذو اليمين؟» قالوا نعم، فقام فصلى ركعتين... إلخ. والحديث في الصحيحين. وكان في يده طول، فذكره بلقبه، فإما أنه كان لا يغضب، أو أنه لا يعرف إلا به، وقال تعالى: ﴿عبس وتولى﴾ أن جاءه الأعمى ﴿فابن أم مكتوم كان أعمى، فذكره الله به، وبعض السلف كان يقول: حدثنا فلان الأعرج، و«الفقير، ونحو ذلك. والله تعالى أعلم.

تنبیه:

ولكن لا يدعو بلقب فيه نقص في دينه، فلا يقل: يا «فاسق» «يا زاني» «يا عاصي» أو «فلان العاصي» ونحو ذلك. والله أعلم.



سورة القمر

الترمذي ج ٤ ص ١٩١: حدثنا عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية: فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ إلى قوله: ﴿سحر مستمر﴾ أي ذاهب. هذا حديث حسن صحيح.

الحديث أصله في الصحيحين لكن ليس عندهما التصريح بنزول الآيات. وأخرج الطبري ج ٢٧ ص ٨٥، والبيهقي في دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٢، والحاكم وقال: على شرط الشيخين ج ٢ ص ٤٧١، وأقره الذهبي وقال: وأصله في الكتابين، من حديث ابن مسعود نحوه.

وأخرج الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴿ قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٠: سنده جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض، ويقال: إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر. اهـ. وقال ج ٦ ص ٧٥، ٧٦: وهذا سياق غريب وذكر نحوه ما تقدم.

التعليق:

ذكر المصنف رحمه الله: في سبب النزول حديث أنس من جامع الترمذي وفيه معمر عن قتادة ورواية معمر عن قتادة ضعيفة.

قال يحيى بن معين رحمه الله: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالقه، وذكر أيضًا أنه عن أهل الكوفة والبصرة يعني لا تحدث عنه كما في التهذيب لابن حجر. وقتادة بصري وهذا الضعف ليس شديدًا فحديثه يصلح في الشواهد والمتابعات.

وقال الدار قطني في العلل: معمر سيء الحفظ، لحديث قتادة والأعمش.

وقال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: قال معمر: جلست إلى قتادة وأنا صغير فلم أحفظ عنه الأسانيد. اهـ من ملحق العلل لابن رجب على الترمذي ج ٢ ص ٥٠٨، ٥٠٩. ولكن للحديث شواهد يصلح بها وأن الآية نزلت بسبب ما قالوا. والحمد لله.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة والجزاء فيه. وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ﴾ أي وإن يروا علامة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يعرضوا عنها ويكذبوا بها، ولهذا قالوا: ﴿ سحر مستمر ﴾ أي ذاهب، قاله مجاهد كما عند البخاري معلقًا في التفسير. وقال الحافظ وصله الفريابي،

ومعنى ذاهب: أي سيذهب ويبطل، وقيل: سائر. اهـ.

قلت: ووصل أثر مجاهد هذا ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عنه، ورواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير فيها مقال، لكن قد اعتمدها البخاري هنا، وأيضًا المعنى صحيح وواضح. والحمد لله.

.....
 وهم أرادوا أن يردوا الحق بقولهم: سحر محمد القمر، فإنه لم ينشق حقيقةً وهذا السحر سيذهب
 ويزول في زعمهم، فرد الله عليهم ذلك.

وأما الأحاديث التي ذكر فيها انشقاق القمر ولم يذكر فيها سبب النزول فكثيرة، أذكر منها طرفاً،
 منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قال البخاري رحمته الله في تفسيره [٤٨٦٤]: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن
 الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا». وأخرجه مسلم
 برقم [٢٨٠٠]، وحديث أنس رضي الله عنه بنحوه في الصحيحين.

وقال البخاري رحمته الله [٤٨٦٦]: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثني بكر عن جعفر عن عراك بن
 مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنه قال: انشق القمر في زمان
 النبي صلى الله عليه وسلم. وأخرجه مسلم.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين، فرقة على هذا
 الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن
 يسحر الناس كلهم. رواه أحمد ج ٤ ص ٨١، وابن جرير وغيرهما، وسنده فيه جهالة، لكنه صالح
 في الشواهد كما هو الحال.

قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآيتان ٤٨، ٤٩.

مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا: حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ * إنا كل شيء خلقناه بقدر.

الحديث أخرجه الترمذي ج ٣ ص ٢٠٤، ج ٤ ص ١٩١ وقال في الموضوعين: حسن صحيح وابن ماجه رقم ٨٣ وأحمد ج ٢ ص ٤٤٤، و٤٧٦ وابن جرير ج ٢٧ ص ١١٠ والبيهقي في شعب الإيمان ج ١ ص ١٢٦ والبخاري في خلق أفعال العباد^(١) ص ١٩ وذكر له شاهداً فقال: حدثنا محمد بن يوسف ثنا يونس بن الحارث ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعَرَ﴾ في أهل القدر، ثم قال البخاري بِسْمِ اللَّهِ: ويروى عن ابن عباس ومعاذ بن أنس رضي الله عنهما. وأخرجه الطبراني في الكبير ج ٥ ص ٣١٩ من حديث زرارة غير منسوب وفي سنده ابن زرارة مبهم.

(١) روه كلهم من طريق إسماعيل بن زياد المخزومي وقد قال ابن معين: إنه ضعيف وقال علي بن المديني: رجل من أهل مكة معروف، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس به بأس. اهـ. من تهذيب التهذيب فمن مجموع كلام هؤلاء الأئمة يستفاد أن حديثه أنزل من الحسن لكن يتقوى الحديث بالشواهد التي ذكرت، والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ أي: في تيه ومعزل عن الحق وذهاب عنه، ﴿وسعر﴾ قيل: في حريق وعناء ونصب في الباطل، وقيل: هم في جنون، فعند أن عميت قلوبهم عن الحق فنفسهم تحترق، وهم في حقد على الإسلام وأهله ولا يضررون إلا أنفسهم، وهم في الآخرة في حريق جهنم ونارها والعياذ بالله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ هؤلاء هم المجرمون جزاءً وفاقاً لهم، وهذا يوم القيامة يوم الجزاء ولشدة الإهانة بهم يسحبون على وجوههم التي تكبرت عن السجود لله والخضوع له فاستحقت الإهانة. وقوله: ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا ألم العذاب فمسها ألمهم عند الوقوع فيها، وهذا من باب التوبيخ لهم فيقع عليهم عذاب في الأجسام وعذاب في النفوس.

و ﴿سقر﴾ إسم من أسماء جهنم، وقال قطرب: ﴿سقر﴾ من سقرته الشمس، وصقرته لؤحته، ويومٌ مُسْمَرٌ ومُصْمَرٌ شديد الحر. نقله عنه القرطبي في تفسيره عند هذه الآية.

وقول أبي هريرة رضي الله عنه: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر. يعني: يخاصمونه ويجادلونه ويجاجونه عليه الصلاة والسلام في القدر مثل قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا﴾ ولو شاء الله أن نكون مثلكم لفعلنا أو لهدانا، وهذا القدر هو ما قدره الله وقضاه في الأزل وفي اللوح المحفوظ والله عز وجل لا يقع في ملكه إلا ما يشاءه وأراده وهو عالم بالأشياء قبل وقوعها وهو خالق كل شيء وفق علمه سبحانه من خير وشر، وخلق المؤمن والكافر وابتلى الله العباد، فهو الفعال لما يريد.

قال الإمام النووي رحمته الله: المراد بالقدر هنا المعروف، وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه

وإرادته، وأشار الباجي إلى خلاف هذا وليس كما قال، وفي هذه الآية الكريمة والحديث تصريح بإثبات القدر وأنه عام في كل شيء، فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله مراد له. اهـ من شرح مسلم في القدر ج ١٦ / ٢٠٥.

وفي هذا رد على القدرية النفاة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز». رواه مسلم في القدر.

وحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك». رواه مسلم وغيره.

فهو سبحانه المتصرف في الخلق يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهناك أدلة كثيرة على إثبات القدر وهو الركن السادس من أركان الإيمان، وهو أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى. والله أعلم.

سورة الواقعة

قوله تعالى:

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الآية ٨٢.

مسلم ج ٢ ص ٦١: حدثنا عباس بن عبد العظيم العنبري، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة وهو ابن عمار، حدثنا أبو زميل، قال: حدثني ابن عباس، قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر»، قالوا: هذه رحمة الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ حتى بلغ: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾. قال النووي رحمه الله: قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله يعني ابن الصلاح: ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء فإن الأمر في ذلك وتفسيره يأبى ذلك، وإنما النازل في ذلك قوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ والباقي نزل في غير ذلك ولكن اجتماعا في وقت النزول، فذكر الجميع من أجل ذلك، قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله: ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب. هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يقول:

وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك

إساءة منك إلى، بمعنى: جعلت شكر إحساني أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إلى. اه المراد والمراد أن الواجب عليهم شكر الله على ما رزقهم من الأمطار وغيرها، ولكن فبدل الشكر كفروا وكذبوا ونسبوا إنزال المطر إلى الأنواء ودعوا غير الله، فنعوذ بالله من الضلال، وينحو حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما أخرجه البخاري في صحيحه فقال رحمته الله [٨٤٦]: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلوات الله عليه وآله صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال، بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب». وأخرجه في مواضع أخرى من صحيحه، وأخرجه مسلم في الإيمان [٧١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله عليه وآله قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث، فيقولون: الكوكب كذا وكذا». رواه مسلم في الإيمان. وبعض الزراع يقول: سنمطر في الخريف، وفي شهر الصيف، وفي سهيل. وهؤلاء إذا كانوا يعنون أن الله قد أجرى لهم في العادة أن يسقيهم في وقت منافعهم بفضلهم وإحسانه، فلا حرج عليهم، ولكن المنهي عنه أنهم يعتقدون أن الوقت وذلك النوء هو الذي يؤثر على إنزال المطر، فهذا حرام ومنهي عنه.

وينحو هذا قال ابن كثير رحمته الله في تفسيره عند هذه الآية: وقال سعيد بن المسيب:

وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس

.....
فقال: يا عباس يا عم رسول الله كم أبقى من نوء الثريا؟، فقال العلماء: يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعة، قال: فما مضت سابعة حتى مطروا، قال ابن كثير: وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده. اهـ.

سورة المجادلة

قال أحمد في المسند ج ٦ ص ٤٦: ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قال: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المَجَادِلَةُ إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية.

الحديث أخرجه البخاري تعليقا ج ١٧ ص ١٤٣، والنسائي ج ٦ ص ١٣٧، وابن ماجه رقم ١٨٨ ورقم ٢٠٦٣، وابن جرير ج ٢٨ ص ٥ و ص ٦، والحاكم ج ٢ ص ٤٨١ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ هذه المَجَادِلَةُ جاء تسميتها عند ابن جرير من طريق جرير، وأبي عبيدة بن معن المسعودي.

وأخرجه النسائي في تفسيره من طريق إسحاق بن إبراهيم عن جرير، والحاكم ج ٢ / ص ٤٨١ من طريق أبي عبيدة بن معن.

ثلاثتهم، عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله ﷺ... إلخ.

وهذه أسانيد صحيحة إلى الأعمش، إلا أن الأعمش مدلس، وقد عنعن.

وقد أخرجه أبو داود وابن جرير من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وسمتها جميلة، ولكن قد رواه بعضهم عن حماد بن سلمة عن هشام

مرسلًا.

وقيل في اسمها واسم أبيها غير ذلك. والأقرب أن اسمها: خولة بنت ثعلبة، وقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح في رواية أبي عبيدة بن معن وفيها: إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها وهي تقول: أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني.

وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة، وتسميتها، وقد أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان من طريق يوسف بن عبدالله بن سلام عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت: «ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت، الحديث. الفتح ج ١٣ / ص ٣٧٤.

قلت: أما طريق يوسف بن عبدالله بن سلام عن خولة.. فهو حديث طويل، هو عند أبي داود برقم [٢٢١٤] وابن حبان برقم [٤٢٧٩]، وأخرجه أحمد ج ٦ ص ٤٦، وغيرهم من طريق معمر بن عبدالله بن حنظلة عن يوسف بن عبدالله به مطولاً.

قال الذهبي في الميزان: كان في زمن التابعين لا يعرف، ذكره ابن حبان في ثقاته.

وقال الذهبي: «ما روى عنه سوى ابن إسحاق بخبر مظاهرة أوس بن الصامت يرويه عن يوسف..» وبنحو هذا في تهذيب التهذيب.

وقال ابن القطان: مجهول حال.

قلت: فهذه الطريق تشهد لطريق الأعمش.

وقول عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. دليل على أن السلف كانوا يأخذوا بظواهر الأدلة ويثبتون لله صفاته التي أثبتها لنفسه، فعائشة أثبتت السمع لله تعالى، والآية كذلك،

.....

فيها دليل على إثبات صفة السمع، وأنه يسمع بسمع يليق بجلاله وعظمته، وهو سميع بصير سبحانه. وقولها : ما أسمع ما تقول، وفي بعض الروايات، «إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه» وهي تشتكي زوجها.. رواه ابن ماجه [٢٠٦٣] من رواية أبي عبيدة بن معن. والجمع بين هذه الرواية والأولى، في هذه: نفت أنها تفهم جميع كلامها. ورواية أبي عبيدة أثبتت أنها سمعت بعضه، فلا تنافي. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية ٨.

أحمد ج ٢ ص ١٧٠: حدثنا عبد الصمد ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم، لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية.

الحديث قال الهيثمي ج ٧ ص ١٢٢: رواه أحمد والبخاري والطبراني وإسناده جيد لأن حمادًا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة.

قال الإمام مسلم رحمه الله ج ١٤ ص ١٤٧: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، قال: «وعليكم» قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لا تكوني فاحشة» فقالت: ما سمعت ما قالوا؟ فقال: «أوليس قد رددت عليهم الذي قالوا؟»، قلت: وعليكم.

حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا يعلى بن عبيد حدثنا الأعمش بهذا الإسناد غير أنه قال: ففطنت بهم عائشة فسبتهم فقال رسول الله ﷺ: «مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش» وزاد فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية.

الحديث أخرجه الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٢٩: ثنا أبو معاوية وابن نمير وفيه، فقال ابن نمير في حديثه: فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ حتى فرغ.

وأخرجه ابن جرير ج ٢٨ ص ١٤.

التعليق:

قال الإمام القرطبي في تفسيره: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ﴾ لا خلاف بين النقلة أن المراد بها اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك، يريدون بذلك السلام ظاهراً، وهم يعنون الموت باطناً، فيقول النبي ﷺ: «عليكم» وفي رواية أخرى «وعليكم». اهـ المراد.

فالسام: هو الموت، فيدعون على النبي ﷺ به، وهذا يدل على خبث اليهود وحقدهم، ولهذا ما أفلحوا ولا نجحوا، وقد قال النبي ﷺ: «إن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم: السام عليكم، فقل: عليك» وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه البخاري [٦٢٥٧] ومسلم [٢١٦٤]، والنبي ﷺ يرد عليهم بالهدوء، ولا يتجاوز الحد، وهذا من العدل، والله يستجيب له فيهم، ولا يستجيب لهم فيه لأنهم ظالمون.

وعن جابر رضي الله عنه قال: سلم ناسٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال: «وعليكم» فقالت عائشة وغضبت: ألم تسمع ما قالو؟ قال: «بلى قد سمعت فرددت عليهم، وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا». رواه مسلم.

مسألة:

هل يُبتدأ أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه». رواه مسلم [٢١٦٧]، والترمذي برقم [١٦٠٢]. وقال الإمام النووي: واختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدائهم به، فمذهبنا تحريم

.....

ابتدائهم به ووجب رده عليهم بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط، ودليلنا في الإبتداء قوله ﷺ: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام» وفي الرد قوله ﷺ: «فقولوا: وعليكم» وبهذا الذي ذكرناه عن مذهبنا، قال أكثر العلماء وعامة السلف وذهبت طائفة إلى جواز ابتدائنا لهم بالسلام، روى ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة وابن أبي محيريز، وهو وجه لبعض أصحابنا، حكاه الماوردي، لكنه قال: يقول: السلام عليك، ولا يقول: عليكم بالجمع، واحتج هؤلاء بعموم الأحاديث وبإفشاء السلام، وهي حجة باطلة، لأنه عام مخصوص بحديث: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام» وقال بعض أصحابنا: يكره ابتداءهم بالسلام، ولا يجرم، وهذا ضعيف أيضًا لأن النهي للتحريم، فالصواب تحريم ابتدائهم. اهـ المراد من شرح مسلم ج ١٤ / ص ١٤٥.

وقال الحافظ واستدل بقوله: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب» بأنه لا يشرع للمسلم ابتداء الكافر بالسلام، حكاه الباجي عن عبد الوهاب، قال الباجي: لأنه بين حكم الرد، ولم يذكر حكم الإبتداء كذا قال: ونقل ابن العربي عن مالك لو ابتدأ شخصًا بالسلام وهو يضمنه مسلمًا فبان كافرًا كان ابن عمر يسترد منه سلامه.

وقال مالك: لا، قال ابن العربي: لأن الاسترداد حيث لا فائدة له لأنه لم يحصل له منه شيء لكونه قصد السلام على المسلم، وقال غيره: له فائدة، وهو إعلام الكافر بأنه ليس أهلاً للإبتداء بالسلام، قلت: - هو الحافظ - ويتأكد إذا كان هناك من يخشى إنكاره، لذلك أو اقتداؤه به إذا كان الذي سلم ممن يقتدى به. اهـ من الفتح ج ١١ ص ٥٤ من كتاب الاستئذان. وما قاله النووي ورجحه: هو الحق أن لا يُبتدئوا بالسلام.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: وقد اختلف في رد السلام على أهل الذمة هل هو واجب كالرد

.....

على المسلمين؟ وإليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة للأمر بذلك، وذهب مالك فيما روى عنه أشهب، وابن وهب، إلى أن ذلك ليس بواجب، فإن رددت فقل: عليك، وقد اختار ابن طاووس أن يقول في الرد عليهم: علاك السلام، أي ارتفع عنك، واختار بعض أصحابنا بكسر السين، يعني الحجارة، وما قاله مالك أولى، اتباعاً للسنة. اهـ.

قلت: ما قاله مالك هو الحق، لأن النبي ﷺ قد قال: «إذا سلموا عليكم فقولوا: عليكم» وفي رواية: «و عليكم».

ونهى النبي ﷺ عائشة أن لا تزيد على الرد عليهم بما قالوا، ولا تتجاوز ذلك هذا من العدل كما قال الله: ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به..﴾ وقال سبحانه: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وقال سبحانه: ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴿ فشريعتنا شريعة العدل والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿وَيَجْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية ١٤.

أحمد ج ١ ص ٢٤٠: ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان»، قال: فدخل رجل أزرق فقال: يا محمد علام سببتي أو شتمتني أو نحو هذا، قال: وجعل يجلف، قال: ونزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَجْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والآية الأخرى.

الحديث أيضًا أعاده ص ٢٦٧، و ص ٣٥٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبخاري ورجالهم الصحيح، إلا أن فيه أن الرسول هو الذي قال له: «علام تشميني أنت وأصحابك»، وكذا في المسند ص ٣٥٠ و ص ٢٦٧، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٨٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وابن جرير ج ٢٨ ص ٢٥.

وأخرجه ابن جرير ج ١٠ ص ١٨٥، وعزاه الشوكاني ج ٢ ص ٣٨٤ إلى الطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه من حديث ابن عباس نحوه إلا أنه قال: ونزلت: ﴿يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ إلى آخر الآية التي في سورة التوبة، فإما أن تكونا نزلتا معًا في سبب واحد، وإما أن يكون اضطرب فيه سماك بن حرب، فإنه مضطرب الحديث لا سيما بعد كبره، والله أعلم، وكون آية المجادلة التي نزلت أثبت لأن الراوي عنه شعبة وقد سمع منه قديمًا كما في تهذيب التهذيب.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ في هذه الآية إنكار على المنافقين الذين يتولون اليهود والكافرين في الباطن ويظهرون للمؤمنين أنهم معهم.

قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم..﴾ إلى آخر الآية قال: هم المنافقون تولوا اليهود وناصرهم. ويسند آخر عن قتادة في الآية، قال هم اليهود تولاهم المنافقون.

وقال ابن زيد: هؤلاء كفرة أهل الكتاب، اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود وقرأ قول الله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب..﴾ الحشر، حتى بلغ: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾.

وقال ابن كثير: يقول الله تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ اهـ.

وقوله: ﴿ما هم منكم ولا منهم﴾، أي ما هم على دينكم وملتكم، ولا من المغضوب عليهم، وهم اليهود، يعني هم مذبذبين بين الفريقين.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة». رواه مسلم في صحيحه [٢٦٨٤].

فالمنافقون في الحقيقة لا هم من المؤمنين الصالحين، ولا من اليهود المكذبين ظاهرًا وباطنًا الذين

يوالونهم، وإنما أرادوا أن يعيشوا وأن يَسْلَمُوا، ونعوذ بالله من النفاق ونسأله أن يرزقنا الإخلاص والصدق.

وقوله سبحانه: ﴿وَيُحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني المنافقين أنهم يحلفون على الكذب وهم عالمين بأنهم كاذبون في أيمانهم، فحلفوا أنهم لم يسبوا النبي ﷺ، وهم كذّبة، بل قد سبوه في الخفية ولما طُلبوا حلفوا أنهم لم يسبوه، بل يشهدون أنه نبي أمامه ﷺ والمؤمنين كما قال الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

وقوله ﷺ في الحديث: «يدخل عليكم رجلٌ ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان». قال السندي: كناية عن كونه شيطاناً، أو المراد أن عينه في النظر تتبع أمر الشيطان فأضيفت إلى الشيطان للملابسة. اهـ من التعليق على مسند الإمام أحمد في نسخة شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد ج ٤ ص ٤٨.

سورة الحشر

البخاري ج ١٠ ص ٢٥٣: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة. قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحدًا منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر، قال: نزلت في بني النضير.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٦٥.

قال الحاكم رحمته الله ج ٢ ص ٤٨٣: أخبرني أبو عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة ثنا علي بن المبارك الصنعاني ثنا زيد بن المبارك الصنعاني ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة يعني السلاح فأنزل الله فيهم: ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ إلى قوله: ﴿لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا﴾ فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأما قوله: ﴿لأول الحشر﴾ فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

كذا قال الحاكم رحمته الله والحديث صحيح ولكنه ليس على شرطهما لأنها لم يخرجها لزيد

بن المبارك ومحمد بن ثور.

والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٤٤.

التعليق:

وقول الصحابي رضي الله عنه: «فكان جلاؤهم ذلك أول الحشر في الدنيا إلى الشام، جلاؤهم، أي خروجهم من المدينة مطرودين، والحشر أصله: الجمع، فالنبي صلى الله عليه وسلم جمع بني النضير وأخرجهم من المدينة تطهيرًا لها من الشرك وأهله، ولأنهم نقضوا العهد.

فائدة:

والحشر على أربعة أقسام، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة.

قال القرطبي رحمته الله: الحشر: الجمع، وهو على أربعة أوجه، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا فقوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ قال الزهري: كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام... إلى أن قال: وأما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل منهم من تحلف وهذا ثابت في الصحيح. اهـ من التفسير.

وذكر في التذكرة الحشرين، الثالث والرابع، فقال: والحشر الثالث حشرهم إلى الموقف على ما يأتي بيانه بعد هذا إن شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾. والرابع: حشرهم إلى الجنة والنار قال الله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ وقال في الكافرين: ﴿الذين

.....
 يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ﴿٤٠﴾. اهـ ملخصًا من كتاب التفسير
 والتذكرة للقرطبي رحمه الله.

مسألة: وأما يهود خيبر فعاهدوا النبي ﷺ وصالحوه على أن يعملوا في الأرض ولهم نصف ما
 خرج من أرض خيبر.

وقال لهم ﷺ: «نفركم ما شئنا». وقال ﷺ قبل موته: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة
 العرب» فأخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وطهر: وسط جزيرة العرب منهم. والحمد لله.

❖ فائدة : كان التواجد اليهودي في المدينة وما قرب منها منحصر في أربع قبائل تقريبًا، بنو
 النضير، وخبير، وقد مر ذكرهما، والقبيلتان الأخريان هما: بنو قريظة، وهؤلاء نقضوا العهد أيام
 الأحزاب فقاتلهم النبي ﷺ فقتل رجالهم وسبى نساءهم وأطفالهم، والقبيلة الأخرى هم: بنو
 قينقاع، وهؤلاء أجلاهم النبي ﷺ بعد بدر بعد أن نقضوا عهدهم والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآية ٥ .

البخاري ج ٨ ص ٣٣٥: حدثنا آدم حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير، وقطع، وهي البُوَيْرَة فنزلت: ﴿ما قطعتم من

لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾.

الحديث ذكره أيضًا في كتاب التفسير، وأخرجه مسلم ج ١٢ ص ٥٠ و ص ٥١،

والترمذي ج ٢ ص ٣٧٧ وج ٤ ص ١٩٥ وقال في الموضعين: هذا حديث حسن

صحيح، وأبو داود ج ٢ ص ٣٤٢ و ٣٤٣، وأحمد ج ٢ ص ١٢٣ و ١٤٠، وابن جرير

ج ٢٨ ص ٣٤، والبيهقي في دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٥٢.

قال الإمام الترمذي ج ٤ ص ١٩٥: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني نا عفان نا حفص

بن غياث نا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قول الله عز

وجل: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ قال: اللينة: النخلة

﴿وليخزي الفاسقين﴾ قال: استنزلوهم من حصونهم قال: وأمروا بقطع النخل فحك

في صدورهم فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا فلنسألن رسول الله ﷺ

هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: ﴿ما قطعتم من

لينة أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ الآية.

هذا حديث حسن غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن حفص بن غياث عن حبيب

بن أبي عمرة عن سعيد بن جبیر مرسلًا ولم يذكر فيه عن ابن عباس.

حدثنا بذلك عبد الله بن عبد الرحمن عن هارون بن معاوية عن حفص بن غياث عن

حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن النبي ﷺ مرسلًا. قال أبو عيسى: سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث.

الحديث أخرجه النسائي ج ٢ ص ٢٢٧ من التفسير فقال ﷺ أنا الحسن بن محمد عن عفان نا حفص بن غياث به.

وقال في آخره قال: كان عفان حدثنا بهذا الحديث عن عبد الواحد عن حبيب رجع فحدثناه عن حفص.

زاد المباركفوري في تحفة الأحوذى نسبة الحديث إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

التعليق:

فقوله سبحانه: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ اللينة هي: النخلة، واختلف المفسرون في ذلك.

قال الإمام ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى اللينة، فقال بعضهم: هي جميع أنواع النخل، سوى العجوة، وقال آخرون: النخل كله لينة العجوة وغير العجوة، وقال آخرون: هي لون من النخل، وقال آخرون: هي كرام النخل، ورجح القول الأول. اهـ المراد مع التصرف من تفسيره. وقال ابن كثير: اللين: نوع من التمر، وهو جيد.

وقوله سبحانه: ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي ما قطعتم من ألوان النخل، فبأمر الله وقدره ورضاه، ولا إثم على من قطع ولا على من ترك، بل فيه إذلال وخزي على الفاسقين، وهم اليهود ومن عاونهم، قال الحافظ ابن جرير ﷺ في قوله: ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ يقول: فبأمر الله قطعتم ما قطعتم، وتركتم ما تركتم، وليغيب بذلك أعداءه، ولم يكن فسادًا.

.....
وقال ابن كثير: أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار، فالجميع بإذنه ومشيتته وقدره ورضاه، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم وإرغام لأنوفهم، وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل، وقالوا: إنها هي مغنم المسلمين، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطع من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذن الله. اهـ.

وقال حسان رضي الله عنه: مقالته المشهورة.

قال الإمام البخاري رحمته الله [٢٣٢٦]: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع عن

عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة، ولها يقول حسان:

هـان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وعبدالله هو: بن عمر رضي الله عنه. وقوله: مستطير، أي: منتشر.

وفي هذه الآية والأحاديث جواز قطع شجر العدو للحاجة ولمصلحة دينية والإضرار بالعدو.

والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الآية ٩ .

البخاري ج ٨ ص ١٢٠: حدثنا مسدد حدثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نساءه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا». فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعللا يُريانه كأنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما»، فأنزل الله: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿.

الحديث ذكره أيضًا في كتاب التفسير ج ١٠ ص ٢٥٦، وأخرجه مسلم ج ٤ ص ١٢ و ١٣، وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٤٩، وابن جرير ج ٢٨ ص ٤٣، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٥٨، والحاكم ج ٤ ص ١٣٠ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، كذا قال: وأنت ترى أنها قد أخرجاه.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ هذا مدح من الله تعالى للأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين، وصفهم بأنهم يعطون أموالهم وطعامهم غيرهم

.....
 من أصحاب الحاجة، مع أنهم بحاجة إلى الطعام والمال، ولكن لكثرة حبهم للخير آثروا غيرهم على أنفسهم وعلى أولادهم، وهذا في غاية من الكرم والجود، والذي كان السبب في نزول الآية هو أول داخل في الآية الكريمة.

وقوله: ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أي حاجة وفاقة، قاله غير واحد من أهل التفسير. وتام الآية: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الذي يقية الله شح نفسه، أي البخل، وقيل الشح: شدة البخل، أو البخل مع الحرص على المال ومنع الفضل من المال، ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالجنة بالخلود فيها والنجاة من النار.

وفي القصة حسن ما كان عليه الصحابة من التعاون بين الرجال والنساء وحبهم جميعاً للخير، فينبغي لنسائنا أن يقتدين بنساء الصحابة ونساء النبي ﷺ.

ومما يتعلق بالآية وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالأنصار خيراً.

قال البخاري رحمته الله [٤٨٨٨]: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر - يعني ابن عياش - عن حصين بن عمرو بن ميمون قال: قال عمر رضي الله عنه: أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ، أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئتهم.

ومعنى ﴿تبوءوا الدار والإيمان﴾: أي استوطنوا المدينة، وقيل: نزلوا، فعلى الأول يختص بالأنصار، وهو ظاهر قول عمر، وعلى الثاني يشملهم ويشمل المهاجرين السابقين. قاله الحافظ في الفتح.

سورة الممتحنة

الحاكم ج ٢ ص ٤٨٥: أخبرني عبد الرحمن بن الحسن القاضي بهمدان، حدثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا ورقاء عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن بن عباس رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلى كفار قريش يحذرونهم. وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعداب من عندك، فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي. وقد عرضت عن حديث علي عند الشيخين؛ لأن الحافظ في الفتح ج ١٠ ص ٢٦٠ قال وقد بين السياق على أن هذه الزيادة مدرجة، وأخرجه مسلم أيضًا عن إسحاق بن راهوية عن سفيان وبين أن تلاوة الآية من قول سفيان.

فعلم بهذا أن القصة ثابتة في الصحيحين، لكن نزول الآية وذكرها معضل؛ لأن سفيان من أتباع التابعين.

وهكذا آية: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾ فإن ذكّر النزول من طريق سفيان، وهي أيضًا من قوله كما في البخاري ج ١٣ ص ١٧، وكذا في الأدب المفرد ص ٢٣، وجاءت من طريق أخرى عند الطيالسي وأبي يعلى وابن جرير وغيرهم، وفيها مصعب بن ثابت وهو ضعيف كما في الميزان لذلك ما كتبها.

التعليق:

وقوله: حدثنا ورقاء، هو: ابن عمر بن كليب اليشكري، وثقه غير واحد، كما في تهذيب التهذيب. ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما هذا في سبب النزول شاهد مرسل يزيد قوة.

قال الإمام محمد بن إسحاق في السيرة ج ٤ ص ١٦: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: «أدركا المرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم»، فخرجا حتى أدركاها بالخليفة، خليقة بني أبي أحمد، فاستنزلاها فالتمساه في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها علي بن أبي طالب: «إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبتنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب، أو لتكشفنك فلما رأت الحد منه قالت: أعرض، فأعرض، فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر فقال: اعملوا ما

شتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمُهُمْ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ إلى آخر القصة.

وهذا مرسل صحيح، وهو بنحو ما في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق به عند هذه الآية.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي لا تتخذوا أعدائي من المشركين وأعدائكم نصراء ولا تناصروهم.

وفي الآية النهي عن موالاتة المشركين ومناصرتهم ومحبتهم ومودتهم، ولا يجوز الركون إليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ﴾، ولهذا أخبر الله أنهم أعداء له، وأخبر أنهم كفروا بالله وبرسوله وبالقرآن، وأنهم أخرجوا الرسول سلى الله عليه وسلم من مكة، فكيف تودونهم وتسرون إليهم بأن محمداً سيغزوهم، ونهى الله عز وجل أن يظهر لهم الشخص المودة، لأن حاطب رضي الله عنه كان مسلماً يكرههم، ولكن أراد أن يتخذ له يدًا عندهم في الظاهر، فكيف بالذي يودهم ظاهراً وباطناً، فهذا على خطر عظيم، فمحنة الكفار جريمة، ويخشى على صاحبها من النفاق والكفر، قال الله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وهناك أدلة كثيرة تنهى عن موالاتة المشركين، فالمشركون المعادون للإسلام وأهله لا تُظهر لهم الموالاتة، بل تُظهر لهم العداوة والبغضاء إلا عند الاضطرار فلها حكمها، قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ

.....
 الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 ثِقَاةً ﴿ آل عمران ٢٨.﴾

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

قلت: وبعض المسلمين اليوم تجدهم يتوددون إلى المشركين ويظهرون لهم المودة والارتياح منهم وأنهم أصدقاء وأصحاب مع أنهم يحاربون المسلمين ويحاربون رسولنا ﷺ، فاليهود كم يقتلون اليوم في فلسطين ولبنان، والنصارى كذلك يعاونونهم ويقتلون من المسلمين ببلدان أخرى ويحاربون الإسلام في مجلاتهم وجرائدهم وإعلامهم، ويرمون أهل الإسلام بالتشدد وغير ذلك من المحاربات، وبعض المسلمين يهتفون في أعيادهم واحتفالاتهم ويدعو لهم بالصحة والدوام والرخاء لشعوبهم، وهذا لا يجوز أن تهتفهم، فهل يهتفون على كفرهم وفجورهم وما يقومون به من شرب خمر وزمر في الأعياد وكيف يدعى لهم بالصحة ليستمروا على الظلم والمحاربة للإسلام وأهله وكيف يُدعى لهم ببقاء أموالهم التي يحاربون بها الدين ويفجرون بها، فالحذر الحذر.

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ الآية ١٠.

البخاري ج ٦ ص ٢٤٠: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ، أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه. ففكره المؤمنون ذلك وامتعصوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك فردَّ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً. وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾.

قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلى: ﴿غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١). قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ: وقد بايعتك كلاً ما يكلمها به، والله ما مسَّت يده يد امرأة قط في المبايعة وما بايعهن إلا

(١) كذا وفي المصحف: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

بقوله.

الحديث أعاده أيضًا ص ٢٧٦ من هذا الجزء في جملة الحديث الذي تقدم في سورة الفتح، وأحمد ج ٤ ص ٣٣١ في جملة الحديث الطويل، وعبدالرزاق ج ٥ ص ٤٣٠، وابن جرير في التاريخ ج ٣ ص ٨٢ وسنده ص ٨٠، وفي التفسير ج ٢٦ ص ١٠٠ وج ٢٨ ص ٧١.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاذْعَبْنَ عَنْهُنَّ ﴾ المهاجرة: هي التي تركت بلادها، بلاد الكفر، وخرجت إلى بلاد الإسلام وكن في ذلك الزمن يهاجرن من مكة إلى المدينة فرارًا بالدين، والهجرة فضلها عظيم يحب ما قبلها من الذنوب، وهي شديدة على النفس لأن فيه مفارقة الوطن والأهل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ والهجرة لم تزل مشروعة ومطلوبة من الذين يسكنون في بلاد الكفر وهم لا يقدرّون على إقامة دينهم على الوجه المطلوب، فواجب عليهم الخروج منها إن كانوا قادرين، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ النساء ٩٧، ٩٨. فأوجب الهجرة على كل من قدر عليها ولم يستثنى إلا المستضعفين منهم، فلهم أن يعبدوا الله ولو سرًا، فاليوم كثير من الناس ربا يترك بلاد الإسلام ويذهب بأولاده وأهله إلى بلاد الكفر، وربما تنصّر بعض أولاده أو تركوا الدين، وهذا محرم وإثم كبير، ولا يجوز البقاء

في بلاد الكفر إلا لمصلحة دينية راجحة مع الأمن على الدين أو للضرورة. والحمد لله على السلامة. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا حُثُوثُهُنَّ﴾ أي أسألوهن هل هن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر؟ فإن أقررن بذلك فهن مؤمنات في الظاهر والله يتولى السرائر. أو يقال لهن: أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن قلن ذلك فهن مؤمنات، فإن كن خرجن فراراً بدينهن فيقين، وإن كن خرجن فراراً من أزواجهن لخصومة حصلت بينهم وبينهن، فردوهن إلى أزواجهن وآبائهن، ومن رحمة الله بالنساء أنه أمر ببقائهن في البلاد التي هاجرن إليها، ونهى عن ردهن حتى لا يفتتن في دينهن، وهن ضعافٌ وعورات، فربما تفتن المرأة بسرعة، بخلاف الرجل فقد يتجلد ويتصبر، وربما هرب مرة ثانية، وهذه الآية ناسخة لما كان حصل من الصلح يوم الحديبية في إرجاع كل من هاجر إلى مكة، وهذا يصلح مثالاً في نسخ القرآن للسنة، أو هي مخصصة للنساء من الرجال في الرجوع وبعد ذلك ترك حتى في حق الرجال بطلب من قريش لما تضرروا من أبي بصير وأصحابه، رضي الله عن الصحابة.

ومبايعة النبي ﷺ للنساء هي بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فإن أقررن بذلك وعزم من على التطبيق قال: «قد بايعتكن، ولا يضافحن».

وفيه دليل على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية، فالنبي ﷺ ترك ذلك في وقت عظيم، وكان مصافحته لهن لو كان جائزاً شرفاً لهن مما يدل عن المنع، وقد ثبت عن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه فقلنا: يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله

.....

شينا... إلى: ولا نعصيك في معروف، قال: «فيما استطعتن وأطقتن» قالت: فقلنا: الله ورسوله
أرحم بنا منا بأنفسنا، هلم نباعك يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء إنما
قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة». أخرجه أحمد ج ٦ ص ١٥٧ بهذا اللفظ، وأخرجه ابن ماجه
مختصرًا ج ٢ ص ٩٥٩ وهو أيضًا عند الترمذي والنسائي رحم الله الجميع. والحديث صحيح.

سورة الصف

الدارمي ج ٢ ص ٢٠٠: أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناها، فأنزل الله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً حتى ختمها﴾ قال عبد الله: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها، قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، وقرأها علينا يحيى، وقرأها علينا الأوزاعي، وقرأها علينا محمد. الحديث أخرجه أحمد ج ٥ ص ٤٥٢، والترمذي ج ٤ ص ١٩٩ وبين ما فيه من الاختلاف على الأوزاعي، وابن حبان ص ٣٨٣ من موارد الظمان، والحاكم ج ٢ ص ٦٩ ص ٢٢٩ و ص ٤٨٧، وقال في الثلاثة المواضع: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وبين في الموضوع الأول ما فيه من الاختلاف على الأوزاعي، وقال الحافظ في الفتح ج ١٠ ص ٢٦٥: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها، وإسناده صحيح. قل إن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه. اهـ. وقال في شرح نخبة الفكر: إنه أصح المسلسلات.

التعليق:

قول عبد الله بن سلام ﷺ: قعدنا نفر.

أقول: النفر هو ما دون العشرة من الرجال، كما في لسان العرب والقاموس.

وقولهم: ولو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناها، هذا يدل على حرصهم على الخير ﷻ، وقد أجابهم الله وأعلمهم أن الإيمان بالله والجهاد في سبيله مما ينجي من عذاب الله وأن الجهاد في سبيل الله مما يحبه الله، وعاتب سبحانه من قال قولاً أو وعد وعداً ولم يفعله ولم يف به فهو ممقوت ومذموم، فبعض الناس كان ربما يتمنى شيئاً ثم ينكل عنه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ النساء ٧٧.

وقوله سبحانه: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ﴾ أي نزه الله عن النقائص والشريك وعظم الله، ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هم الخلق من ملائكة وإنس وجن وحيوان أو جماد من شجر وحجر وغير ذلك، إلا من كفر بالله من الإنس والجن فإنهم يمتنعون عن تقديس الله وتعظيمه وتنزيهه، ومن آمن منهم وأطاع الله، أثابه الله على ذلك ووعد بالجنة، ومن تكبر منهم فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً، فهو الغني وكل شيء خاضع له ومحتاج إليه.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره في قوله سبحانه: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مجد الله ونزاهته عن السوء. اهـ المراد.

وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز أي: الذي قد خضع له كل شيء وهو القوي الذي لا يُغلب، سريع الانتقام ممن عانده، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه وفي خلقه وفي تدبيره إياهم، فله الحمد والمنة على كل حال.

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

قال ابن كثير رحمته الله: هذا إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولاً لا يف به، ولهذا استدل بهذه

.....

الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه غرم للموعد أم لا، واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان» وذكر حديث ابن عمرو مثله، وزاد: «وإذا وعد أخلف».. إلى أن قال: وذهب الإمام مالك رحمته الله إلى أنه إذا تعلق بالوعد غرم على الموعد وجب الوفاء به كما لو قال لغيره: تزوج ولك علي كل يوم كذا، فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك، لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة. وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم. اهـ المراد من تفسيره. والسورة فيها مسائل كثيرة يراجع تفسيرها في كتب التفاسير، مثل ابن كثير وابن جرير.

سورة الجمعة

البخاري ج ٣ ص ٧٥: حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة عن حصين عن سالم بن أبي الجعد قال: حدثنا جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلًا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إليها وتركوا قائمًا﴾. الحديث أخرجه ج ٥ ص ٢٠٠ وص ٢٠٤ وج ١٠ ص ٢٦٨، ومسلم ج ٦ ص ١٥٠ و ١٥١، والترمذي ج ٤ ص ٢٠٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد ج ٣ ص ٣٧٠، وابن جرير ج ٢٨ ص ١٠٤ و ١٠٥. وقد أخرج الطبري بسند رجاله رجال الصحيح وأبو عوانة في صحيحه كما قاله الحافظ في الفتح ج ٣ ص ٧٦: عن جابر بن عبد الله قال: كان^(١) الجواري إذا نكحوا كانوا يَمرون بالكبر والمزامير، ويتركون النبي ﷺ قائمًا على المنبر وينفضون فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إليها﴾.

(١) هكذا في تفسير ابن جرير وفي الفتح أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب الجواري بالمزامير فيشتد الناس إليهم ويدعون رسول الله قائمًا فنزلت هذه الآية. وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٢٢١ أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يخطب الناس يوم الجمعة، فإذا كان نكاح لعب أهله وعزفوا ومروا باللغو على المسجد وإذا نزلت بالبطحاء جلب قال: وكانت البطحاء مجلسًا بفناء المسجد الذي يلي بقيع الغرقد وكانت الأعراب إذا جلبوا الخيل والإبل والغنم وبضائع الأعراب نزلوا البطحاء فإذا سمع ذلك من يقعد للخطبة قاموا للهو والتجارة وتركوه قائمًا فعاتب الله المؤمنين لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إليها وتركوا قائمًا﴾. وإنما نقلته من الدر المنثور لأن عبارة الطبري غير واضحة ولأن فيه الجمع بين السبيين.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّوا بِانْفِصَافٍ إِلَيْهَا وَتَرَكَوكَ قَائِمًا﴾ تفسيرها في الحديث. ويستفاد منها ذم من ترك واجباً وذهب للدنيا وهي كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ والاشتغال بالملاهي في زماننا اليوم كثيرة جداً من مسلسلات وتلفزيونات وإنترنت وغيرها من آلات الزمر، وكذلك الشغل في التجارة كثير حتى مع خطبة الجمعة، فبعضهم يرتكب النهي ولا يبالي وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ فهذا يدل على تحريم البيع من وقت الأذان الذي يقوم الخطيب بعده، وما كان في معناه من العقود فالواجب على من حضر خطبة الجمعة أن يستمع وينصت ولا ينصرف إلا للضرورة.

وقوله في الحديث: «ولم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فيه رد على من يشترط عدداً للجمعة ويقول: لا بد من أربعين رجلاً، فالنبي ﷺ صلى بهذا العدد ولم يقل: بطلت الجمعة ونصلي ظهراً، وبعضهم يشترط أقل من الأربعين، ولا دليل صحيح يعول عليه في هذا الشرط، بل لو كان هناك ثلاثة أحدهم يخطب، واثنان يستمعان فلهم جمعة، ولكن كلما كثروا كان أفضل فقط، وما قلنا به هو قول الإمام الحسن البصري وسفيان الثوري وقول أبي يوسف وأبي ثور وهو رواية عن أحمد والأوزاعي كما في المحلى والمغني والفتح، بل قد ذهب الحسن بن حي وإبراهيم النخعي وأهل الظاهر إلى أن الجمعة تصح من اثنين فقط، أحدهم يخطب والآخر يستمع كما في المحلى، وهو قول الشوكاني وصديق حسن خان وغيرهم كما في الروضة.

.....
وقال الإمام الصنعاني في سبل السلام^(١) في شرح حديث جابر الذي بين أيدينا في قوله: «ولم يبق إلا اثنا عشر رجلاً» قال: الحديث فيه دليل على أنه يشرع في الخطبة أن يخطب قائماً، وأنه لا يشترط لها عدد معين كما قيل إنه يشترط لها أربعون رجلاً ولا ما قيل إن أقل ما تنعقد به اثنا عشر رجلاً كما روى عن مالك لأنه لا دليل أنها لا تنعقد بأقل. اهـ.

وقد بوب البخاري في الجمعة: باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام ومن بقي جائزة.

قال الحافظ: ظاهر الترجمة أن استمرار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة إلى تمامها ليس بشرط في صحتها، بل الشرط أن تبقى منهم بقية ما، ولم يتعرض البخاري لعدد من تقوم بهم الجمعة لأنه لم يثبت منه شيء على شرطه، وجملة ما للعلماء فيه خمسة عشر قولاً: أحدها تصح من الواحد، نقله ابن حزم، الثاني اثنان كالجماعة وهو قول النخعي وأهل الظاهر والحسن بن حي، الثالث اثنان مع الإمام، عند أبي يوسف ومحمد... إلخ كلامه ج ٢ ص ٤٢٣.

والخلاف في المسألة كثير لما ذكره الحافظ، ولكن الحجة هو الدليل، وقد ذكر الخلاف أيضاً القرطبي في تفسيره.

وذكر الشيخ البسام في المسألة وقال: وذهب أبو حنيفة ومحمد بن الحسن إلى أن أقل الجمع في الجمعة ثلاثة رجال سوى الإمام، لأن الثلاثة هم أقل الجمع الصحيح والجمعة مشتقة من التجمع. واختار جماعة منهم: القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وشيخ الإسلام وابن القيم إلى أنها

تتعقد بثلاثة إمام ومستمعين اثنين، وهذا نص الإمام أحمد. قال علماء الدعوة: هذا القول أقوى، ففي الحديث الصحيح «إذا كانوا ثلاثة فيؤمهم أحدهم، وهو عام في الصلوات كلها الجمعة والجماعة».

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ما سوى هذا القول يحتاج إلى برهان، ولا برهان يخرج به عن هذا العموم. اهـ المراد من توضيح الأحكام من بلوغ المرام ج ٢ ص ٣٥٦.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَرَكُوكَ قَاتِلًا﴾ في هذا دليل على أن الخطيب يوم الجمعة يشترط له أن يخاطب قائماً كما كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدين.

وقال به جماهير العلماء وأئمة الدين.

وقال أبو حنيفة: لا يشترط القيام فيها. ولكن الأدلة المذكورة ترد قوله، ولا ينبغي لأحد أن يخاطب جالساً إلا لعذر شرعي، كمرض وعرج ونحوه.

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ﴾ أي قل يا محمد للناس ﴿ما عند الله﴾ أي الذي عند الله خير من اللهو والملاهي وما يشغل عن الصلاة ومن التجارة والبيع وإن كانت في الأصل حلالاً، لكن إذا شغلت عن الواجب فهذا الكسب حراماً كما هو معلوم. وفي الآية دليل على وجوب استماع الخطبة على من حضر المسجد، وليس له أن يخرج من المسجد لا لتجارة ولا لعمل دنيوي ولا يخرج إلا لشيء ضروري، كالوضوء، وإنقاذ حريق، أو غريق ونحو ذلك، وبعض الناس اليوم يستسهلون في سماع الخطب، فربما بقي في الشارع يتكلم مع الناس أو مع أولاده في البيت وقد صار يسمع الخطيب إلى مكانه ولم يتحرك ويهتتم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سورة المنافقون

البخاري ج ١٠ ص ٢٦٩: حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط. فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد».

الحديث ذكره أيضًا ص ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣، وأخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٢٠، والترمذي ج ٤ ص ٢٠٠ وصححه، وأحمد ج ٤ ص ٢٧٣، والحاكم ج ٢ ص ٤٨٩ - أطول مما ها هنا وقال: صحيح. وأقره الذهبي، وابن جرير في التاريخ ج ٣ ص ٦٥، وفي التفسير ج ٢٨ ص ١٠٩.

التعليق:

زيد بن أرقم هو: الخزرجي الأنصاري، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وقصته في الصحيح. وفي هذه القصة دليل على صدقه وفضله وإخلاصه وعظيم ولائه لله ولرسوله، فقد بلغ النبي ﷺ مقولة عبد الله بن أبي مع أنه من عشيرته وكان كبير قبيلته ورأس في قومه، فلم يداهنه ولم يتعصب له، فينبغي لشباب الإسلام وأتباعه أن يكونوا كذلك، ولائهم لله ورسوله لا غير، وأما المنافق فهو:

من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، والنفاق ظاهرة تبرز عند قوة المسلمين وسطوتهم، ولهذا لم يكن النفاق موجودًا في العصر المكي، وإنما برز وظهر في العصر المدني يوم أن صار للمسلمين دولة وقوة، فالمنافقون كانوا يظهرن الإسلام ويشهدون بالشهادتين أمام رسول الله ﷺ والمؤمنين، وهم في الباطن على خلافه يبغضونه ويكنون له العدا، وإذا وجدوا فرصة استغلوها، فمقاتلتهم هذه الشنيعة سببها أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فتكلم عبدالله بن أبي بذلك.

قال الإمام البخاري رحمته الله [٤٩٠٥]: حدثنا علي حدثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة، قال سفيان: مرة في جيش، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد.

وفي هذه السورة من الفوائد: التحذير من النفاق وأهله، وأن لا يغتر بمقاتلتهم الحسنة في الظاهر ما دامت أفعالهم تخالف أقوالهم كمولاتهم لأعداء الدين واستغلالهم الفرص التي تشين بأهل الإسلام وتغريهم.

ولهذا كان النبي ﷺ يقرأها في بعض الجمع.

.....

وفيها أيضًا: أن الأمير يثبت في الأمور والأحكام ويقرب المخلصين، وفيها: أن الأمير يشرع له مداراة أهل النفاق ومن في قلبه مرض إذا كان في ذلك مصلحة دينية، وفيها: أن الأصل في الحكم على الناس بما ظهر منهم وتوكل السرائر إلى الله. والله أعلم.



قوله تعالى:

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾ الآية ٧.

البخاري ج ١٠ ص ٢٧٢: حدثنا آدم حدثنا شعبة عن الحكم قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت زيد بن أرقم رضي الله عنه قال لما قال عبدالله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله وقال أيضًا: لئن رجعنا إلى المدينة، أخبرت به النبي صلى الله عليه وسلم فلأمني الأنصار، وحلف عبدالله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فتمت فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ» ونزل: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا ﴾ الآية.

الحديث أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٢٠١ وقال: هذا حديث حسن صحيح وعزاه المباركفوري إلى أحمد، وأخرجه ابن جرير ج ٢٨ ص ١٠٩ وص ١١٣ من حديث ابن أبي ليلي عن زيد بن أرقم.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾ الضمير في قوله: ﴿هم﴾ يعود على المنافقين، وقوله: ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ هذا حرب اقتصادي كما يقولون، فالأنصار ﴿ كانوا هم أصحاب الأموال الذين ينفقون على المهاجرين والفقراء، ولكن لم يسمعوا لعبدالله بن أبي وخيب الله سعيه، ولا يستطيع أحد أن يمنع رزق أحد إلا بقدر، وهذه الفكرة الخبيثة وهي المحاربة بمنع النفقات على الدعاة والمحتاجين اتخذها اليوم أعداء الدين من النصارى وبعض حكام المسلمين، فمنعوا مشاريع الخير وخوفوا التجار وعاقبوا بعضهم، ولكن

.....

بحمد الله لا يزال الخير ماشياً والمشاريع الخيرية كثيرٌ منها مستمر وإن كان حصل نقص ما وتأخرت أشياء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وبعض المتحمسين للدين كان له سبب في هذا الباب من أجل التفجيرات في بلاد الإسلام وهو غلط، لما يحصل به من الضرر على بعض المسلمين والله المستعان، فالواجب تعلم العلم الشرعي وينبغي أن يتعلم الطالب كيف يدعوا الناس إلى الخير، ويبدأ بالأهم فالأهم، وينظر في مصالح الدعوة وما يفسدها ويضعفها، وينبغي للطلاب أن يكونوا خلف علماء السنة مقتدين بهم في الخير. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه والله أعلم.



سورة التغابن

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ الآية ١٤.

الترمذي ج ٤ ص ٢٠٢: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس سأله رجل عن هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أصحابهم قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ الآية.

هو حديث حسن صحيح.

الحديث أخرجه ابن جرير ج ٢٨ ص ١٢٤، والحاكم ج ٢ ص ٤٩٠، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٦. والحديث يدور على سماك عن عكرمة ورواية سماك عن عكرمة مضطربة فالحديث ضعيف.

التعليق:

فقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ووجدوا الله تعالى، ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ أي فلا يصدونكم عن الحق والعبادة ويخذلونكم عن

الدين، فاحذروهم ولا تتبعوهم فيما يأمرونكم من ترك الدين والجهاد، ولهذا حذر الله عز وجل من الافتتان بالمال والولد في آيات ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فهذه الآية ينبغي أن تكون ميزاناً للمسلم في معاملته مع أهله وماله، فربما يأتي الإنسان العطب والهلاك من حيث الأمان، فبعض الناس يترك الصلاة من أجل أنه يتجر ويبيع، وآخر يتركها من أجل الوظيفة، وآخر يرتكب الحرام من أجل يوفر لأولاده، وآخر.. فصارت النفوس تتبع منافع الدنيا، إلا من رحم الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»، والحديث في الصحيح.

وقوله: ﴿مَنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ «من، هذه للتبويض، يعني: فليس كل الأزواج والأولاد فتنة وشر، فمنهم من يكون قرة عين، وكذلك منهم من يكون معيناً لأهله على الخير، والحمد لله. وإذا كان هذا التحذير من الزوجة والولد، فالذين هم أبعد فاحذر منهم إذا كانوا كذلك مثل الأعمام والإخوان وغيرهم.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا يبين وجه العداوة، فإن العدو لم يكن عدواً لذاته، وإنما كان عدواً بفعله فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة، وفي صحيح البخاري^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

(١) لم يخرج البخاري في صحيحه وإنما هو عند أحمد، وابن حبان [٤٥٩٣] كما في الإحسان ج ١٠ ص ٤٥٣ من حديث سبرة بن أبي فاكه، والحديث عزاه السيوطي في الجامع إلى أحمد والنسائي وغيرهما، ولم

قال: «إن الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيوان، فقال له: أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك؟ فخالفه فأمن، ثم قعد له عن طريق الهجرة فقال له: أتهاجر وتترك مالك وأهلك؟ فخالفه فهاجر، ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له: أتجاهد فتقتل نفسك فتتكح نساؤك ويقسم مالك؟ فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله أن يدخله الجنة».

وقعود الشيطان يكون بوجهين، أحدهما: يكون بالسوسة، والثاني: بأن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب. اهـ.

قلت: وفي زماننا هذا كثر حصول الفتنة من الأزواج والأولاد، فبعضهم يحمل أباه وأمه على بعض المعاصي، كسراء آلات اللهو والطرب كالتلفاز والدش وغيرها، وبعض النساء تجبر زوجها على شراء مثل هذه الآلات وأشرطة الغناء، وأيضًا تحمله على شراء الملابس والثياب القصيرة والضيقة والشفافة لتخرج بها فتفتن عباد الله والعياذ بالله، وبعضهن تحمل زوجها على العقوق وقطيعة الرحم والعكس فبعض الأزواج يفتن زوجه وبناته بمثل هذه الفتنة، ونسأل الله السلامة والعافية. وسبب النزول وإن كان ضعيف الإسناد، فالعبرة حاصلة بالآية، والله أعلم.

سورة التحريم

البخاري ج ١١ ص ٢٩٣: حدثني الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب ابنة جحش، ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن آيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني لأجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير. فدخل على إحدهما فقالت له ذلك، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له». فنزلت: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» إلى: «إن تتوبا إلى الله» لعائشة وحفصة: «وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً» لقوله: بل شربت عسلاً. الحديث أعاده مسنداً مع تغيير في المتن يسير ج ١٤ ص ٣٨٥ ثم قال إبراهيم بن موسى عن هشام: ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً وأخرجه مسلم ج ١٠ ص ٧٥، وأبو داود ج ٣ ص ٣٨٦، وقال صاحب عون المعبود: قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه مختصراً ومطولاً. اهـ. وهو في النسائي ج ٦ ص ١٢٣ وج ١٧ ص ١٣، وابن سعد ج ٨ ص ٧٦ ق ١ وأبو نعيم في الحلية ج ٣ ص ٢٧٦.

قال الإمام النسائي رحمته الله ج ٢ ص ٢٤٢ من التفسير: أخبرني إبراهيم بن يونس بن محمدنا أبي نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرماها فأنزل الله عز وجل: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبغى مرضات» إلى آخر الآية.

الحديث أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٤٩٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه وسكت عليه الذهبي.

قال أبو عبد الرحمن: فيه محمد بن بكير الحضرمي ليس من رجال مسلم وقد رمز له في تهذيب التهذيب إلى البخاري تبعًا للكمال لكن قال المزي: لم أقف على روايته عنه لا في الصحيح ولا في غيره. اهـ. فعلى هذا يقال في الحديث: صحيح ولا يقال: على شرط مسلم.

قال الحافظ في الفتح بعد عزوه إلى النسائي: إن سنده صحيح ج ١١ ص ٢٩٢. وفي مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٢٦ عن ابن عباس: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ قال نزلت هذه في سريره. رواه البزار بإسنادين والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم وهو ثقة.

وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده كما في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٦ عن ابن عمر قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم على حرام»، فقالت: أتحرّم ما أحل الله لك. قال: «فوالله لا أقربها». قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال فأنزل الله تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ قال الحافظ ابن كثير بعد ذكره بسنده: وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج.

قال الحافظ في الفتح ج ١٠ ص ٢٨٣: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السبين معاً. اهـ. أي بسبب تحريمه العسل وتحريمه جاريتة. وقال الشوكاني في تفسيره ج ٥ ص ٢٥٢: فهذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى

بعض أزواجه.

التعليق

وقولها: «أجد منك ريح مغاير»، المغاير ويقال: المغافر، وهو: صمغ شبيه بالناطف، ينضحه العرفط فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب.

الواحد مغفر كمنبر ومغفر، ومغفور بضمهما، ومغفار، ومغفر بكسرهما، وقد يكون المغفور أيضًا للعشر والسلم والثمام والطلح وغير ذلك. وهذا معنى ما في بعض كتب اللغة.

وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه حديث عائشة وحفصة قالت له سودة: أكلت مغاير، واحدها مغفور بالضم، وله ريح كريهة منكرة، ويقال أيضًا: المغاير، بالثاء المثناة، وهذا البناء قليل في العربية لم يرد منه إلا مغفور ومنخور للمنخر، ومغرود لضرب من الكمأة، ومعلوق واحد المعاليق. اهـ ج ٤ ص ٣٧٤.

قلت: ذكر ابن الأثير أن القائلة هي: سودة رواية شاذة وإن كانت إحدى روايات مسلم، والصحيح أن المتأمرتين هما: عائشة وحفصة رضي الله عنهما جميعاً.

وفي قصة حفصة وعائشة رضي الله عنهما: أن المرأة قد تحملها الغيرة على المعصية وإيذاء زوجها وإن كان في غاية من الصلاح، وإن كانت أيضًا هي سالحة، ولكن إن حصل مثل هذا فعليها أن تتوب وتستغفر ربه، وقد تكون المعصية سبباً لزيغ القلب لقوله سبحانه: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ فيه دليل على أن التحليل والتحريم إلى الله سبحانه وحده ليس إلى الخلق، وإنما الرسل يبلغون عن الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم

لما حرم الحلال عاتبه ربه وقال له سبحانه: ﴿لم تحرم﴾ وهذا من أحسن الخطاب والملاطفة لنبية

محمد ﷺ

مسألة: وهل التحريم يمين أم لا؟ في البخاري أن ابن عباس قال في التحريم: هو يمين، وفيه الكفارة، وهو قول جماعة من العلماء.

وذهب آخرون إلى أن التحريم ليس بيمين وأنه حرم وحلف، فعاتبه على التحريم وأمره بالتكفير في حق اليمين، وهو قول الشعبي وغيره، رواية علقها البخاري كما ذكرها المصنف هنا. وقال الحافظ ابن جرير في تفسيره: فإن قال قائل: وما برهانك على أنه ﷺ كان حلف مع تحريمه ما حرم، فقد علمت قول من قال: لم يكن من النبي ﷺ في ذلك غير التحريم، وأن التحريم هو اليمين؟ قيل: البرهان على ذلك واضح، وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجارته، أو لطعام أو شراب، هذا عليّ حرام يمين، فإذا كان ذلك غير معقول فمعلوم أن اليمين غير قول الله القائل للشيء الحلال له: هو علي حرام. وإذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا، وفسد ما خالفه. وبعد، فجائز أن يكون تحريم النبي ﷺ ما حرم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره، أحله له بيمين، فيكون قوله: ﴿لم تحرم ما أحل﴾ معناه: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه، فتحرمه على نفسك باليمين. اهـ المراد وذكر حديث عائشة الذي فيه الحلف والتحريم، وسنده صحيح، ولفظه: آلى رسول الله ﷺ وحرم فأمر في الإيلاء بكفارة، وقيل له في التحريم: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾.

قلت: وما يدل على أنه حلف مع التحريم حديث ابن عمر الذي في أسباب النزول هنا، فهو قاطع للخلاف، والحمد لله.

.....

ولكن نقول: الحلف بالحرام لا يجوز، ومن حلف به وأراد أن امرأته تطلق فعليه طلقة، وأما إن أراد اليمين فهو محرم وعليه التوبة والاستغفار والكفارة في قول بعض العلماء، وإن أراد بالتحريم مجرد التحريم ولم ينويه يمينًا ولا إطلاقًا فلا يصير ما حرمه وهو حلال حرامًا بتحريمه وليس عليه شيء إلا التوبة والاستغفار وعدم العود لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾، وقد كثر في زماننا هذا الحلف بغير الله، فالحلف بغير الله إثم، قال النبي ﷺ: «لا تحلفوا بأبائكم ولا بأبائكم من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت» متفق عليه.

قوله تعالى:

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾ الآية ٥.

مسلم ج ١٠ ص ٨٢: حدثني زهير بن حرب حدثنا عمر بن يونس الحنفي حدثنا
عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب
قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه قال: دخلت المسجد فإذا الناس يكتنون بالحصى
ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، قال عمر
فقلت: لأعلمن ذلك اليوم. قال: فدخلت على عائشة، فقلت: يا ابنة أبي بكر أقد بلغ
من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب عليك
بعيبتك. قال: فدخلت على حفصة فقلت لها: يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي
رسول الله ﷺ، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يجبك ولولا أنا لطلقتك رسول
الله ﷺ. فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله ﷺ قالت: هو في خزانته في
المشربة، فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعدًا على أسكفة المشربة مدلًا
رجليه على نقيع من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر، فناديت يا
رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليّ فلم يقل
شيئًا، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ. فنظر رباح إلى الغرفة ثم
نظر إليّ فلم يقل شيئًا. ثم رفعت صوتي فقلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله
ﷺ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة والله لئن أمرني رسول
الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي فأومأ إليّ أن أرقه، فدخلت على
رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره

وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظًا في ناحية الغرفة، وإذا أفيق معلق، قال: فابتدرت عيناى. قال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟» قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذلك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانتك. فقال: «يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا». قلت: بلى. قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب. فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتَ وَأَحْمَدَ اللَّهُ بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَصْدُقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿عَسَى رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ فقلت يا رسول الله: أَطَلَّ قَتُّهُنَّ؟ قال: «لا». قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول الله نساءه. أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «نعم إن شئت». فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كثر فضحك وكان من أحسن الناس ثغرا ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلت، فنزلت أتشبث بالجذع، ونزل رسول الله ﷺ كأنها يمشي على الأرض ما يمسه بيده فقلت: يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين قال: «إن الشهر يكون تسعا وعشرين». فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت

هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله عز وجل آية التخيير.

وقد تقدم في سورة البقرة قول عمر وافقت ربي في ثلاث وذكر منها: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن﴾.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن﴾ الآية.. أي عسى رب محمد إن طلقكن أيها الزوجات لنيه ﴿أن يبدله﴾ وقراءة ﴿أن يبدله﴾ من التبديل، والقراءتان صحيحتان كما قاله ابن جرير رحمه الله، والمعنى واحد، وهو: أن الله عز وجل وعد نبيه إذا طلق نساته أن يعوضه خيرًا منهن.

وفي هذه الآية وعظ لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي تأمرن عليه.

وقوله: ﴿قَانِتَاتٍ﴾ أي: طائعات لله ولأزواجهن، ﴿تَائِبَاتٍ﴾ أي: من ذنوبهن ومخالفاتهن لدين الله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿عَابِدَاتٍ﴾ أي: لربهن بأنواع العبادات، ﴿سَائِحَاتٍ﴾ أي: صائحات، قاله جمع من السلف كما في تفسير ابن جرير وابن كثير، وقيل: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ أي: مهاجرات، والأول أولى كما رجح ذلك ابن جرير وابن كثير.

﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: منهن ثيبات ومنهن أبكار، ليكون ذلك أشهى إلى النفس، فإن التنوع ييسط النفس، ولهذا قال: ﴿ثيبات وأبكارا﴾ قاله ابن كثير رحمه الله، والبكر هي: العذراء، وسميت بذلك لأنها على أول حالة خلقت عليها.

.....

وفي هذه القصة فضيلة عظيمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث دافع عن النبي صلى الله عليه وسلم ونصح لنسائه، ثم جاء القرآن موافقاً لقوله، وقد وافقه القرآن في مواضع أخرى كما تقدم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ وكذلك: كلامه في أسارى بدر، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم منهم الفداء، وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك، فنزلت آية الحجاب، وتقدم ذلك كله. والحمد لله.

قال الإمام القرطبي في تفسيره في قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ قد تقدم في الصحيح أن هذه الآية نزلت على لسان عمر رضي الله عنه، ثم قيل: كل عسى في القرآن واجب، إلا هنا، وقيل: هو واجب، ولكن الله عز وجل علقه بشرط، وهو التطلق، ولم يطلقهن. اهـ.

سورة الجن

البخاري ج ١٠ ص ٢٩٦: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغارها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغارها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر. فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن﴾.

الحديث أخرجه مسلم ج ٤ ص ١٦٧، والترمذي ج ٤ ص ٢٠٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد ج ١ ص ٢٥٢، وابن جرير ج ٢٩ ص ١٠٢، والحاكم ج ٢ ص ٥٠٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة كذا قال، وقد أخرجاه بأحسن من سياقه، والبيهقي في دلائل النبوة ج ٢ ص ١٢، وأبو نعيم في الحلية

به على الناس فيسمع كلمة الحق ويخلط معها كذبات ويلقيها على صاحبه من الكهان.
 الثاني: ولكي لا يقول المشركون: إن الشياطين هي تنزل على محمد ﷺ، وإن كان قد قاله بعض
 المشركين، لكن هذه الآية ترد عليهم ولم تؤثر مقالاتهم، لأنها كذب معلوم، فالشياطين لا تنزل على
 الأنبياء، وإنما على الكهنة الكذبة.

وفي هذه القصة فضيلة عظيمة لهؤلاء النفر من الجن بمجرد ما سمعوا القرآن مرة واحدة علموا أنه
 الحق، وأنه من عند الله، ووصفوه بوصف حسن، وفي الآية الأخرى قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا
 إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ *
 قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقِ
 مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ.. ﴾ وهذه السورة تدل على أن الجن مكلفون بالشرعية
 كالإنس، وأن منهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، وأما الكفار الذين يموتون على الكفر فهم في
 جهنم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا
 الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وغير ذلك من الأدلة.

ومؤمنهم الصحيح أنه في الجنة لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ﴾ من سورة الرحمن، والسورة تتحدث عن الجن والإنس باتفاق أهل العلم، وقال جمهور
 العلماء من السلف: أن صالحى الجن في الجنة.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره في سورة الرحمن عند هذه الآية: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾
 وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا،
 ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء. اهـ.

سورة المزمل

أبو داود ج ١ ص ٥٠٣: حدثنا أحمد بن محمد يعني المروزي، نا وكيع عن مسعر عن سماك الحنفي عن ابن عباس قال: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة. الحديث رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن محمد المروزي أبا الحسن بن شويه وهو ثقة، وأخرجه ابن جرير ج ٢٩ ص ١٢٤ و ١٢٥ رجاله رجال الصحيح. وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٦ ورجال الصحيح.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴾ هو: المتزمل في ثيابه، أي: تغطي بثيابه وتلفف بها، وخاطبه الله بهذا على ما كان عليه من الحال تنشطاً له، والمراد به النبي ﷺ، ولقد امتثل هذا الأمر وصار يقوم الليل، فقد كان يصلي ما استطاع، فربما أوتر بثلاث، وتارة بخمس، وتارة بتسع، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة كما جاء من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال الإمام أبو داود رضي الله عنه [١٣٦٢]: حدثنا أحمد بن صالح ومحمد بن سلمة المرادي قالوا: حدثنا ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الله بن أبي قيس قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: بكم كان رسول الله ﷺ يوتر؟ قالت: كان يوتر بأربع، وثلاث، وست، وثلاث وثمان، وثلاث وعشر، وثلاث، ولم يكن يوتر بأنقص من سبع، ولا بأكثر من ثلاث عشرة، قال أبو داود: زاد أحمد بن صالح: ولم يكن يوتر بركعتين قبل الفجر، قلت: ما يوتر؟ قالت: لم يكن يدع ذلك، ولم يذكر أحمد وست وثلاث. وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن قيام رسول الله ﷺ فقالت للسائل: أأنت تقرأ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴾؟

قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة، قال: قلت: يا أم المؤمنين أنبئني عن وتر سول الله ﷺ؟ فقالت: كنا نُعِدُّ له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصلّي التاسعة، ثم يقعد... إلخ. رواه مسلم [٧٤٦] ج ١ ص ٥١٢، بتحقيق محمد فؤاد. وعن عائشة ؓ قالت: من كل الليل قد أوتر النبي ﷺ، من أول الليل وأوسطه وآخره فأنتهى وتره إلى السحر. رواه مسلم وغيره.

والأدلة في فضل قيام الليل كثيرة، والليل يبتدئ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ولكن وقت الوتر والقيام من بعد صلاة العشاء.

مسألة:

هل كان قيام الليل وجباً أم نافلة؟ والراجح أنه كان فرضاً كما بينى خبر عائشة ؓ المتقدم والله أعلم، ثم نسخ وصار نافلة.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: اختلف هل كان قيامه فرضاً وحتماً أو كان ندباً وحصاً؟ والدلائل تقوي أن قيامه كان حتماً وفرضاً، وذلك أن الندب والحص لا يقع على بعض الليل دون بعض، لأن قيامه ليس مخصوصاً به وقتاً دون وقت. اهـ المراد من تفسيره من هذه السورة.

سورة المدثر

البخاري ج ١٠ ص ٣٠٣: حدثنا يحيى^(١) حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: يقولون ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت. فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء باردًا»، قال: «دثروني وصبوا عليّ ماء باردًا» قال فنزلت: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾.

الحديث ذكره ص ٣٠٥ و ٣٠٦ و ص ٣٥١ و ج ١ ص ٣١، وأخرجه مسلم ج ٢ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨، والترمذي ج ٤ ص ٢٠٨، وأحمد ج ٣ ص ٣٧٧ و ص ٣٩٢، وعبد الرزاق في المصنف ج ٥ ص ٣٢٤، والطيالسي ج ٢ ص ٧، وابن جرير في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وفي التفسير ج ٢٩ ص ١٤٣، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٢٥١ وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه اللفظة، والبيهقي في دلائل النبوة ج ١ ص ٤١٠ و ٤١١. استدرک:

(١) قال الحافظ في الفتح: يحيى هو ابن موسى البلخي أو ابن جعفر

قال الحاكم رحمه الله: ولم يخرجاه بهذه اللفظة يعني وهو يحدث عن فترة الوحي، وقد أخرجه البخاري في باب بدء الوحي ج ١ ص ٣١، وفي كتاب التفسير في تفسيره سورة المدثر ج ١٠ ص ٣٠٥ و ص ٣٠٦، وفي تفسير اقرأ ص ٣٥٠، ومسلم ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦.

تنبيه:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٤ ص ٤٤٠ ما معناه: خالف جابر بن عبد الله الجمهور في قوله: إن أول ما نزل المدثر: فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً سورة اقرأ. ثم ذكر حديث الصحيحين، فقال: وقد روى مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي، فقلت زملوني زملوني، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر * قم فأندر﴾ إلى ﴿فاهجر﴾ قال أبو سلمة: والرجز الأوثان. ثم حمى الوحي وتتابع. هذا لفظ البخاري، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله: «فإذا الملك الذي كان بحراء» وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا. ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة ثم ساق الأدلة على ذلك.

وذكر الحافظ نحو هذا في الفتح ج ١ ص ٣١ وج ١٠ ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

التعليق:

فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أي المتدثر بثيابه، أي: تغطي بها ونام، وكان قد أصاب النبي ﷺ بسبب ما رأى رعدة وخوف.

﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أي: حذرهم من عذاب الله ونقمه وخوفهم بما وقع للأمم السالفة من الهلاك، وهذا أمر بتبليغ الشرع، وقد قام بذلك أحسن قيام عليه الصلاة والسلام.

قالت عائشة ﴿: لو كان محمد كاتماً شيئاً لكتم قوله تعالى: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها...﴾ رواه مسلم في الإيمان في حديث طويل، ورواه ابن جرير عند هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ و ﴿ربك فكبر﴾ أي: عظمه، ووحده، وقدس، ﴿وثيابك فطهر﴾ أي: من النجاسات تغسلها بالماء إن أصابتها.

وقال بعض العلماء أي: لا تكن ثيابك من كسب حرام.

﴿والرجز﴾ هي الأصنام والأوثان، ﴿فاهجر﴾ أي: اترك عبادتها وابتعد عنها ولا تخدمها ونفر عنها. وقال بعض العلماء: ﴿والرجز فاهجر﴾ أي: اهجِر المعصية والإثم.

قوله تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ الآيات.

البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٠ قال إسحاق: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرا القرآن فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: «يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا». قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول، فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلو، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف عني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا. الآيات، هكذا رواه البيهقي عن الحاكم^(١) أبي عبدالله عن محمد بن علي الصنعاني بمكة عن إسحاق به وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلًا. اهـ.

(١) الذي في البداية والنهاية عن عبدالله بن محمد الصنعاني، والذي في المستدرک هو ما أثبتناه، وكذا

في الدلائل للبيهقي. وهذا الحديث رواه الحاكم ج ٢ ص ٥٠٧، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم

يجزاه، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي ج ١ ص ٥٥٦ من دلائل النبوة.

قال أبو عبد الرحمن: والظاهر ترجيح المرسل لأن حماد بن زيد أثبت الناس في أيوب وأيضاً معمر قد اختلف عليه فيه كما في دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ١٩٩ فالحديث ضعيف، والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أي: دعني، وهذه كلمة تهديد ووعيد شديد، فمن يستطيع أن يتحمل عقاب الله، ﴿إن الله شديد العقاب﴾.

وقوله: ﴿ومن خلقت وحيداً﴾ أي: ذرني والذي خلقتة وحده، ووحيداً حال، والمعنى خلقه الله وحده لا مال له ولا ولد، ثم جعل له مالا وولداً، فما كان منه إلا أن عاند وكفر، وكان الواجب أن يتوب ويرجع.

وهل الآية نزلت في الوليد بن المغيرة؟ هذا هو المشهور، وقد ذكر المصنف رحمه الله أن الراجح أنه مرسل من مراسيل عكرمة، ولكن له شواهد مرسله يحسن إن شاء الله تعالى بها، فقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد، أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وكذلك الخلق كلهم، وكذلك صح من مراسيل قتادة، وجاء عن الضحاك وسعيد بن جبير: أنها نزلت فيه، فهذه المراسيل تقوي مرسل عكرمة. والله أعلم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه، وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه السلام، وكان يسمى الوحيد في قومه. اهـ المراد.

وعلى كل حال الأصل الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والعبرة قد حصلت والحمد لله.

وقال الإمام ابن كثير: يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرًا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر، وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ أي: خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله تعالى، ﴿مألاً ممدوداً﴾ أي: واسعاً كثيراً، قيل: ألف دينار، وقيل: مائة ألف دينار يستغلها، وقيل غير ذلك.

قلت: وهذا المال الواسع قد يكون من الذهب والفضة وغيره من المواشي من إبل وغيره. وقوله تعالى: ﴿وبين شهوداً﴾ أي حضوراً لا يغيبون عن أيهم لجمع الدنيا، مثل السفر للتجارة وقطع البراري والبحار، بل هو متسرر برؤيتهم وآمن عليهم من مخاطر الأسفار، ومع ذلك لم يشكروا الله تعالى، فنعوذ بالله من الخذلان.

سورة القيامة

قوله تعالى:

﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ الآيتان ١٦، ١٧.

البخاري ج ١ ص ٣٢: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا موسى بن أبي عائشة قال: حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفثيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركها لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركها. وقال سعيد: أنا أحركها كما رأيت ابن عباس يحركها فحرك شفثيه، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، قال فاستمع له وأنصت ﴿ ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.

وأخرجه مسلم ج ٤ ص ١٦٥ و ١٦٦، والترمذي في ج ٤ ص ٢٠٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي ج ٢ ص ١١٥، وأحمد ج ١ ص ٣٤٣، والطيالسي ج ٢ ص ٢٥، وابن سعد ج ١ ص ١٣٢، وابن جرير ج ٢٩ ص ١٨٧، والحميدي ج ١ ص ٢٤٢، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٩.

التعليق:

فقوله سبحانه: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته... فذكر نحو كلام ابن عباس رضي الله عنه، وتفسير ابن عباس رضي الله عنه كافٍ والحمد لله.

قوله تعالى:

﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ الآيتان ٣٤، ٣٥.

النسائي كما في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٥٢: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة. ح وحدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل. الحديث رجاله رجال الصحيح فإن يعقوب بن إبراهيم هو الدورقي روى عنه الجماعة، وأبو النعمان هو محمد بن الفضل الملقب بعمار من رجال الجماعة، وأبو عوانة هو وضاح بن عبدالله الشكري من رجال الجماعة، وفي الطريق الأخرى الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن، ومحمد بن سليمان هو الملقب بلوين من رجال أبي داود، والنسائي ثقة، وبقية السند معروفون مشهورون، وأخرجه ابن جرير ج ٢٩ ص ٢٠٠ عن شيخه محمد بن حميد الرازي وفيه كلام وهو في ابن جرير مرسل.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ هذا تهديد ووعيد شديد بعد تهديد ووعيد لأبي جهل الذي كان يعاند النبي ﷺ، ومع ذلك لم يصل ولم يتقد للحق ويصدق به ويوحده الله ويتبع نبيه.

وقيل معنى: ﴿أولى لك فأولى﴾ قال الأصمعي: أولى في كلام العرب معناه: مقارنة الهلاك، كأنه يقول: قد وليت الهلاك، قد دانيت الهلاك، وأصله من الولى وهو القرب.

.....
 قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ أي يقربون منكم، وأنشد الأصمعي: وأولى أن يكون له الولاء. أي قارب أن يكون له، وأنشد أيضًا: أولى لمن هاجت له أن يكمدًا.

أي: قد دنا صاحبها من الكمد، وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعي ويقول: ليس أحد يفسر كتفسير الأصمعي، وقال النحاس: العرب تقول: أولى لك أي كدت تهلك ثم أفلت، وكان تقديره: أولى لك وأولى بك الهلكة. اهـ المراد من تفسير القرطبي رحمته الله.

وإن كانت هذه الآية نزلت في أبي جهل فهي أيضًا تهديد لكل من عاند الحق ولم يصل، لأن الأصل الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

سورة النازعات

قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ الآيات.

ابن جرير ج ٣٠ ص ٤٩: حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مَنْتَهَاهَا﴾.

الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥، وأبو نعیم في الحلیة ج ٧ ص ٣١٤ وقال الحاكم: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين وهو محفوظ صحيح على شرطهما معاً وج ٢ ص ٥١٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما^(١)، ولم يخرجاه لأن ابن عيينة كان يرسله بآخره، والخطيب ج ١١ ص ٣٢١. هذا وقد ذكر هذا الحديث الحافظ ابن أبي حاتم في كتاب العلل وقال: سمعت أبا زرعة وذكر حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ما زال رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى نزلت عليه: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ فقال أبو زرعة: صحيح مرسل بلا عائشة. وأقول: الذي يظهر لي والله أعلم أن هذه علة ليست بقادحة؛ لأن الذي وصله عن ابن عيينة الحميدي عبدالله بن الزبير كما عند الحاكم، وهو أثبت الناس في ابن عيينة ورئيسهم كما في تهذيب التهذيب، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي كما عند ابن جرير وهو إمام كبير، فهذان إمامان وصلاه، وزيادة الثقة مقبولة قال ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٦٤ ومنهم من

قال: (الحكم لمن أسنده إذا كان عدلاً ضابطاً فيقبل خبره وإن خالفه غيره سواء كان المخالف له واحداً أو جماعة، قال الخطيب: هذا هو القول الصحيح). قال ابن الصلاح: قلت وما صححه هو الصحيح^(١) في الفقه وأصوله إلى آخر ما ذكره رحمته الله... ثم إن الحديث له شاهد قال ابن جرير رحمته الله:

حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع عن إسماعيل^(٢) عن طارق بن شهاب قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾.

الحديث قال الحافظ الهيثمي رحمته الله: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ج ٧ ص ١٣٣ من المجمع وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره ج ٢ ص ٢٧٣ بعد ذكره بهذا السند وهذا إسناد جيد قوي.

التعليق:

فقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذُكْرَاهَا﴾ أي: يا محمد الناس يسألونك عن الساعة متى قيامها ووقتها، وقد كان بعض الصحابة يسأل عن الساعة تطلعاً وإشفاقاً منها.

(١) ثم رأيت في توضيح الأفكار للصنعاني وشرح علل الترمذي لابن رجب أن لحفاظ الحديث تفصيلاً حول زيادة الثمة. وقد بسطت ذلك في مقدمة الإلزامات والتتبع.

(٢) إسماعيل هو ابن أبي خالد.

.....
 فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا أنا والنبي صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد، فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أعددت لها؟» فكان الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت». رواه البخاري [٧١٥٣] ومسلم [٢٦٣٩].

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: قال ابن التين: لعل سبب سؤال الرجل عن الساعة إشفاقاً مما يكون فيها، ولو سأل استعجالاً لدخل في قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾. اهـ من الفتح ج ١٣ ص ١٣١.

وقوله: ﴿مرساها﴾ أي: قيامها، ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي: لا علم لك في أي وقت تقوم كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لِوَفْعَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ الأعراف ١٨٧. ولا يعلم أحد من الخلق قيامها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم متى الساعة إلا الله ولا متى ينزل الغيث إلا الله ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير». متفق عليه. والأدلة على هذا كثيرة.

ولهذا قال سبحانه هنا: ﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي: منتهى علمها على التعيين وإن كان هناك علامات صغرى كتطاول الناس في البنيان وكثرة الفتن في آخر الزمان، وعلامات كبرى كطلوع الشمس من مغربها والدجال وغيرها من العلامات، ونحن الآن قد رأينا بعض العلامات الصغرى التي جاءت بها السنة الصحيحة المطهرة، والعلامات الأخرى آتية بلا ريب، وهذه العلامات تدل على قرب قيامها ولا تعين نفس العام واليوم واللحظة، فهذا إلى الله تعالى.

سورة عَبَسَ

الترمذي ج ٤ ص ٢٠٩: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي قال: حدثني أبي قال: هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر. ويقول: «ترى بما أقول بأساً» ففي هذا نزل... هذا حديث حسن غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أنزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة.

الحديث قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ج ٤ ص ٢٤٤: رجاله رجال الصحيح، وقد أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمان ص ٤٣٨، وابن جرير ج ٣٠ ص ٥٠، والحاكم ج ٢ ص ٥١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة قال الذهبي: وهو الصواب.

الحديث له شاهد قال الشوكاني في فتح القدير ج ٥ ص ٣٨٦ وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى عن أنس قال: جاء ابن أم مكتوم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه. وسنده في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠: رجاله رجال الصحيح إلا شيخ أبي يعلى محمد بن مهدي فلم يتيسر لي الوقوف على ترجمته لكنني أظن أنه تصحف من محمد بن مهران فقد ذكروه من الرواة عن عبد الرزاق فهو من رجال الصحيح وعلى كل فلا يضر الحديث ما دام أنه قد رواه عبد الرزاق فرجاله رجال الصحيح وهذا سنده من

ابن كثير قال أبو يعلى في مسنده: حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ قال: جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

التعليق:

فقوله سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي: كبح بوجهه ﴿وتولى﴾ أعرض لأنه كان مشغولاً عليه الصلاة والسلام. ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وهو ابن أم مكتوم اسمه عبدالله بن عمرو رضي الله عنه وهو من المهاجرين، وقيل: هو عبدالله بن زائدة، وقيل: اسمه عمرو كما في الإصابة، والاسم الأول أقرب والله أعلم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة في بعض الأحيان إذا خرج للغزو. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فقال الله تعالى: ﴿عَبَسَ...﴾. اهـ المراد.

سورة المطففين

ابن ماجه رقم ٢٢٢٣: حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ومحمد بن عقييل بن خويلد
قالا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه
عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله
سبحانه وتعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

الحديث أخرجه النسائي كما قال الحافظ ابن كثير ج ٤ ص ٤٨٣: من طريق محمد بن
عقيل به.

وسنده رجاله ثقات إلا علي بن الحسين بن واقد ففيه كلام، وأما محمد بن عقييل فهو
مقرون فلا يضر السند ما فيه من الكلام، وأخرجه ابن حبان ص ٤٣٨ من موارد
الظمان، وابن جرير ج ٢٩ ص ٩١ وعنده متابعة لعلي بن حسين بن واقد فقد تابعه
يحيى بن واضح وهو حافظ من رجال الجماعة لكن شيخ ابن جرير فيه كلام أعني
محمد بن حميد الرازي الحافظ، والحاكم ج ٢ ص ٣٣ وقال: صحيح الإسناد وأقره
الذهبي. وعنده أيضاً متابعة لعلي بن الحسن بن شقيق من رجال الجماعة كما في تهذيب
التهذيب لكن في الطريق إليه محمد بن موسى بن حاتم القاشاني وقد قال تلميذه: هنا
القاسم بن القاسم السيارى أنا بريء من عهدته، وقال ابن أبي سعدان كان محمد بن
علي الحافظ سيء الرأي فيه كذا في لسان الميزان، لكن مجموع هذه المتابعات تدل على
ثبوت الحديث. والله أعلم.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الويل هو الخسارة والهلاك والعذاب، ﴿للمطففين﴾ وهم الذين ينقصون المكيال والميزان إذا باعوا أنقصوا خديعة للمشتري، أو إن قضوهم وإن اشتروا أو تقاضوا استوفوا حقهم، وربما زادوا عليه، فتوعد الله هؤلاء بالهلاك والخسران والعياذ بالله، فلا ينبغي للشخص أن يطمع في الدنيا حتى يحتال على الناس ويأكل الحرام، وربنا سبحانه قد أمرنا بوفاء الكيل والميزان، فقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ﴿القسط﴾ العدل. وقال القرطبي رحمته الله: قال أهل اللغة المطفف: مأخوذ من الطفيف، وهو القليل، والمطفف هو: المُلْجِلُ حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن، وقال الزجاج: إنما قيل للفاعل من هذا مطفف لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه. اهـ المراد.

وفي هذا التحذير الشديد لمن يبخس الميزان والمكيال وينقص على الناس حقوقهم ولا يوفيهم ما لهم، والآن هناك تحايل في بيوع كثيرة، فبعضهم يزيد في حق التلفونات، وآخر ينقص في عداد البتروليات، وغش في السلع الأخرى، ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة إلا من رحم ربك وقليل ما هم ونسأل الله أن يهدي المسلمين لكل خير.

سورة الضحى

البخاري ج ١٠ ص ٣٣٩: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأسود بن قيس قال: سمعت جندب^(١) بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿

الحديث أخرجه أيضًا في فضائل القرآن ص ٣٨٢، وفي كتاب الصلاة ج ٣ ص ٢٥٠، وأخرجه مسلم ج ١٢ ص ١٥٦، والترمذي ج ٤ ص ٢١٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد ج ٤ ص ٣١١ و ص ٣١٢، والطيالسي ج ٢ ص ٢٥، وابن جرير ج ٣٠ ص ٢٣١، والحميدي ج ٢ ص ٣٤٢ والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ج ٢ ص ٢٢.

التعليق:

شيخ البخاري هو أحمد بن عبدالله بن يونس ينسب إلى جده في بعض الأحوال وزهير هو بن معاوية أبو خيشمة.

ومعنى قوله: اشتكى رسول الله ﷺ، أي: مرض فصار يشتكي من الوجع.

(١) هو: جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي نسب إلى جده كذا في الإصابة. وموضح أوهام الجمع

والتفريق ج ٢١٢ و ٢٢ و ٢٣.

وقوله: فجاءت امرأة كانت كافرة، وظنت أن النبي ﷺ عنده شيطان وهو مثل الكهان لما كانت تسمع من كبار قريش يقولون إنه ساحر هو كاهن هو مجنون ونحو ذلك من الألفاظ الكاذبة وما تدري إنما ينزل عليه ملك كريم والمرض هو بقدر الله يصيب النبي ﷺ كما يصيب غيره من البشر. وقوله سبحانه: ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ أقسم الله بالضحى لما فيه من النور والضياء وأقسم بالليل لما فيه من السكون والظلام، وهذا يدل على قدرته العظيمة وأنه يخلق الأضداد ولا يعجزه شيء، وقد قال سبحانه: ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۖ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ۖ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۖ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسَمُ بِهَا شَاءَ ۖ وَغَالِبًا مَا يَقْسَمُ بِالشَّيْءِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴾ أي: غطى ظلامه كل شيء.

وقال الأصمعي: سجوا الليل تغطيته النهار مثلما يسجى الرجل بالثوب. اهـ.

وقيل معناه: إذا استوى، وقيل: ﴿ سجى ﴾ أي: سكن أي سكن الناس فيه.

ومعنى قوله: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ أي: ما تركك ربك وما أبغضك، وإنما قد يؤخر الوحي

لحكمة يعلمها، والقالي: المبغض، وقوله: ﴿ وما قلى ﴾ أي: ما أبغضك.

قال لوط عليه السلام لقومه: ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ أي: المبغضين.

وقد ذكر ابن أبي حاتم سبب مرض النبي ﷺ، فقال ابن كثير رحمته الله: قال ابن أبي حاتم: حدثنا

أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبدالله الأودي قالوا: حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الأسود

بن قيس أنه سمع جندبًا يقول: رُمِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بحجر في أصبعه فقال: «هل أنت إلا أصبع

دميت وفي سبيل الله ما لقيت؟» قال: فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم، فقالت له امرأة ما أرى

.....
 شيطانك إلا قد تركك فنزلت: ﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى﴾
 والسياق لأبي سعيد قال ابن كثير: قيل: هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب، وذكر أصبعه عليه
 السلام دميت وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين، ولكن الغريب ههنا
 جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة. اهـ.

قلت: أما سنده فهو صحيح رجاله رجال الصحيح، والله أعلم بحاله. وقد جاءت رواية أخرى
 أنها امرأة من أهله، قاله الحافظ في الفتح، ولا يضرنا إن جهلنا اسمها.

قوله تعالى:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ الآية ٥.

تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٢ قال: وقال أبو عمرو الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله^(١) بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كنزاً كنزاً، فسر بذلك فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

الحديث رواه ابن جرير كما قال الحافظ ابن كثير ج ٣٠ ص ٢٣٢ من طريقين عن الأوزاعي في أحدهما عمرو بن هشام البيروتي الراوي عن الأوزاعي وهو ضعيف وفي الأخرى رواد بن الجراح مختلف فيه. فأظن من وثقه لصدقه وديانته ومن جرحه فلأنه اختلط.

وأخرجه الحاكم وصححه ج ٢ ص ٥٢٦، وتعقبه الذهبي قائلاً: تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، قال: الهيثمي ورواية الأوسط قال رسول الله ﷺ: «عرض على ما هو مفتوح لأمتي من بعدي فسرني» فأنزل الله: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ فذكر نحوه وفيه معاوية بن أبي العباس ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وإسناد الكبير حسن، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج ٣

(١) في الأصل عبدالله والصواب ما أثبتناه.

ص ٢١٢ عن الطبراني^(١) وفيه عمرو بن هشام البيروتي ثم قال: هذا حديث غريب من حديث علي بن عبدالله بن العباس لم يروه عنه إلا إسماعيل ورواه سفيان الثوري عن الأوزاعي عن إسماعيل مثله.

التعليق:

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أي: سيعطيك يا محمد ربك من نعيم الجنة وحوورها حتى ترضى، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: ولدار الآخرة خير لك من دار الدنيا، فمعلوم أن الدنيا فانية وزائلة قليلة، وأيضًا فيها التعب والهموم والعناء، ونسال الله أن ينعم علينا في الدنيا والآخرة وعلى المؤمنين.

وقول ابن عباس رضي الله عنه «عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته كترًا كترًا...» قد ثبت ما يشهد لهذا مرفوعًا صراحة، فعن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضًا». رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم [٢٨٨٩]، وأخرجه أبو

(١) رواه في الكبير ج ١٠ ص ٣٣٦.

داود [٤٢٥٢]، والترمذي [٢١٧٦]، وغيرهم واللفظ لمسلم.

وقد حصل ما أخبر به النبي ﷺ من بلوغ ملك أمته مشارق الأرض ومغاربها والحمد لله، وهذا دليل من دلائل النبوة، وإن كان الدين يتناقص في آخر الزمان قليلاً قليلاً، وأما الكثران الأحمر والأبيض، فالأحمر هو: كنز الروم، وهو الذهب، والأبيض هو: كنز كسرى، وهو الفضة، وقد أعطاهما الله وملكها أصحاب رسول الله ﷺ في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ثم فتحت البلاد الأخرى بعد ذلك، فله الحمد والمنة.

وأعداء الدين يحاولون أن يجتاحوا المسلمين فلم يستطيعوا لهم كلهم مع كثرتهم، وهذا من فضل الله، وقد استجاب لدعوة نبيه، وكذلك لم يهلك الله هذه الأمة كلها بالقحط، وإنما قد يقع القحط في بعض الأمة دون بعض.

وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة حيث وقع ما أخبر به النبي ﷺ، وسيعطيه في الجنة ما وعده إن شاء الله، وقد رأى النبي ﷺ قصرًا في الجنة مثل الرابطة البيضاء، فقال له الملكان: هذا منزلك، قال: «قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا وأنت داخله...». وهذا قطعة من حديث الرؤية في صحيح البخاري في كتاب التعبير [٧٠٤٧] عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

وهذا مما سُرِّيَ الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ في الآخرة والحمد لله. والرابطة البيضاء هي: السحابة، قال الحافظ: وهي السحابة البيضاء، ويقال لكل سحابة منفردة دون السحاب ولو لم تكن بيضاء، قال الخطابي: الرابطة: السحابة التي ركب بعضها على بعض. اهـ من الفتح ١٢ ص ٤٤٤، وقصور الجنة هي من ذهب وفضة كما قال النبي ﷺ: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب». ووصف الجنة يطول ذكره، فراجع في مواضعه.

سورة العلق

قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَلْبًا﴾ الآيات.

مسلم ج ١٧ ص ١٣٩: حدثنا عبيد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي قالوا: حدثنا المعتمر عن أبيه حدثني نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليظاً على رقبتك، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخذقاً من نار وهو لا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً». قال: فأنزل الله عز وجل لا ندرى^(١) في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَلْبًا﴾ * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * رأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى * رأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * رأيت إن كذب وتولى * - يعني أبا جهل - ﴿ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لا تطعه﴾ زاد عبيد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به وزاد ابن عبد الأعلى فليدع ناديه يعني قومه. الحديث قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٢٩، وقد رواه أحمد بن حنبل،

(١) هذا التردد يعتبر قادحاً في صحة سبب النزول لكن كتبه لكثرة شواهد.

ومسلم، والنسائي، وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به، ورواه ابن جرير ج ٣٠ ص ٢٥٦، والبيهقي ج ١ ص ٤٣٨ من دلائل النبوة.

قال ابن جرير رحمته الله ج ٣٠ ص ٢٥٦: حدثنا أبو كريب قال: ثنا زكريا بن عدي قال: ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على عنقه فقال رسول الله ﷺ: «لئن فعل لأخذته الملائكة عياناً».

هذا حديث صحيح.

وقال الإمام الترمذي رحمته الله ج ٤ ص ٢١٦: حدثنا أبو سعيد الأشج نا أبو خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنك عن هذا؟ ألم أنك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فليدع ناديه * سندع الزبانية﴾ فقال ابن عباس فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله. هذا حديث حسن غريب صحيح.

التعليق:

وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا فَرِحَ﴾ قال الإمام ابن كثير رحمته الله تعالى: يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعِي﴾. اهـ.

قلت: وأول من يطغى هم أهل الكفر لأنهم غير مؤمنين بالحساب والجزاء كما هو معلوم من

التاريخ كفرعون وقارون، وغيرهما من الطغاة، ويحصل هذا لبعض المسلمين، فبعضهم يستقيم في حال فقره فإذا كثر ماله وولده طغى وتمرد وظلم، وأما أهل الإيمان الصادق فكثير منهم بحمد الله لا يزدادون إلا شكرًا كما فعل سليمان بن داود عليه السلام، وكذلك نبينا ﷺ لما أغناه الله وفتح عليه الفتوحات كان ينفق بالليل والنهار، وربما ما يبقى عنده المال إلا ساعات أو أيامًا قليلة، وكذلك من بعده أبو بكر وعمر وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، وكثير من الأمة بحمد الله، ولكن كثير من الناس في زماننا هذا يتغيرون بالمال ولا يشكرون الله إلا القليل، وهذا لكثرة الفتن، ونسأل الله الثبات على دينه.

ومن العجب أن الإنسان ينعم الله عليه بنعم كثيرة فيكفرها ويستعملها في معصية الله، ويعلمه فيحارب الله بعلمه، وكان الواجب عليه أن يشكر الله قال الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا لَا تَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ هي كلمة ردع وردّ لكلام أبي جهل قال ابن جرير رحمه الله: ليس الأمر كما يقول أبو جهل إذ ينهى محمدًا عن عبادة ربه والصلاة له. اهـ.

﴿لا تطعه واسجد واقترب﴾ أي: يا محمد لا تطع أبا جهل فيما أمرك، بل استمر على عبادة ربك ولا تنبالي به فالله سيحفظك.

وقوله: ﴿فما فجأهم﴾ أي: بغتهم، والفجاءة البغته بدون مقدمات.

ومعنى: ﴿ينكص على عقبيه﴾ أي: يرجع إلى الخلف، «ويتقي بيديه»، أي: كأنه يدفع بيديه شيئًا، وهو رأى شيئًا خوفه وكاد يهلكه، وهم الملائكة أو هو جبريل عليه السلام.

وأبو جهل اسمه: عمرو بن هشام وكان من سادات مكة وكان من أشد الناس إيذاءً للنبي ﷺ وأعظمهم حرباً للإسلام وأهله ولكن الله قتله يوم بدر والله الحمد والمنة.

وقوله سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ومعنى قوله: ﴿ناديه﴾ أي: أهل مجلسه وعشيرته ونصرائه، ﴿سددع الزبانية﴾ أي: الملائكة العظام الشداد عليهم السلام، فتهلكهم جميعاً. وهذه السورة يستحب لمن قرأها أن يسجد فيها سواء كان في الصلاة أو خارج الصلاة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام مسلم رحمته الله تحت رقم [٥٧٨] وحدثنا محمد بن ربح أخبرنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن صفوان بن سليم عن عبد الرحمن الأعرج مولى بني مخزوم عن أبي هريرة أنه قال: سجد رسول الله ﷺ في: ﴿إذا السماء انشقت﴾ و﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

سورة الكوثر

ابن كثير ج ٤ ص ٥٦٠ قال: وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ رواه البزار وهو إسناد صحيح.

الحديث أخرجه ابن جرير ج ٣ ص ٣٣٠ من طريق شيخه محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي به. وزاد فيه وأنزلت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿نَصِيرًا﴾.

وقد تقدم في سورة النساء ذكر بعض مخرجه.

ثم ترجح لي أن الصحيح إرساله كما أوضحته في تخريج تفسير ابن كثير في سورة النساء.

التعليق:

قلت: الكوثر هو: نهر من الجنة، وهو: حوض النبي ﷺ.

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى [٤٠٠]: حدثنا علي بن حجر السعدي حدثنا علي بن مسهر أخبرنا المختار بن فلفل عن أنس بن مالك. ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة واللفظ له حدثنا علي بن مسهر عن المختار عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسما قلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «أنزلت علي آتفا سورة فقراً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، ثم قال: «أندرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أممي يوم القيامة آيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أممي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» زاد ابن حجر في حديثه: بين أظهرنا في المسجد وقال: ما أحدث بعدك.

وأخرجه أبو داود [٧٨٤]، والنسائي في سننه برقم [٩٠٤]

وقيل: الكوثر هو: نهرٌ في الجنة يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ.

قال الإمام البخاري رحمته الله [٤٩٦٤]: حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافظه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر.»

وقال البخاري رحمته الله [٤٩٦٦] حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه.

وقال القرطبي: واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولاً ثم سردها، ثم قال: أصح هذه الأقوال الأول والثاني لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر، ويعني بالقولين هما اللذان ذكرتهما هنا بدلائلها والحمد لله.

وأما الأحاديث في إثبات الحوض فكثيرة متواترة في الصحيحين وغيرهما.

وقال الحافظ: والكوثر: فوعل من الكثرة سمي بها النهر لكثرة مائه وآيته وعظم قدره وخيره. اهـ من الفتح عند هذه السورة ج ٨ ص ٧٣١.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: مبغضك هو المنقطع عن الذكر والخير، وقد

.....

انقطع كثير ممن كان معانداً له ومبغضه من صناديد قريش مثل أبي جهل، وعقبة بن أبي معيط، وأبي لهب، وغيرهم، وكذلك قطع الله جمعاً من اليهود في المدينة، كبنِي النضير، وبنِي قريظة، وغيرهم قُطِع دابرهـم وقُطِع ذكـرهـم، وبقي ذكر النبي ﷺ بخير وما جاء به من الدين، وقام أصحابه من بعده بالدين وبتبليغه إلى مشارق الأرض ومغاربها، ومن بعدهم من الصالحين قاموا بذلك أيضاً، فجزا الله الجميع خيراً وأسكنهم جنات النعيم، آمين، وكانت العرب تقول إذا مات للرجل أولاده من الذكور قالوا: هو أبتـر، أي: لا يصير له ذكر بعد موته، فظنوا أن النبي ﷺ سينقطع ذكره وسيرته أصحابه بعد موته، ولكن بحمد الله لم ينقطع ذكره، بل الله رفع ذكره حتى في الأذان وغيره، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

وحديث أنس الذي سقناه يدل على أن السورة نزلت كاملة.

وهي بشارة عظيمة للنبي ﷺ ولأمته. وفيها الوعيد الشديد لمن خالف أمر رسول الله ﷺ وعانده.

وفي الحديث وعيد شديد لمن غير هذا الدين وبدله مثل تبديله بالقوانين المستوردة من اليونان والكفار من فرنسيين وأمريكيين وغيرهم، أو تغيير الدين بالبدع والخرافات، كبدع غلاة الرافضة، وغلاة الصوفية حيث غيروا الدين إلى مشاهد فوق القبور ومعابد، والدعاء عندها والذبح بجوارها والاستغاثـة بها فهؤلاء سيحرمون الورود على الحوض لأنهم بدلوا وغيروا، ونخاف على من بدل السنن إلى بدع ولو لم تكن مكفرة أن يصرف عن حوض النبي ﷺ لأن لفظ الحديث عام في ذم التغيير، فالواجب هو التمسك بالدين والسنن.

سورة المسد

البخاري ج ١٠ ص ١١٨: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال: حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ف جاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم لهذا جمعنا. فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾.

الحديث أعاده في تفسير سورة تبت ص ٣٦٨ و ص ٣٦٩ من هذا الجزء وأخرجه في آخر كتاب الجنائز ج ٣ ص ٥٤ وأخرجه مسلم ج ٣ ص ٨٣ والترمذي ج ٤ ص ٢٢٠، وأحمد ج ١ ص ٢٨١ وابن جرير في التاريخ ج ٢ ص ٢١٦ وفي التفسير ج ١٩ ص ١٢١ وج ٣٠ ص ٣٣٧ والبيهقي في دلائل النبوة ج ١ ص ٤٣١.

قال شيخنا حفظه الله: وأخرجه النسائي في التفسير كما في عمدة القارئ ج ١٦ ص ٩٣: وهذا الحديث مرسل لأن ابن عباس كان حينئذ إما لم يولد أو كان طفلاً وبه جزم الإسماعيلي. انظر عمدة القارئ ج ١٩ ص ١٠٢ ثم قال: أقول هو مرسل صحابي ومرسل الصحابي لا ضير عليه ولا مطعن فيه.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

.....

التعليق:

هذه السورة نزلت دفاعاً عن رسول الله الكريم عليه الصلاة والسلام من إيذاء أبي لهب عليه ما يستحق من ربه. وقوله سبحانه: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أي: خسرت يداه وهلكت، وهو أيضاً قد خسر وهلك.

وقال قتادة في: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أي: خسرت وتبت، والتَّبُّ: الخسران، قاله ابن زيد، وقال الفراء: التَّبُّ الأول: دعاء والثاني: خبر كما يقال: أهلكه الله وقد هلك كما عند القرطبي في التفسير. وقوله سبحانه: ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ هذا إخبار من الله تعالى أنه سيكون في النار، وقد وقع كما أخبرنا ربنا سبحانه فإن أبا لهب مات كافراً ولم يسلم، وكذلك امرأته، وأخبار القرآن صدق وحق والحمد لله.

وقال الحافظ ابن كثير: قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وامرأته حمالة الحطب * في جيدها جبل من مسد * فأخبر عنها بالشقاء وعدم الإيمان لم يقبض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا باطناً ولا ظاهراً ولا مسراً ولا معلناً فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة. اهـ.

وامرأة أبي لهب هي: أم جميل أروى بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وكانت تعين زوجها على الكفر وإيذاء النبي ﷺ، فاستحقت أن تكون معه في النار وتحمل حطباً في جهنم توقد عليه فيها، والعياذ بالله.

تم التعليق على الكتاب والحمد لله على إتمامه بتاريخ: الرابع من ربيع الأول من

عام/ ١٤٢٧ هـ. نسأل الله أن يجعله نافعاً للمسلمين وثواباً لمؤلفه وشارحه، آمين.

فهرس المواضبع

- تألف..... ٤
- الشيخ الفاضل ٤
- أبي عبدالله عثمان السالمي العتمي ٤
- مقدمة المعلق..... ٥
- مقدمة الطبعة الخامسة من الصحيح المسند من أسباب النزول ١٠
- الحامل لي على اختيار هذا الموضوع..... ١٤
- قواعد أصولية ٢٢
- سورة البقرة..... ٢٥
- ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا
 قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ . البقرة ٧٩..... ٢٥
- ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
 كَفَرُوا ﴾ الآية ٨٩..... ٢٧
- ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة ٩٧..... ٢٩
- ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية: ١٠٩ . ٣٤
- ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية: ١١٥ . ٣٧
- ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ الآية: ١٢٥ . ٣٩

- ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ الآية: ٤١١٤٢
- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ الآية: ١٤٣ ٤٣
- ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية ١٤٤ ٤٥
- ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية ١٥٨ ٤٧
- ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ الآية ١٨٧ ٥٠
- ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ الآية ١٨٧ ٥٣
- ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ٥٥
- ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية ١٩٥ ٥٨
- ﴿ وَأَمِّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ الآية ١٩٦ ٦٢
- ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ ٦٥
- ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ الآية ١٩٧ ٦٧
- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية: ١٩٨ ٦٩
- ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ الآية ١٩٩ ٧١
- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ الآية ٢٠٧ ٧٣
- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ ﴾ الآية: ٢٢٢. ٧٥
- ﴿ نِسَائِكُمْ حَرَّتَ لَكُمْ فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ الآية ٢٢٣ ٧٨
- ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الآية ٢٣٢ ٨٢

- ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ الآية ٢٣٨ ٨٤
- ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ الآية ٢٣٨ ٨٧
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ الآية ٢٥٦ ٩٠
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ الآية ٢٦٧ ٩٢
- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية ٢٧٢ ٩٥
- ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ إلى آخر السورة الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦ ٩٧
- سورة آل عمران ١٠٠
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية ٧٧ ١٠٠
- ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ١٠٣
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾
الآية ٩٠ ١٠٥
- ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾
الآية ١١٣ ١٠٧
- ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ الآية ١٢٢ ١٠٩
- ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ الآية ١٢٨ ١١٠
- ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ الآية ١٥٤ ١١٤
- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعُلَّ ﴾ الآية ١٦١ ١١٦
- ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

الآية ١٦٥ ١١٩

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآيات

١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ ١٢٢

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله ﴿ فَاثْقَلُوا بِنِعْمَةِ مَنْ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسَّسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ الآيات ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ ١٢٦

﴿ وَلِتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا ﴾ الآية

١٨٦ ١٢٩

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ الآية ١٨٨ . ١٣٣

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ الآية ١٩٩ .

١٣٦ ١٣٩

سورة النساء ١٣٩

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ الآية ٣ ١٣٩

﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الآية ٦ ١٤١

﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ الآيتان ١١ و ١٢ ١٤٣

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا ﴾ الآية ١٩ ١٤٧

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾ الآية ٢٢ ١٤٩

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ الآية ٢٤ ١٥١

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ إلى قوله ﴿

- فَلَنْ نَجِدَ لَهُ تَصِيرًا ﴿ الآيتان ٥١ و ٥٢ ١٥٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ الآية ٥٩ . ١٥٦
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الآية ٦٠ . ١٥٩
- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية ٦٥ ١٦٢
- ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ الآية ٦٩ ١٦٤
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ الآية ٧٧ ١٦٧
- ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ الآية ٨٣ ١٧٠
- ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ الآية ٨٨ ١٧٤
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴾ الآية ٩٤ ١٧٦
- ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية ٩٥ ١٨٠
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآيتان ٩٧، ٩٨ ١٨٤
- ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الآية ١٠٠ ١٨٧
- ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ الآية ١٠٢ ١٨٩
- ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّنَ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴾

الآية ١٠٢ ١٩١

﴿ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ الآية ١١٩ ١٩٢

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ الآية ١٢٧ ١٩٥

﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ الآية ١٢٨ ١٩٦

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ١٩٩

سورة المائدة ٢٠٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية ٦ ٢٠٢

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية ٣٣ ٢٠٥

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ الآيات ٤١ إلى ٤٥ ٢٠٨

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية ٦٧ ٢١٤

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ الآية ٨٣ ٢١٧

﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ الآية ٨٩ ٢١٩

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ الآيتان ٩٠

و٩١ ٢٢١

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الآية ٩٣ . البخاري

ج ٦ ص ٣٦: حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى أخبرنا عفان حدثنا حماد بن زيد

حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ

الفضيخ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال: فقال لي أبو

طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة فقال بعض القوم:

قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات

جناح فيما طعموا﴾ الآية..... ٢٢٥

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ الآية ١٠١... ٢٢٧

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ

مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ من آية

١٠٦-١٠٨..... ٢٣١

سورة الأنعام..... ٢٣٣

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ الآية ٥٢..... ٢٣٣

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الآية ١٢١..... ٢٣٥

سورة الأعراف..... ٢٤١

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الآية ٣١..... ٢٤١

سورة الأنفال..... ٢٤٤

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية ١..... ٢٤٤

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ الآية ٩.....

٢٤٨.....

﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ ﴾ الآية ١٦..... ٢٥١

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ الأنفال ١٧..... ٢٥٣

﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ الآية ١٩..... ٢٥٦

﴿ إِنْ شَرَّ الدَّوَابُّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الآية: ٢٢..... ٢٥٨

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الآية ٣٣..

٢٥٩.....

﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَنَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَا مَاتَيْنِ ﴾

٢٦٢.....

الآية ٦٦.....

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية ٦٧..... ٢٦٤.....

﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الآيتان ٦٨ و ٦٩ . ٢٦٦

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الآية ٧٥..... ٢٦٩.....

٢٧٢.....

سورة التوبة.....

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِنْقَابَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ الآية ١٩..... ٢٧٢.....

﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

٢٧٤.....

الآية ٣٤.....

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ

٢٧٧.....

يَسْخَطُونَ ﴾ الآية ٥٨.....

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

٢٧٩.....

تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الآية ٦٥.....

﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ ٢٨٠.....

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية ٧٩..... ٢٨٢.....

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٨٢.....

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا ﴾ الآية ٨٤..... ٢٨٣.....

﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ

وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الآيتان ٩٥ و ٩٦..... ٢٨٦

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية ١١٣..... ٢٨٨

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ إلى

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ الآيات ١١٧-١١٩.. ٢٩١

سورة هود ٢٩٨

قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا

يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الآية ٥..... ٢٩٨

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي

لِلذَّاكِرِينَ ﴾ الآية ١١٤..... ٣٠٠

سورة يوسف ٣٠٤

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية ٣..... ٣٠٤

سورة الرعد ٣٠٦

﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾

الآية ١٣..... ٣٠٦

سورة إبراهيم ٣٠٩

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ الآية ٢٧... ٣٠٩

سورة النحل ٣١٢

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ الآيتان ٧٥ و ٧٦..... ٣١٢

﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية ١٠٣..... ٣١٤

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا

لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية ١١٠..... ٣١٧

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ الآية

١٢٦..... ٣١٩

سورة الإسراء..... ٣٢٢

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٧﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴿٥٦﴾ الْآيَاتان ٥٦ و ٥٧..... ٣٢٢

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾ الْآية ٥٩..... ٣٢٤

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية

٨٥..... ٣٢٦

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ الآية ١١٠..... ٣٣٠

سورة مريم..... ٣٣٣

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية ٦٤..... ٣٣٣

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الآيات ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠.....

٣٣٥.....

سورة الأنبياء..... ٣٣٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الآياتان ١٠١ و ١٠٢..... ٣٣٧

- سورة الحج ٣٤٢
- ﴿ هَذَانِ حَصَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ الآية ١٩ ٣٤٢
- ﴿ اُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِاَئْتِمِهِمْ ظُلْمُوا وَاِنَّ اللّٰهَ عَلٰى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ الآية ٣٩ ٣٤٥
- سورة المؤمنون ٣٤٩
- ﴿ وَلَقَدْ اَخَذْنَاھُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكٰنُوْا لِلرَّبِّھِمْ وَمَا يَنْتَضِرُوْنَ ﴾ الآية ٧٦ ٣٤٩
- سورة النور ٣٥١
- ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ اِلَّا زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً ﴾ الآية ٣ ٣٥١
- ﴿ وَالَّذِيْنَ يَزْمُوْنَ اَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَّھُمْ شُهَدَآءٌ اِلَّا اَنْفُسُھُمْ فَشَھَادَةُ اَحَدِھُمْ اَرْبَعٌ شَھَادَاتٍ بِاللّٰهِ اِنَّھُ لَبِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ الايات ٩-٦ ٣٥٦
- ﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ جَاؤُوْا بِالْاِفْكِ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ لَا يَحْسَبُوْهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْھُمْ مَا كَتَسَبَ مِنَ الْاِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْھُمْ لَهٗ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴾ من الآية ١١ الى الآية ٢٢ ٣٦٣
- ﴿ وَلَا تُكْرِهُوْا فِتْيَانِكُمْ عَلٰى الْبِغَآءِ اِنْ اُرَدْنَ مَحْصَنًا ﴾ الآية ٣٣ ٣٦٩
- ﴿ وَعَدَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ ﴾ الآية ٥٥ ٣٧٢
- ﴿ لَيْسَ عَلٰى الْاَعْمٰى حَرْجٌ ﴾ الآية ٦١ ٣٧٧
- سورة الضرقان ٣٧٩
- ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظّٰلِمُ عَلٰى يَدَيْهِ ﴾ الى قوله: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِلْاِنْسَانِ خَدُوْلًا ﴾ الايات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ ٣٧٩
- ﴿ وَالَّذِيْنَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰھًا اٰخَرَ وَلَا يَقْتُلُوْنَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

- ٣٨٢..... يَزُنُونَ ﴿ الآية ٦٨
- ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
- ٣٨٥.....
- ٣٨٥..... غُفُورًا رَحِيمًا ﴿
- ٣٨٩..... سورة القصص
- ٣٨٩..... ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ الآية ٥١
- ٣٩١..... ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿ الآية ٥٦
- ٣٩٣..... سورة العنكبوت
- ٣٩٣..... ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴿ الآية ٨
- ٣٩٦..... ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴿ الآية ١٠
- ٣٩٧..... سورة لقمان
- ٣٩٧..... قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ الآية ١٣
- ٣٩٩..... سورة السجدة
- ٣٩٩..... ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴿ الآية ١٦
- ٤٠١..... سورة الأحزاب
- ٤٠١..... ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿ الآية ٥
- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن
- ٤٠٣..... يَنْتَظِرُ ﴿ الآية ٢٣
- ٤٠٥..... ﴿ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴿ الآية ٣٥

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ وَأَسْرَحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الآيتان ٢٨، ٢٩..... ٤٠٨
- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ الآية ٣٥..... ٤١٥
- ﴿ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ الآية ٣٧..... ٤١٧
- ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ الآية ٣٧..... ٤٢٠
- ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ الآية ٥١..... ٤٢١
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية ٥٣..... ٤٢٣
- سورة يس..... ٤٢٨
- ﴿ وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ الآية ١٢..... ٤٢٨
- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ الآية ٧٧ إلى آخر السورة..... ٤٣١
- سورة الزمر..... ٤٣٣
- ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥. تقدم الكلام عليها في سورة يوسف..... ٤٣٣
- ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الآية ٥٣... ٤٣٤
- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ الآية ٦٧..... ٤٣٧
- سورة فصلت..... ٤٣٩
- ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ ﴾ الآية ٢٢..... ٤٣٩
- سورة الشورى..... ٤٤٢
- ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الآية ٢٣..... ٤٤٢

- ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية ٢٧ ٤٤٤
- سورة الزخرف ٤٤٧
- ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الآية ٥٧ ٤٤٧
- سورة الدخان ٤٥٢
- ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ الآيات ١٠ - ١٥ ٤٥٢
- سورة الجاثية ٤٥٤
- ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الآية ٢٤ ٤٥٥
- سورة الأحقاف ٤٥٧
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ الآية ١٠ ٤٥٧
- ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾ الآيات ٢٩ - ٣٢ إلى قوله: ﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ٤٦٠
- سورة الصّح ٤٦٣
- ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية ٥ ٤٦٦
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ ﴾ الآية ٢٤ ٤٦٧
- سورة الحجرات ٤٨٩
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية ١ ٤٨٩
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الآية ٢ ٤٩٠

- ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ الآية ٩ ٤٩٣
- ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ الآية ١١ ٤٩٧
- سورة القمر ٥٠١
- ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٤٨) ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ الآيتان ٤٨، ٤٩ ٥٠٤
- سورة الواقعة ٥٠٧
- ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الآية ٨٢ ٥٠٧
- سورة المجادلة ٥١٠
- ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ الآية ٨ ٥١٣
- ﴿ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الآية ١٤ ٥١٧
- سورة الحشر ٥٢٠
- ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ٥٢٣
- ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الآية ٩ ٥٢٦
- سورة الممتحنة ٥٢٨
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ الآية ١٠ ٥٣٢
- سورة الصف ٥٣٦
- سورة الجمعة ٥٣٩
- سورة المنافقون ٥٤٣
- ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾ الآية ٧... ٥٤٦

سورة التغابن ٥٤٨

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ الآية ١٤

..... ٥٤٨

سورة التحريم ٥٥١

﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ ﴾ الآية ٥

سورة الجن ٥٦٠

سورة المزمل ٥٦٤

سورة المدثر ٥٦٦

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ الآيات

سورة القيامة ٥٧٢

﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ الآيتان ١٦، ١٧

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ الآيتان ٣٤، ٣٥

سورة النازعات ٥٧٦

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾

سورة عبس ٥٧٩

سورة المطففين ٥٨١

سورة الضحى ٥٨٣

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ الآية ٥

سورة العلق ٥٨٩

- ٥٨٩..... ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى﴾ الآيات.
- ٥٩٣..... سورة الكوثر.
- ٥٩٦..... سورة المسد.